

سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية ١٥

مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث

العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه

تأليف

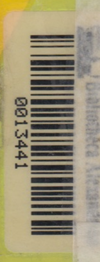
الدكتور محمد سلامة محمد غباري

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الطبعة الثانية

١٩٨٩

المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل - اسكندرية
ت / ٤٨٣١٥٢٧



مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث

العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه

تأليف

الدكتور محمد سلامة محمد غباري

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الطبعة الثانية

١٩٨٩



محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل رب زدني علما »

مقدمة

يكاد يجمع علماء النفس والاجتماع والأجناس البشرية على أهمية الدين فى حياة الأفراد وفى حياة الجماعات البشرية ، وفى حياة الأمم والشعوب ، فالدين ظاهرة اجتماعية قديمة وجدت منذ قيام حياة الجماعات . ومنذ بداية هذه الجماعات بالتطور الاجتماعى ، حتى صار الدين نظاما متكاملا له مؤسساته العاملة على تحقيق وظائفه وغاياته السامية .

وقد اتجه علماء الاجتماع إلى دراسة الظاهرة الدينية عموما باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، سواء كان ذلك فى المجتمعات البدائية أو المتحضرة ، وظهر فرع متخصص من فروع علم الاجتماع عرف باسم « علم الاجتماع الدينى » يدرس الظواهر والنظم الدينية من حيث نشأتها والوظائف التى يؤديها والعلاقة التى تقوم بينها وبين غيرها من الظواهر والنظم الاجتماعية ، وكذلك الجماعات والمنظمات والاتجاهات الدينية والأدوار التى يقوم بها رجال الدين فى المجتمعات الحديثة ، فضلا عن دراسة الحركات الدينية باعتبارها حركات اجتماعية .

كما ظهر اتجاه جديد بين الباحثين المسلمين يدعو إلى دراسة العلاقات والظواهر والنظم والانساق الاجتماعية عن منظور اسلامى لتكون هذه الدراسات نواة لفرع أكثر تخصصا يعرف باسم « الاجتماع الاسلامى » ويصبح الاختلاف الاساسى بينه وبين « علم الاجتماع الدينى » أن هذا الاخير يعالج الظاهرة الدينية فى كافة المجتمعات وبدون التقيد بدين معين ، بخلاف الاجتماع الاسلامى « الذى يختص بدراسة العلاقات والظواهر والنظم والانساق الاجتماعية ، من وجهة النظر الاسلامية البحتة .

ويقول « برتراند راسل » إن الذين ولجوا يوما فى عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لا يمكن أن يعودوا إلى هذه الدنيا الا عن طريق الدين .

واذا كان لكل ثقافة جانبها اللامادى أو المعنوى فإن الدين يشغل الجزء الأكبر من مقومات هذا الجانب فى غالبية المجتمعات الانسانية ، ذلك أن لكل مجتمع مهما صغر أو كبر ، ومهما (بسط أو تعقد تركيبه) معتقد دينى معين ، وشعائر وطقوس دينية معينة .

والنظم الدينية موجودة فى كل المجتمعات الانسانية لانها تسد حاجات اجتماعية هامة ، وللنظم الدينية دور هام فى تكامل المجتمع عن طريق شعائره التى تؤدى وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة والتى تذكر الفرد ، وهو غارق فى حياته المادية بولائه لجماعته ولقيمها العليا .

والدين من ناحية أخرى يحدد القواعد الاخلاقية التى تسير عليها الجماعة ، ويزودها بمرجع واضح ثابت من القيم التى يجب أن يتمسك بها الافراد . والدين بتعاليمه ونواهيه وأوامره يعتبر من أقوى عوامل تحقيق التوائم فى السلوك الاجتماعى ، كما أن فكرة العقاب والعذاب التى تؤلف ركنا هاما فى الدين ، تلعب دورا هاما فى عمليات الضبط الاجتماعى وفى اقرار النظام الاجتماعى .

والدين بما يشتمل عليه من قيم أخلاقية قادرا على توجيه سلوك الافراد توجيها سديدا فى مواقف الحياة المختلفة بما يدعم بناء شخصياتهم . بقدر وحدة القيم فى المجتمع يكون تماسكه وبقدر التناقض والتفاوت فى القيم يكون تفككه .

وتتم عملية استدماج القيم عن طريق عملية التفاعل الاجتماعى التى تعتبر أساسا لعملية التنشئة الاجتماعية حيث يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة

والاتجاهات التى تنظم العلاقات بين أفراد جماعات المجتمع الواحد فى اطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الإجتماعية المتعارف عليها .

والدين أهم وسيلة لضبط السلوك حيث يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم كما قال ابن خلدون .

وعندما ركز بعض علماء الاجتماع على القانون كضابط للحياة ، لم يبتعدوا كثيرا عن الدين ، لأن الدين لا يقتصر على العبادات فحسب بل يهتم أيضا بتنظيم المعاملات على أسس شرعيـــة ، أى قانون يحكم القضاة بمقتضاه فى المجتمعات الاسلامية . وحيث يكون الإسلام هو أساس القيم ومصدر التشريع ، وتكون تعاليمه هى بذاتها قواعد التربية ، يكون من ثم مايعرف بالرأى العام ، وما يستقيم فيه من عرف موجه صادر أيضا عن ذلك المنهج الإسلامى ، الذى ما ترك فى حياتنا كبيرة ولا صغيرة إلا احصاها وفصلها تبيانا ورشداً ؛ فى مثل هذا المجتمع لا تكون بنا حاجة إلى تعدد مصادر الضبط الإجتماعى .

وهناك بعض علماء الإجتماع يعتقدون أن الدين والأخلاق لا يمكن فصلهما عن بعضهما ، حيث أن رفاهية الجماعة ليست كافية لتجعل الأفراد يلتزمون بالقيم الإخلاقية ، ولكن من الضرورى جدا وجود جزاءات تكافىء وتعاقب ، تأتى من وازع أو رادع قوى من القوى الطبيعية .

والدين الإسلامى يعد أقوى الأديان ضبطا للمجتمع ولا يعادله فى ذلك إلا القانون الكنسى فى العصور الوسطى ، ويضبط الدين سلوك الفرد فى المجتمع بالثواب والعقاب ، لا فى الحياة الدنيا فحسب ، بل فى الدار الآخرة أيضا .

وكل الفضائل الإجتماعية والأخلاقية نابعة من الدين الذى يدفع الافراد إلى

احترام قيم المجتمع التي تزيد من ترابط وتماسك الجماعة ، وبذلك يصبح للدين وظيفة ايجابية هي التماسك والضبط الإجتماعي .

والإنحراف من المشاكل الإجتماعية الهامة التي تواجه جميع المجتمعات النامية منها والمتقدمة ، وعلى الرغم من الجهود التي تبذل لمواجهتها إلا أنها لاتزال في تزايد مستمر ، والاحصائيات الخاصة بالإنحراف تشير إلى الزيادة الكبيرة في عدد حالات السلوك المنحرف بأنواعه المختلفة بين الصغار والكبار .

وعندما ظهرت حركة البحث العلمي وزاد الاهتمام بها ، كان لا بد أن يمتد منهجها التجريبي إلى العلوم الاجتماعية مما جعل الكثير من الباحثين والعلماء يهتمون بظاهرة الانحراف ، وكان من بينهم عالم الإجتماع والنفس والخدمة الإجتماعية ، والباحث في الطب العقلي ، والطبيب البشري ، وعالم الجغرافيا .. الخ من العلماء في شتى التخصصات المختلفة ، وكان تخصص كل منهم يمثل إطار . المرجعي في تناوله للانحراف مستخدما مفاهيمه وطرق قياسه المتبعه ، وقد ترتب على ذلك وجود محصول وافر من الدراسات والنظريات التي تناولت الإنحراف ، والتي كان من كثرتها وإختلافها إستحالة رد ظاهرة الإجرام والسلوك الانحرافي إلى عامل واحد ، سواء كان يرجع إلى التكوين العضوي أو النفسي للمنحرف ، أو يعود إلى عوامل البيئة المحيطة به ، ونحن نعتبر أن كل نظرية من تلك النظريات فسرت طرفا من أطراف هذه الظاهرة دون بقية الأطراف ، ولذلك سوف نعتبرها جميعا أجزاء متكاملة ، نخرج منها بمجموعة العوامل المؤثرة ، والتي تم تقسيمها إلى مجموعتين من العوامل احداهما مجموعة العوامل الذاتيـــة المرتبطة بجوانب الشخصية ، والمجموعة الثانية هي مجموعة العوامل البيئية المرتبطة بالبيئة الداخلية والبيئة الخارجية ، تاركين للمعالج تحديد العوامل المؤثرة في الإنحراف في كل حالة على حدة .

وعلى أساس العوامل المؤثره فى الإنحراف يختار المعالج أنسب أساليب العلاج ، بعد أن تطورت تلك الأساليب مع تطور المجتمعات التى أدت إلى تطور النظرة إلى علاج الانحراف ، وأصبح الاصلاح يستخدم بدلا من العقاب فى كثير من مناطق العالم ، إذ أن رد الفعل الإيجابى للعقاب تلاشى فى السنوات الاخيرة، وأصبح الاتجاه السائد هو تصميم برامج للمساعدة وليس للعقاب ، ولم تقتصر هذه البرامج على الجهود البوليسية فى علاج المنحرفين ، بل إمتدت إلى جميع الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والنفسية التى ترتبط إرتباطا مباشرا بزيادة معدلات الانحراف .

وإذا كان الانحراف مرتبطا بتلك العوامل ونتيجة لها ، فإننا نستطيع تجنب الإنحراف ووإقضائه عن المجتمع ، بل والسيطرة الكاملة عليه لو إستطعنا التحكم فى تلك العوامل والقضاء عليها ، والعلاج الإسلامى الذى يعرضه المؤلف هذا الكتاب ـ بأساليبه الذاتية وأساليبه البيئية هو القادر على ذلك حيث أنه سيتعامل مع تلك العوامل مجتمعة وكفيل بالقضاء عليها ، ففيه الوقاية وفيه العلاج .

المؤلف

الباب الأول

العوامل المؤثرة فى الانحراف وتعريفاته

الفصل الأول

مفهوم الإنحراف وتعريفاته

مفهوم الانحراف وتعريفاته

الانحراف · Deviance

يعرف الإنحراف بمعناه الواسع بأنه انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية ، والفعل المنحرف ليس أكثر من انه حالة من التصرفات السيئة التي قد تهدد الحياة نفسها .

ومفهوم الانحراف يشير دائما الى السلوك والتصرفات ، والأفراد المنحرفون يشعرون دائما بنظرة القلة من الآخرين ، ويفكرون في أنفسهم أحيانا بأنهم لايساوون شيئا ، وأقل قيمة من الآخرين ، أو ناقصين عنهم .

ولذلك فان دراسة الانحراف تكشف عن المدى الواسع للأنشطة والمعتقدات والسمات الشخصية التي تظهر ردود أفعال سلبية ، وخاصة تلك الآثار أو الافعال التي تعتبر لا أخلاقية وغير قانونية (١) .

ولقد تطور التفسير النظري للجناح بسرعة مذهلة منذ عام ١٩٥٥ عندما نشر « ألبرت ج . كوهين » « Albert Cohen » كتابة الاولاد الجانحون Desenquent Boys ، وبالرغم من أن بعض الأفكار التي قدمها كوهين في عمله الرائد تعتبر قديمة الآن ، الا أنها أدت في الخمسينات والستينات الى تطور نظرية الجنوح ، مثلها مثل أي مجال آخر في علم الاجتماع كله ، (٢) .

---

(1) Leonard Broom & Philips Seliznick, : « Sociology : A Text with Adapted Readings» (Harder & Row Publishers Inc., Seventh Edit , 1981, P. 174.

(2) Rothshqale & Theodor Ferdinand, : «Jeveule Delin- =

ولكن أكثر التعريفات شيوعا بين واضعى النظريات هو تعريف الجنوح كدور حيث لا يكون الاهتمام بالدرجة الأولى بالشخص الذى يرتكب فعلا منحرفا بقدر ما نهتم بالشخص الذى يمثل نموذجا مستمرا فى الانحراف لفترة زمنية طويلة ، وهو الشخص الذى يتخذ من الانحراف أسلوبا لحياته ويرسم لشخصيته نموذجا معينا من الإنحراف (١) . وتعريف الجنوح كدور يتمشى بطريقة منطقية مع التفسيرات التى يقدمها بعض الأساتذة فى كتبهم ، فمثلا فى هذا الكتاب سوف نركز على أشكال النشاط الجانح التى تنتج عن ممارسة أدوار معينة فى المجتمع وخصوصا الأدوار التى تسبب فيها وتؤيدها « الثقافات الفرعية » وعلى الرغم مما ينصح به « البرت كوهين » بقوله « لكى نبنى سوسيولوجية السلوك المنحرف وحده وليس على أنواع الناس الذين يرتكبونه » ولذلك يتساءل بعض الباحثون الذين يتناولون رأى « كوهين » هذا بقولهم « لماذا إذن ينحرف بعض الناس ؟ » (٢)

ولكن هناك آراء أخرى تؤيد فكرة أن الدراسة يجب أن تنصب على المجرم أكثر مما تنصب على الجريمة ، حيث أن الجرائم التى لا يرتكبها مجرمون معتادى الاجرام لا يمكن تفسيرها حيث لا يوجد تنوع للنشاط الإجرامى بين غير المجرمين وهذا ما عبر عنه Jackson Toby بقوله « فى أعتقادى أنه من الأفضل أن اضع فى اعتبارنا أن الجماعة التى يطلق عليها البروفسور « نای Nye » اسم « الأكثر جنوحا » يمكن اعتبارها من غير الجانحين ، وهى فى رأى كثير من

— quency » (J. B. Lippinott Copany Philadephia, New York, Toronto, Third Edit., 1975, p. 67.

(3) Travis Hirschi, « CAuses of Dellnquency » : University of California Press, Berkeley, Los Aggles and London, 1972, P. 46.

علماء الجريمة ليست كذلك فبينما يرتكب أى شخص أفعالا منحرفة فى أى وقت من الأوقات ، فإن قطاعا صغيراً جداً من المجتمع هو الذى يعتاد الاجرام ، وفى اعتقادى أن علماء الإجتماع هم أكثر اهتماما بهذه القلة التى تعتاد الاجرام أكثر من اهتمامهم بدرجات السلوك المنحرف التى يرتكبها الكثيرون ممن يتقيدون بنمط الحياة المتمثل للقانون (١) . فتعريفات الجنوح على أساس الدور لا تأخذ فى اعتبارها الأعمال الجانحة لغير معتادى الجنوح ، فهى تفترض وجود تناظر بين الجنوح وبين الأدوار الإجتماعية الأخرى وهو ما يزيد الأمر تعقيدا بدلا من ايضاحه فهى أيضا تقيد دراسة الجنوح وتقصرها على شرائح صغيرة من المجتمع فى الوقت الذى تعترف فيه بأن الجنوح يسود الهيكل الاجتماعى بأكمله ودون اعطاء مبررات قوية للاعتقاد بأن أسباب ارتكاب الافعال الجانحة تختلف من طبقة لأخرى . »

كما يعرف الجنوح بواسطة التركيب النسبى لمجموعة من الأفعال المنحرفة ، فليست السابقة الأولى أو الثالثة هى التى تجعلنا نعرف الحدث على أنه جانح ولكن مجموعة من الأفعال المركبة التى تميز الجنوح الحقيقى من الجنوح الزائف وكذلك عدم الجنوح . وبتعريف آخر فإن الجنوح هو سلوك غير البالغين الذين يقومون بخرق معايير قانونية معينة أو معايير إجتماعية بصفة متكررة تستلزم اتخاذ إجراءات قانونية تجاه مرتكب هذه الأفعال سواء كان فردا أو جماعة (٢).

---

(1) Jackson Toby, review of Family Relationships and Delinquent Behavior by F. Ivan Nye, American Sociological Review, XXV (1960). pp. 282 — 283.

(2) William C. Kvaraceus and Walter B. Miller, Delinquent Behavior : Culture and the Individual (Washington) National Education Association, 1959, p. 64.

وبعد أن تم تعريف الانحراف يجب علينا أن نتتبع وتفسير ومصدر التسمية الانحرافية ، وذلك من خلال نظرية التسمية الانحرافية Labling Theory التي انتقد فيها « هوارد بيكر» Howard S Becker كثير من علماء الاجتماع الذين سبقوه ، فى أنهم لم يتشككوا فى صفة « انحرافى » التى تطلق على السلوك المنحرف ، بل كانوا ينظرون إليها «كمعطى as a given » وبذلك يوافقون مسبقا على قيم الجماعة التى صنعت هذا الحكم(١). وانطلاقا من هذا النقد قام « بيكر » بتعريف الإنحراف والمنحـــرفين ، فذهب إلى أن الجماعات الاجتماعية تخلق الانحراف بواسطة صنع القواعد التى يمثل خرقها أو انتهاكها انحرافا ، وعند تطبيق هذه القواعد على من ينتهكونها أو يخرقونها ، يصبح من الممكن اطلاق مصطلح « خارجون Outsiders » عليهم ولذلك فالانحراف لا يعتبر خاصية لفعل يقوم به شخص « مذنب » ، والمنحرف هو الشخص الذى طبقت عليه هذه التسمية بنجاح ، والسلوك الانحرافى هو السلوك الذى أعطاه النـاس هذا الاسم (٢) .

ومعنى ذلك أن الانحراف هو دائما نتيجة لمشروع an enterprise لأنه قبل أن ينظر إلى فعل بإعتباره انحرافيا ، وقبل أن نتصف أية فئة من النـاس على أنها منحرفة ، فينبغى أن يقوم شخص ما بصنع القاعدة التى تحدد الفعل على

---

(1) Howard S. Becker, "Ontsiders, Studies in the Sociology of Deviance". The Free Press of Glenco, 1963, pp. 3 — 4.

نقلا عن سامية جابر ، الانحراف الإجتماعى بين نظرية علم الإجتماع والواقع الإجتماعى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٨ .

(2) Ibid., p. 9.

هذا النحو ، فالأفعال لا تكون ضارة أو مؤذية فى حد ذاتها ، وحتى لو كان الفعل ضارا بالمعنى الموضوعى ، فإن هذا الضرر يحتاج إلى أن يكتشف ، وأن يشار الثابتة المؤثرة ، ويمارس الجزاءات القوية الحاسمة ، ويبرز المعايير الواضحة اللازمة ، ويكون الرقابة القوية ، سواء كانت فردية أو جماعية ، وسواء كانت رقابة داخلية متمثلة فى الضمير المتزن الواعى ، أو كانت رقابة خارجية عن طريق قوى الضبط الاجتماعى الكفيلة بالقضاء على التخريب الاجتماعى والانحراف بأساليبه المتعددة .

والجريمة فى الشرع الإسلامى هى « إتيان فعل محرم معاقب على فعله ، أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه » (١) .

وعرفها الماوردى بأنها « ارتكاب محظورات شرعية ، زجر الله عنها بحد أو تعزيز (٢) .

وتنقسم الجرائم بحسب طبيعتها الخاصة إلى جرائم ضد الجماعة وجرائم ضد الأفراد . فالجرائم التى تقع ضد الجماعة هى التى شرعت عقوبتها لحفظ صالح الجماعة ، سواء وقعت الجريمة على فرد أو على جماعة أو على أمن الجماعة ونظامها .

« ويقول الفقهاء أن عقوبة هذا النوع من الجرائم شرعت حقا لله تعالى » (٣)

(١) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائى ، الطبعة الخامسة ، جـ ١ ، ١٩٧٨ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ، مطبعة البابلى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٢ .

(٣) علاء الدين الكاسانى ، بدائع الصنايع فى ترتيب الشرائع ، الجمالية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ٣٣ .

ومعنى هذا الاصطلاح أنها شرعت لحماية الجماعة ولكنهم جعلوا من العقوبة حقا لله ، إشارة إلى عدم جواز العفو عنها أو تخفيفها أو ايقاف تنفيذها .

والجرائم التى تقع ضـــد الأفراد هى التى شرعت عقوبتها لحفظ مصالح الأفراد ، ولو أن ما يمس مصلحة الأفراد هوفىالوقت نفسه ماس بصالح الجماعة .

والواقع أن كل جريمة تمس مصلحة الجماعة تمس فى النهاية مصلحة الأفراد ، وكل جريمة تمس مصلحة الأفراد تمس فى النهاية مصلحة الجماعة ، وفى هذا يقول أحد الفقهاء : « ما من حق لآدمى إلا وله حق فيه ، إذ من حق الله على كل مكلف ترك أذاه لغيره »(١) ، فإذا اعتبرت الشريعة بعض الجرائم ماسة بمصلحة الجماعة فذلك لأنها تمس مصلحة الجماعة أكثر مما تمس مصلحة الفرد ، وإذا اعتبرت بعض الجرائم ماسة بمصلحة الأفراد فذلك لأنها تمس مصلحة الأفراد أكثر مما تمس مصلحة الجماعة(٢) .

أما إذا نظرنا إلى تعريف الجريمة فى القوانين الوضعية فقد عرفها البعض بأنها « كل فعل أو امتناع مستوجب المسئولية الجنائية تكفل القانون ببيانه وفرض عقوبة على مرتكبه »(٣) . وعرفها آخرون بأنها « فعل غير مشروع صادر عن إرادة جنائية يقرر له القانون عقوبة أو تدبيرا احترازيا »(٤) .

---

(١) شرح الزرقانى على مختصر خليل ، مطبعة محمد افندى مصطفى ، ص١١٥ .

(٢) عبد القادر عودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٩ — ١٠٠ .

(٣) محمد ابراهيم اسماعيل ، شرح الأحكام العامة فى قانون العقوبات المصرى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣ .

(٤) محمد نجيب حسنى ، شرح قانون العقوبات اللبنانى ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٢٦٥ هـ ، ص ٢٦ .

وعرفها العالم الامريكى « هول » Hall بأنها « ضرر محظور بمقتضى القانون الجنائى منسوب إلى رجل عادى بالغ ، ارتكبه عن إرادة وقصد ، ويجب أن ينال عنه عقابا معينا فى القانون(١) .

والفرق بين التعريفات الشرعية والتعريفات القانونية أن الشريعة تعتبر الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع ، ولهذا فهى تحرص على حماية الأخلاق ، وتتشدد فى هذه الحماية بحيث تكاد تعاقب على كل الأفعال التى تمس الأخلاق .

أما القوانين الوضعية فتكاد تهمل المسائل الأخلاقية إهمالا تاما ، ولا تعنى بها إلا إذا أصاب ضررها المباشر الأفراد أو الأمن العام .

والعلة فى اهتمام الشريعة بالأخلاق على هذا الوجه ، ان الشريعة تقوم على الدين ، والدين يأمر بحماية الأخلاق ، ويحث على الفضائل ، ويهدف إلى تكوين الجماعة الصالحة الخيرة ، ولما كان الدين لا يقبل التغيير والتبديل ، ولا الزيادة أو النقصان . فمعنى ذلك أن الشريعة ستظل ما بقى الدين الإسلامى حريصة على حماية الأخلاق ، آخذة بالشدة على من يحاول العبث بها .

والعلة فى استهانة القوانين الوضعية بالأخلاق ، أن هذه القوانين لا تقوم على أساس من الدين، وإنما تقوم على أساس من الواقع ، وما تعارف الناس عليه من عادات وتقاليد . ويترتب على هذا الفرق بين الشريعة والقوانين الوضعية أن يزيد عدد الأفعال التى تكون الجرائم الأخلاقية ، ويتسع مداها فى البلاد التى تطبق

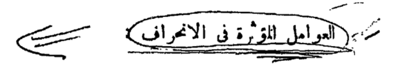
---

(١) محمد نجيب حسنى ، نفس المرجع ، ص ٢٦ .

الشريعة ، وأن يرتفع مستوى الأخلاق والقيم الروحية إلى أعلى درجة فى هذه البلاد التى تطبق الشريعة . أما البلاد التى تطبق القوانين الوضعية فإن مستوى الأخلاق فيها سينحط إلى أدنى دركاته ، وترتفع القيم المادية ، بينما تنحط القيم الروحية ، وتتفشى الإباحية البهيمية ، وتمكش الإنسانية ، وتقل الأفعال التى تعتبر جرائم أخلاقية حتى لتكاد تنعدم .

ولذلك إذا تم تنشئة الأحداث تنشئة إجتماعية اسلامية ، فسيرتفع مستوى أخلاقهم وقيمهم الروحية ، وسيتمسكون بقواعد دينهم ، وسيلتزمون بقواعده ومعاييره ، ويصبح الدين عاصما وواقيا لهم من الانحراف .

أما الأحداث الذين لم ينشأوا هذه التنشئة وتعرضوا فعلا للانحراف وأطلق عليهم إسم الأحداث المنحرفين ، فقد أقترح الباحث لهم إعادة تربيتهم ، وتوجيههم الى التربية الإسلامية عن طريق أساليب العلاج الإسلامى التى عرضها الباحث بالتفصيل فى مكان لاحق ، موضحا كيفية تطبيقها ، معتمداً على المبادىء الاسلامية التى يعتمد عليها الأخصائى الإجتماعى أثناء ممارسته لعملية العلاج الاسلامى للأحداث المنحرفين .



بعد استعراض مختلف النظريات التى حاولت تفسير الظاهرة الاجرامية والسلوك الانحرافى رأينا كيف يصعب رد هذه الظاهرة إلى عامل واحد ، سواء كان يرجع الى التكوين العضوى أو النفسى للمنحرف أو يعود الى عوامل البيئة المحيطة به . ونحن نعتبر أن كل نظرية من تلك النظريات قد فسرت طرفا من الظاهرة الاجرامية دون بقية الأطراف ، ولذلك سوف نعتبرها جميعا أجزاء

متكاملة نخرج منها بمجموعة العوامل المؤثرة ، وسوف نقسمها الى مجموعتين من العوامل ، احداهما مجموعة العوامل الذاتية المرتبطة بجوانب الشخصية المختلفة سواء كانت عقلية أو نفسية أو جسمية أو اجتماعية ، والمجموعة الثانية هي مجموعة العوامل البيئية المرتبطة بالبيئة الداخلية والبيئة الخارجية ، تاركين للأخصائي الاجتماعي الذي يعالج الأحداث المنحرفين تحديد العوامل المؤثرة في الانحراف في كل حالة على حده .

وقد رأينا في الجزء السابق أن العلامة « سيرل بيرت » هو أكثر الباحثين اهتماما بتحديد العوامل المؤثرة في الانحراف ، وهو من أشد مؤيدي الاتجاه التكاملي الذي يربط بين العوامل البيولوجية والعوامل النفسية والعوامل الإجتماعية، وقد أعتبر « بيرت » ـ في بحثه عن « الحدث الجانح » ـ أن هذه العوامل جميعها عوامل دينامية فعالة تتداخل ويؤثر بعضها في البعض الآخر بدرجات متفاوتة تظهر نتيجة لها حالة الإنحراف أو الجناح .

وقد كان « وليم هيلي » أيضا من مؤيدي تعدد العوامل المسببة للجناح وقد ذكر ذلك في كتابه « الفرد الجانح » سنة ١٩١٥ ، ثم عاد وأكده مرة ثانية في كتابه الثاني الذي نشره سنة ١٩٢٦ وضمنه النتائج المؤيدة لوجهة نظر العوامل المتعددة إذ أرتبطت الظروف البيئية بالعوامل السيكاوجية والظروف الجسمية في الإقتران بالجناح . هذا مع اختلاف في درجة تكرار هذه العوامل ، اذ أتت الظروف البيئية أكثر تكرار ثم تلتها العوامل السيكاوجية ، وأخيرا جاءت العوامل والظروف الجسيمة .

الفصل الثاني

العوامل الذاتية

١- العوامل العضوية .

٢- العوامل العقلية .

٣- العوامل النفسية .

وإذا كانت أهمية المنهج التكاملي في العلوم الإجتماعية قد أصبح أمراً لا خلاف فيه فإن مرجع ذلك إلى القول بأن السبب الواحد يفسد التفسير العلمي في مجال العلاقات الإنسانيه التي تتشكل من عديد من العوامل والأسباب المتشابكة ، ولهذا توصي الهيئات العلمية المعنية بالبحث عن أسباب الانحراف أو الأجرام عدم التركيز على عامل واحد واعتباره المسئول بصفة نهائية عن حالة الانحراف أو الأجرام ، بل ينبغي ربط مجموعة العوامل الذاتية والبيئية ببعضهما بصورة تؤدي إلى ظهـــور الصورة المتكاملة التي تساعد على إتخاذ الإجراءات الوقائية والإنمائية والعلاجية المناسبة لدرجة عمق كل عامل من هذه العوامل مهما كانت ضآلة الأثر الذي يتركه أو الذي يعتقد في أنه ضعيف إلى حد كبير كعامل من عوامل الانحراف أو الأجرام .

وعلى هذا فان المدرسة الحديثة في تفسير انحراف الأحداث تأخذ بنظرية تعدد العوامل وتكاملها في نفس الوقت ، بمعنى أنه لا يمكن لعامل واحد فقط دوا أن يلتقي بقدر ما مع العوامل الأخرى أن يكون السبب الوحيد للانحراف . ولذلك يتبين لنا أن عوامل الانحراف كما يراها الباحثون - سواء رجال القانون أو من علماء النفس والإجتماع أو من الأطباء العقليين أو غيرهم من المعنيين بالمشكلة - يمكن تركيزها في العوامل التالية :

أولاً - العوامل الذاتية :

أ - العوامل العضوية : العوامل العضوية المكتسبة لقد أتفق الكثير من العلماء على أن الأجرام والجناح نتاج لعدة عوامل بيئية وذاتية معا ، ولكن أغلبها من عوامل البيئه ، بينما يرى البعض الآخر أن هناك الكثير من الحالات التي تظهر فيها أثر العوامل العضوية و [illegible] بحيث تعتبر دوافع رئيسية للانحراف ،

العوامل الوراثية

وتكون عوامل البيئة ثانوية بجانبها ومن أمثلتها العوامل العضوية المكتسبة ومنها عاهات الحس والحركة التى كثيرا ما تكون سببا فى شقاء صاحبها خاصة إذا كانت جسيمة أو لم يتقبلها الفرد أو المجتمع ، ومن هذه العاهات الكساح وعيوب السمع والبصر والكلام وغيرها . وقد وجد « وليم هيلى » فى دراسة تناولت (٨٢٣) طفلا جانحا أن ١٣ ٪ منهم يعانون من إضطرابات وشذوذ فى نموهم الجسمى . وقد اعتبر « هيلى » مثل هذا العامل سببا فى تكوين السلوك الجانح ، وفى دراسة أخرى قام بها « هيلى » و « برونر » وجد أن نسبة الشذوذ فى النمو الجسمى قد تصل إلى ٤٠ ، ٦٠ ٪ بين الجانحين العائدين ، وإلى ٧٣ ٪ بين الجانحات فى مدينة شيكاغو (١) . كما ذكر « بروكواى Brokway » فى دراسة أخرى تناولت (٨٠٠) من المجرمين فى سجن الميرا بولاية نيويورك أنه وجد أن ٢٥ ٪ منهم يعانون من إصابات مختلفة فى الرأس ومن إضطرابات مرضية فى البصر والسمع والأسنان كما وجد أن ٢٨ ٪ مصابون بالسل الرئوى ٤٣ ٪ مصابون بأمراض زهرية (٢) .

كما وجد « سلايستر » فى دراسة تناول فيها (١٥٢١) سجينا فى ولاية « وسكونسن » أنه وجد أن غالبية هؤلاء المجرمين عرضة لأمراض الصدر بشكل واضح ، وأن ثلثهم كانوا يعانون من قصر النظر بشكل كبير (٣) .

ولذلك توصل الباحثون إلى أن وجود تلك العوامل العضوية غالبا ما تؤدى

(1) Gillin, Op. Cit., P, 73.

(2) Brokway, "Phisical of Crime" A Symposium Easton Pa, 1914 P. 135.

(3) Gillin, Op. Cit., P. 72.

إلى النقص ومحاولة التعويض لتخفيف الشعور بالنقص والاحساس بالقوة ، ومن أساليب التعويض السلبية ، اخفاء النقص وراء ظلم الغير بدل المواجهة الحقيقية للنقص ، أو وراء شعار المرض لاستدرار العطف ، أو للانتقام من الاهل والمجتمع أو للتهرب من المسئولية ، أو عن طريق الاستغراق المسرف فى أحلام اليقظة التى يبنى فيها الفرد قصورا على الرمال ، أو الانضمام إلى عصابة من ذوى العاهات أو الفاشلين فى أى مجال دراسى أو مهنى حتى لا يشعر بالغربة أو يتعرض للوم ، وكلهم يتكتلون ضد المجتمع الذى أذلهم وعايرهم على عاهتهم ولم يمنحهم فرصة مشروعة للعيش فى حدود قدراتهم المتبقية ، أو بالحصول على المال الوفير مهما كان مصدره أو بالقيام بأعمال مثيرة تجذب الأنظار إليهم ، وغالبا ما تقودهم مثل هذه المسالك التعويضية إلى ارتكاب الجريمة(1) أو الجناح أو التشرد أو التسول أو الاستجداء .

ومن هذه العوامل أيضا اعتلال الصحة ونقص التغذية وعدم القدرة على القيام بالأعمال المعتادة التى قد تكون عاملا مؤثرا يؤدى إلى الانحراف ، ومن أمثلة ذلك حالة الحدث المشرد الذى كان لا يستطيع أن يستقر فى أى عمل يلتحق به ، وتبين من الكشف الطبى عليه أنه مصاب بالقراع وأن خجله من علته هذه ومن معايرة الناس له بها كان السبب فى تشرده وجنوحه ، فلما عولج وشفى وانتظم فى عمله ، وكذلك حالة الخادمة الصغيرة التى كانت تسرق الأطعمة من بيوت الجيران ، وظهر من الكشف الطبى عليها أنها مصابة بديدان الاسكارس

(1) Relph Banay, " Phsical Disfiguratiou as a Factor in Delinqnency and Crime, Fedral Probation, Jan March, 1934, pp. 20 — 24.

وهى ديدان تعيش فى الأمعاء وتشارك صاحبها طعامه ولا تترك له منها إلا النذر اليسير ، فالطفلة هنا لم تكن منحرفة تسرق ولكنها كانت جائعة تريد الأكل ولما عولجت انصلح حالها . وغير ذلك من الأمراض المؤثرة والتى تختلف باختلاف درجة العجز الناجم عنها ، وقد تؤدى بعض الأمراض الحادة المزمنة إلى عاهات جسمية أو عقليه ،

وقد أشار « لمبروزو » وبعض أنصار مدرسته فى أبحاثهم إلى العلاقة بين بعض الأمراض والسمات الباثولوجية وبين الجريمة . كما أن هناك عوامل ترجع إلى اضطراب الغدد الصماء ومن أبرز حالاتها اضطراب الغدد التناسلية الذى يتسبب عنه كثير من ضروب الانحرافات الجنسية ، وكثيرا ما يؤدى عـــدم انتظام افرازات الغدد الأخرى كالغدة الدرقية والغدة فوق الكلية إلى سرعة الغضب وحدة الطبع مما يعرض الشخص للانحرافات العدوانية ، وتشتمل هذه الغدد الصماء Ductless glands على الغدد الدرقية Thyriod الغدد المجاورة لها Parathyroid والغدد النخامية Pituitary والغدد الصنوبرية Pineal والغدد الأدرينالية أو الكظرية Adrenals والغدة الجنسية Sex glands .

وقد ثبت لدى الكثير من العلماء أن نشاط العمليات الحيوية والتغيرات البنائية والهدمية فى الأنسجة ، وعمليات النمو الجسمى ، ترتبط ارتباطا كبيرا بتوازن افرازات هذه الغدد ونسبها فى الدم إلى حد كبير ، ولهذا فإن أى اختلال يعتور افرازات هذه الغدد يؤدى إلى اضطراب وظيفى وذلك نتيجة للخلل الكيماوى الذى يحدث فى الدم أو فى السائل الليمفاوى (١) .

(١) يوسف مراد ، مبادىء علم النفس العام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٥٣ .

وقد ظهرت دراسات علمية تناولت موضوع الهورمونات ومدى علاقتها بالجريمة ، ويقول العالمان «ماكس شلاب» و «إدوارد سميث» فى كتابهما الجديد «علم الإجرام الجديد» انهما وجدا أن ثلث المجرمين بوجه عام يعانون من اضطرابات فى افراز غددهم الصماء(١) .

والعوامل التى ترجع لأمراض عقلية عضوية لهـــا تأثير كبير أيضا على الإنحراف ، مثل الإنحراف الذى يحدث تحت تأثير المواد المخدرة والمشروبات الكحولية التى تجعل الشخص فى حالة لا يستطيع معها التحكم فى تصرفاته وأعماله، وعلى الرغم من اختلاف العلماء إزاء ظاهرة الكحولية وسواء أعتبرها البعض عصاب أو ذهان وسواء أعتبرها البعض الآخر شذوذا جنسيا لا شعوريا ، أو أنها مظهر لمركب أوديب أو نشاط جنسى يقوم به المدمن الكحولى لإشباع حاجة جنسية شديدة ، فإن الكحولية ذاتها قد تكون بمفردها جريمة يعاقب عليها القانون العقابى(٢) . ومن الناحية الأخرى فقد تتصل الكحولية بجرائم معينة بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة كجرائم التشرد والقتل والإغتصاب الجنسى والإعتداء . وهذا ما يثير علاقة الكحولية بالسلوك المنحرف ، وها هى دراسة قام بها الأستاذ «دجديل Dngdale» على «عائلة الجوكى The Jukes Family» وهى تنتمى منذ نشأتها إلى «ماكس Max» الذى يعتبر مؤسسها الأول وهو من أسرة هولندية ، هاجرت إلى أمريكا وأقامت فى نيويورك . وكان رب هذه

(1) Tetters, New Horizons in Crimiuology, op. Cit., pp. 148 — 152.

(2) Harriet R. Mowrer, " The Alcoholic Personality ", The American Sociological Review, Aug. 1940. pp. 645—551.

الأسرة عاملا شديد المراس ، يعيش على الصيد ، وكان مدمنا على الشراب ، وقد أنجب عائلة كبيرة ، بينهم عدد كبير من الأطفال غير الشرعيين . وقد استطاع « دجديل » أن يتعقب حياة (٧٠٩) شخصا من أفراد هذه العائلة الكبيرة التي جاوزت ذريتها (١٢٠٠) شخصا خلال مدة ٧٥ عاما . وقد وجد « دجديل » أن هذه العائلة قد قدمت لمدينة نيويورك (٢٨٠) متشردا وفقيرا ، (١٤٠) مجرما وجانحا ، (٦٠) لصا محترفا ، (٣٠٠) طفلاً ولدوا قبل موعد ولادتهم الطبيعية ، (٧) قتلة ، (٥٠) بغيا ، (٤٤٠) مصابا بأمراض تناسلية مختلفة ، (٣٠) شخصا حوكموا بتهمة انجاب أطفال غير شرعيين(١) .

وفي دراسة تكميلية لاحقة قام بها الأستاذ « أيستابروك Astabrook » لتعقب حياة أفراد « عائلة الجوكس » حتى سنة ١٩١٥ بعد أن بلغ مجموعهم (٢٠٩٤) شخصا ، كان الأحياء منهم (١٢٠٨) شخصا ، وجد هذا العالم أنه كان منهم (١٧٠) متشردا ، و (١٢٩) فقيرا ومعوزا ، (١١٨) مجرما ، (٢٧٨) بغيا ، (٨٦) شخصا يديرون بيوتا للدعارة ، (١٨١) مدمنا على الشراب(٢) .

ثم قام « بولمان » بدراسة أخرى لعائلة « الزيروس The Zeros Family » في مدينة « بون » الألمانية ، وهي عائلة انحدرت عن امرأة عرفت بإدمانها على الكحول ، وقد تعقب « بولمان » حياة أفرادها الذين جاوزوا ٨٠٠ شخصا ، لمدة ستة أجيال متعاقبة ، فوجد بينهم (١٠٢) شحاذا ، (١١٧) طفلا غير شرعيا ، (٥٤٠) فقيرا ومعوزا ، (١٨١) بغيا ، (٧٦) مجرما ،

---

(1) Gillin, Op. Cit., P. 121.

(2) Gillin, loc. Cit.

(٧) قتلة (١) .

وهذه الدراسات تشير إلى آثار ادمان الكحول وعلاقته بالجريمة والانحراف ليس فقط بالنسبة للشخص الكحولى ولكن أيضا بالنسبة لأفراد عائلته . وبالرغم من ذلك فإن « سذرلاند » يرى أن تناول الكحول لا يعدو غير سلوك اجتماعى ، يتعلمه الفرد من خلال تفاعله الإجتماعى بالآخرين ، ومن خلال مواقف طبقته الاجتماعية أو مكانته فى المجتمع الذى يعيش فيه (٢) .

أما حالات الجنون التى يكون سببها اصابات مباشرة فى المخ والتى تجعل الشخص فى حالة غير عادية مثل الشلل الجنونى العام الذى ترجع أسبابه إلى مرض الزهرى ، وفى هذه الحالات وأمثالها يقوم الشخص بإرتكاب جرائم عدوانية مختلفة تجعل من الضرورى عزله عن المجتمع وعلاجه فى المستشفيات المتخصصة .

ب ـ العوامل العضوية الوراثية :

أما الجزء الثانى من العوامل العضوية ، فهو العوامل العضـــوية الوراثية (الفطرية) مثل الأطفال ناقصى النمو أو ضئيلى الحجم الذين لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم ، ويكونون موضعا للسخرية من زملائهم فضلا عن حرمانهم من فرص رياضية ومهنية كثيرة ، ولذلك يحاولون التعويض عن نقصهم عن طريق السلوك الجانح المضاد للمجتمع ، وكذلك الأطفال زائدى النمو وضخام الحجم ومن يتصفون بالبدانة المفرطة خاصة إذا ارتبطت بقلة الرشاقة مما يؤدى

(1) Deverport, Hereditary Crime, The American Journal of Sociology, Nov., 1907, Vol. 13, p. 402.

(2) Sutherland, Op. Cit., pp. 130 — 132.

إلى معايرة القرناء وسخريتهم مما يؤدى إلى الهروب من الواقع المؤلم من البيت أو المدرسة ، وقد تصل إلى مدى أبعد كالاتلاف والسلوك الجانح ، أما فى الفتيات فإن زيادة النمو الجسمى والبدانة المفرطة فقد تصطحب بزيادة النمو الجنسى مما قد يؤدى إلى انحرافات جنسية أو سلوك عدوانى حيث يكون بمثابة صمام أمن لطاقة زائدة .

وقد قام « أرنست هوتون Ernest A. Hooaon » بدراسة على مجموعة كبيرة من المجرمين الذين وجـــدهم فى مختلف السجون والاصلاحيات ودور المجانين التابعة « لولاية ماسوشيست » الأمريكية ، والذين بلغ عددهم (١٤٤٧٧) منحرفا ، وقد أتخذ إلى جانب هؤلاء مجموعة ضابطة أخرى بلغ عددهم (٣٢٠٢) شخصا ، وذلك بغرض المقارنة بين المجموعتين ، وقد اشتمل هـذا العدد على ١٩٧٦ شخصا سويا من غير المنحرفين (١٢٢٧) شخصا من المجانين غير المجرمين ، وقد استخدم (هوتون) ما يزيد على المائة من الفتيات البدينات ، التى تناولت مختلف ملامح الجسم الظاهرة ، وبعض الصفات التشريحية ، كالرأس وطول القامة وقصرها والشعر وزيادة الوزن ... الخ من الصفات المورفولوجية الأخرى (١) وكانت النتائج كما يلى :

١ — أن المجرمين بوجه عام يشكلون مجموعة بشرية منحطة بيولوجيا .

٢ — وأن هذه الإنحطاطية البيولوجية تتصل بإنحطاطية إجتماعية أخرى ، كالمهنة والحالة الزواجية وغيرها .

٣ — وعلى الرغم من أن المجرمين لا يتميزون بوصمات انحلالية كالتى ذكرها « لامبروز » فى مجرمه المطبوع ، إلا أن مثل هؤلاء يتميزون بدونية جثمانية

(1) Ruth Shonle Cavan, "Criminology", Fhcmas Y. Growwelc, Co., New York, 1948, p. 323.

واضحـــة ، وهذه بدورها تؤدى إلى أضعاف قابليتهم على تحقيق التوافق الاجتماعى المطلوب .

٤ — وأن مثل هذه الدونية الجسمية ترجع إلى عامل الوراثه . ولذلك فإن هؤلاء المجرمين أشخاص يحملون بذور الشر والجريمة فى حيواناتهم المنوية .

٥ — لاتوجد سمات مشتركة بين جميع المجرمين ، ولكنهم كمجموعة يتميزون بنسبة أكبر من حيث وجود السمات الانحطاطية ، وذلك حين مقارنتهم بمجموعة مماثلة من غير المجرمين .

٦ — وقد حاول « هوتون » أن يربط بين بعض هذه السمات المورفولوجية كطول القامة ووزن الجسم وبين أصناف معينة من المجرمين أو بين نوع معين من الجرائم ، وقد ذكر على سبيل المثال أن جرائم القتل والسرقة بالاكراه وجرائم التزوير والنصب ، تزيد مع زيادة طول القامة ، ومن الجهة الأخرى فإن جرائم الايذاء والسرقات البسيطة والجرائم الجنسية تقل مع قصر القامة وكذلك الحال فى علاقة الوزن بالجريمة ، فإن جرائم القتل وجرائم الجنس تزيد كلما زاد وزن الجسم ، وتقل السرقات مع قلة الوزن (١) .

وكذلك كان العالم « شيلدون » يعتقد أن السلوك الإنسانى بوجه عام ليس إلا وظيفة ناشئة عن بناء جسمى معين ، ولتحقيق هذا الفرض قام دراسة مستفيضة تناولت (٢٠٠) من الجانحين الذين حولوا إلى أحد المراكز الإجتماعية الطبية والنفسية فى مدينة « بوسطن » الأمريكية خلال سنوات (١٩٣٩-١٩٤٩)، ونتيجة الفحوص الطبية والنفسية والعقلية المختلفة التى أجراها ، وجد أن هؤلاء الجانحين يختلفون عن غير الجانحين فى تكوينهم الجسمى ، وفى تكوينهم المزاجى ،

---

(1) Reckless, Op. Cit., pp. 33 — 34.

وفى تكوينهم العقلى ، وأن مثل هذه الاختلافات تشكل دونية أو إنحطاطية معينة وهى مورثة .

والمراهقة تعتبر من العوامل المؤثرة بدرجة كبيرة حيث يبلغ الجناح اقصى نسبته فى مطلع المراهقه أى من سن ١٣ تقريبا ، حيث التغيرات الفسيولوجية التى تصحب المراهقة ، لها أثر كبير على السلوك الجانح وخاصة إذا بدأ المراهق حياته العملية فى هذا السن وانتهى بذلك عهد الاشراف عليه فى كل من البيت والمدرسة ، وبدأ يتحرر من أى سلطة ضابطة ، بالاضافة إلى ماتتميز به هذه المرحلة من مظاهر النضج الجنسى ، وهذا النضج ذاته يفتح مجالا للسلوك المنحرف خاصة إذا ارتبط بالجهل أو الغباء أو الضعف العقلى أو مصاحبة قرناء السوء ، علاوة على ان كل قدرة جديدة تتضمن اغراء جـــديد ، فالقدرة الجنسية الجديدة تغرى بسلوك جنسى قد تحوله البيئـة الفاسدة إلى جناح مما يجعل لمرحلة المراهقة أهمية خاصة .

وللمراهقة عند الفتيات مظهر خاص ، هو تلك الازمات الشهرية التى كثيرا ماتصطحب بآلام واعياء جسمية شديدة . تجعل الفتاة أكثر استثارة وأقل ضبطا لنفسها ، وأهم جرائم فترة الطمث السرقة والاندفاعية وسوء السلوك الجنسى ، وما يرتبط به من انحرافات اخرى كالهرب والسهر خارج المنزل ، على اننا قد نصادف ايضا أنواعا أخرى من الجناح كالسلوك العنيف والتهديد بالقتل أو الانتحار أو محاولتها ، وأكثر الانحرافات التى تحدث عند الفتيات فى السنتين الاوليتين من المراهقة قبل أن تستقر الدورة الجنسية ، على انه قد يظهر بعد ذلك إذا تعرضت الفتاة لصدمة انفعاليـــة شديدة ، كالخيبة فى الحب أو الفشل فى الزواج .. الخ .

وقد اتضح من الاحصاءات الرسمية فى الولايات المتحدة الامريكية أن الفترة التى يزداد فيها الجناح تتراوح بين المراهقة المبكرة والشباب اليافع ، وأن فترة المراهقة هى الفترة الرئيسية التى يحدث خلالها السلوك الإجرامى ، وأن أكثر فئات السن التى تمثل امام محاكم الأحداث هى الفترة من (١٥ - ١٦) عاما (١).

أما بالنسبة لإنجلترا وويلز ، فقد اتضح أن أكثر عدد من الجرائم يرتكبه أحـــداث فى سن (١٤ - ١٨) بالنسبة للذكور والإناث على السواء كما يزداد ارتكاب الأحداث للجرائم الخطيرة فى هذه الفترة من العمر .

أما بالنسبة لجمهورية مصر العربية فتشير بعض الاحصاءات إلى أن نسبة المتهمين فى جناح الأحداث يتراوح أعمارهم بين (١١ - ١٥) عاما (٢) .

٢ - العوامل العقلية :

أ - العوامل العقلية الوراثية :

وتتضمن هذه المجموعة عوامل النقص العقلى أو الغباء أو الذكاء والقدرات الخاصة . فالقصور العقلى يؤدى إلى ضعف التمييز بين السلوك السوى والسلوك المنحرف ، وتتميز انحرافات ضعاف العقول والأغبياء بالحماقة وسهولة الاكتشاف وتفاهة الهدف ، ومن السهل الاستدلال عليها ، كحالات السكر والإدمان والسرقة البسيطة والجرائم الوحشية والهمجية كالقتل بطريقة ظاهرة واشعال الحراق . . . الخ وكلما قل حظ الجانح من الذكاء كانت جريمته أقرب إلى القسوة والتحطيم ، والأغبياء غالبا ما ينزعون إلى السرقة ، وأغلب انحرافات ناقصى

(1) M. Neumeyer, "Juvenile Delinquency in Modern Society" New York. D. Van Nostrand Comp Inc., 1961, PP. 342 — 343.

(٢) سيد عويس ، انحراف الأحداث فى مصر ، مجلة الأمن العام : أكتوبر ١٩٥٨ ، ص ٧٧ .

العقل من الإناث نتيجـــة إلى الانحرافات الجنسية ، وإذا عوقب مثل هؤلاء الأحداث فإنهم غالبا ما يهربون من البيت أو من المدرسة ثم يلجأون إلى الكذب والغش ومحاولة التنصل بأى وسيلة . كما يسهل على رؤساء العصابات استهواء مثل هؤلاء الأحداث ويسخرونهم لترويج تجارة المخدرات أو استخدام الخادمات فى كشف أسرار البيوت تمهيدا لسرقتها .

ويقول « جودارد Goddard » أن السلوك الاجرامى أو السلوك المنحرف ينتقل بالوراثة وذلك عندما يكون الشخص الذى أنحدر من العائلة مصابا بضعف العقل . وقد ذكر ذلك فى الدراسة التى تناول فيها جانبين أحدهما يتعلق بالذرية التى انحدرت عن زواج « مارتن » الأب بأمرأة متخلفة العقل ، كان قد أتصل بها خلال خدمته العسكرية ، فحملت بطفل غير شرعى صار هو الأب الأكبر لعائلة كبيرة بلغ عددها (٤٨٠) شخصا ، والجانب الثانى ينحدر عن امرأة سوية كان « مارتن » الأب قد تزوج بها بعد عودته من موطنه فى أعقاب الثورة . وقد نشأ من هذه العائلة ما يزيد عن (٤٩٦) شخصا . وقد وجد « جودارد » نتيجة هذه الدراسة أن العائلة الأولى كانت قد انجبت (١٤٣) شخصا من ضعاف العقول ، (٣٦) شخصا غير شرعى ، (٣٣) بغياً ، (٢٤) مدمنا على الكحول ، (٨٢) ماتوا فى مرحـــلة الطفولة ، (٣) من المجرمين ، (٨) يديرون بيوتا للدعارة (٣) مرضى الصرع .

أما الجانب الثانى لتلك العائلة « عائلة الكاليكاك » The Kalikak Family التى انحدرت عن المرأة السوية فقد وجد « جودارد » أن افراد هذه العائلة كانوا جميعا أسوياء ما عدا (٢) منهم كانوا مدمنى الكحول ، وشخص واحد مصاب بعقله ، وظهر أن غالبية أفراد هذا الجانب من عائلة « الكاليكاك » كانوا

من الأشخاص البارزين فى أعمالهم ومهنهم حيث كان منهم المحامون والأطباء والقضاة وغيرهم (١) .

أما عن علاقة الأمراض العقلية بالسلوك الإجرامى فقد وجد وارن دنهام Waren Dunham فى دراسة أجراها على نزلاء المستشفيات العقلية بولاية الينوى الأمريكية أن ٢٤ ٪ منهم وعددهم (٨٧) حالة كان عندهم إجرام أو جنوح سابق على دخولهم المستشفى . وفى دراسة أخرى قام بها الطبيب الأمريكى « أركسون Milton Arickson » لنزلاء إحدى المصحات العقلية بولاية متشيجان الأمريكية أن من بين (١٢٦٢) مريضا بالذهان كان ٢١ ٪ منهم قد أرتكب جريمة ما وأن ٤ ٪ منهم كانوا قد هددوا بإرتكاب جريمة ما دون أن يقوموا فعلا بتنفيذها (٢) .

ورغم وجود اتفاق فى نتائج هذه البحوث على أرتفاع نسبة النقص العقلى بين المجرمين إلا أن تفسير هذه النتائج كان مثار خلاف شديد وقد تعددت هذه التفسيرات (٣) :

١ — فنها من يقرر أن المجرم ناقص العقل هو نوع من المجرم بالميلاد وأنه أبله من الناحية الخلقية (ويمثل هذا الرأى « لمبروزو ») ،

٢ - ومنها ما يرى أن النقص العقلى وحدة وراثية ترتبط بالمجرمين حسب قانون مندل .

(1) Gillin, Op. Cit., pp. 122 — 123

(2) Sutherland, Prihciples of Criminology, Op. Cit., p. 122.

(٣) محمد عارف ، الجريمة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٩٥ .

٣ - ومنها ما يرى أن ناقص العقل يرتكب الجرائم الخطيرة العنيفة كجرائم الأعتداء والجرائم الجنسية ، وذلك إما بسبب افتقاره إلى الذكاء الذى يحقق حاجاته بالطرق والوسائل المباشرة ، إما لعجزه عن التحكم فى دوافعه .

٤ - ومن التفسيرات ما يرى إن ناقص العقل عاجز عن إدراك القيم الإجتماعية فى الوسط الثقافى الذى يعيش فيه بما فى ذلك تلك القيم الخاصة بتحديد ما هو خطأ أو صواب فى السلوك والتصرف .

٥ - ومنها ما يرى أن ناقص العقل يعجز عن إدراك النتائج لأعماله ولذلك لا يردعه التهديد بالعقاب .

٦ - وأخرى ترى ناقص العقل لديه قابلية للايحاء ، واذا ينقاد لقيادات إجرامية من جانب أشخاص أذكياء ، ولذا فإن وجود النقص العقلى لدى بعض الأحداث الذين يعيشون فى مناطق بعضها يعم فيها الأمثلة الجانحة - يؤدى إلى الجريمة .

غير أن الإجرام والجناح ليسا مرتبطين دائما بالنقص العقلى والغباء فقط ولكن مرتبطا أيضا بالذكاء المرتفع ، فأقصى أنواع الجرائم يقوم بها أشخاص متفوقون فى الذكاء ، وتتميز هذه الجرائم بإتقان رسم خطتها ، ومن أمثلتها الجرائم الإنتقامية كالقتل والاتلاف وجرائم التزوير والنصب والاحتيال وتدبير المؤامرات ، والأغلب أن يكون سبب الجناح فى هذه الحالات هو التفوق الذهنى ولكن إذا وجد الفرد الذكى فى بيئة لا تقدر ذكائه ولا تهيئ له الفرص لاستغلاله بطريقة ملائمة ، كوجوده فى فرقة دراسية لا تتناسب مع قدراته ، أو إلتحاقه بعمل لا يحقق طموحه ، أو إختلاطه بزملاءه الأثرياء الذين يشعرونه شعورا حادا بفقره مما يدفعه إلى رسم خطط السرقة .

والقدرات الخاصة أيضا لها تأثيرها على الانحراف ، فالقدرة اللفظية مثلا تجعل الجانح يبرع فى انتحال المعاذير وماهر فى خلق الأسباب المنطقية غير الواقعية مما يسهل الانحراف ، كما أن القدرة الخيالية تساعد على الاختراع وتكوين صور عقلية خيالية قد ينزع إلى تحقيقها .

- العوامل العقلية المكتسبة :

وكما أن العوامل العقلية الموروثة لها تأثيرها الملموس على الانحراف فإن العوامل العقلية المكتسبة لا تقل أهمية عنها ، وتتضمن هذه العوامل : الجهل ، ونقص التعليم ، والتأخر الدراسى ، والانحرافات كثيرا ما توجد فى البيئات التى ينتشر فيها الجهل والمعتقدات الخرافية ، والسلوك البدائى خاصة فى مواطن الانحراف حيث تمتص القيم الإجرامية ، ويتم تقمص شخصيات المجرمين الذين يؤمنون بأن الغزو والسطو والعدوان ورعب الغير شجاعة ، وعندئذ يتصور الأحداث أن أحسن الناس هم الذين يعتمدون على الناس ويرهبونهم ، ويتصورون أن النشالين هم أمهر الناس ، ومن يضلل الشرطة هو أذكى الناس . . الخ .

ومناطق الجناح تزود الأطفال والمراهقين والبالغين على السواء بظروف ومواقف تساعد على تكوين الجناح ، أو تقود إلى ارتكاب الجريمة ، هذا ما تؤيده بعض الدراسات العلمية فى هذا المجال ، حيث أظهرت كيف أن منطقة الجناح هذه تشكل المناخ الملائم لإقامة بعض عتاة المجرمين ، وهؤلاء لا شك يتقدمون للصغير والبالغ كمثلا أعلى للمجرم الناجح ، فالمجرم الجديد غالبا ما يسعى إلى الاحتذاء بمثل إجرامى ناجح حقق لنفسه كل أسباب الشهرة والنجاح .

وهو لذلك يبحث عن هذا الرجل فى كل مكان لينسج على منواله ويهيء نفسه للدخول فى عالم الجريمة (١).

وهناك اتجاهان شائعان بين غالبية الباحثين للتأكيد على معدلات الانحراف تزداد مع نقصان مستوى التعليم للأفراد ، وهذه ظاهرة عامة تكاد تشير إليها غالبية الدراسات التى اجريت على نزلاء السجون والمؤسسات الاصلاحية فى أكثر أقطار العالم . وفى أمريكا بالذات قد وجد أحد الباحثين أن نسبة الأميين بين سجناء أمريكا كانت ١٧٪ فى عام ١٩٣١ ، وتراوحت بين ١٠٪ ، ٣٠٪ حتى عام ١٩٥٣ (٢) . ومع ذلك فإن هذه النسبة تختلف من بلد لآخر ومن جريمة لأخـــرى .

٣ — العوامل النفسية :

إن العوامل النفسية للانحراف لايمكن فصلها عن العوامل الأخرى ، فهى ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، ولا شك أن جميع العوامل سواء كانت عوامل جسمية أو عقلية أو بيئية لايكون لها ثمة خطر إلا بارتباطها بالعامل النفسى الذى يدفع ويوجه إلى سلوك معين ، ويتعين علينا حتى ندرك خطر العوامل النفسية فى السلوك أن نتعرف على حقيقة السلوك الانسانى ، وهذا السلوك فى الواقع سواء أكان سلوكا سويا أم سلوكا منحرفا ليس إلا محاوله نفسية حيوية تسعى إلى تحقيق تلاؤم الفرد مع مقتضيات الحياة ، وهذه العملية تتم بطريقة لاشعورية لايحس بها الفرد

---

(1) Austin H. Haccormic, « Education in the Prison of Tomorrow, in Japan Contemporary Correction, New York, Mc Graw—Hill, 1951 PP. 224—237.

(2) Ruth Shoul Cavan, «Criminology», Op. Cit., P 74.

فى أول الأمر ثم تتخـذ طريقها إلى الشعور فتبدو حينئذ مظاهر السـلوك الذى يتأثر به المجتمع بالرضا إذا جاء خاضعا لقيوده وأحكامه ، أو بالسخط إذا خرج عن النمط المتعارف عليه فى المجتمع ، وهذا النـوع الأخير هو ما نطلق عليه السلوك المنحرف .

ومن الواضح أن العناية بتقصى العوامل النفسية التى أدت إلى السلوك المنحرف إنما تحقق فهما حقيقيا بحيث يبدو حينئذ متوقعا بل وضروريا لتوفير التلاؤم الحيوى للفرد ، وهذا الفهم هو الذى يوصلنا إلى عــلاج الانحراف ، ويلقى الضوء على تلك الجوانب الخفية التى تقوم بالدور الأساسى فى تحـديد السلوك واتخاذه طابعا معينا ، وقد أصبحت العوامل النفسية لاتهم علماء النفس وحدهم وإنما اتجه علم الإجرام الحديث وهو العلم الذى يقوم على تقصى أسباب الجريمة إلى دراسة العوامل النفسية ومعرفتها ، فنشأ بذلك علم النفس الجنائى وهو العلم الذى يقوم ببحث أسباب الجريمة فى نفوس المنحرفين ، اى بحث العــوامل النفسية التى تؤدى إلى الانحراف والجريمة ، وقد أصبح هذا العلم يحتـل مكانا بارزا فى العلوم الجنائية الحديثة .

وقد توصل هذا العلم إلى القاء الضوء على الدوافع الحقيقية للاجرام ، هـذه الدوافع التى تكون عادة خفية غير ملموسة ، وقد كان للمدرسة الوضعية الفضل الاول فى توجيه علم الإجرام الى العوامل النفسية ، ذلك أنها اهتمت بدراسة شخص المجرم وبحث الدوافع الحقيقية للاجرام . بيد أن هناك جهـودا قامت لمحاولة دراسة السلوك الجانح تحمل الطابع النفسى ، ومعظم هذه الجهود تحمل وجهة نظر التحليل النفسى (١) . وقــد قدمت هذه النظرية للفكر مجالا خصبا

(1) J. Mcdavid & B Mccandless, «Psychological Theory =

لدراسة خبرات الطفولة المبكرة كأساس للسلوك اللاحق ، وقد ادى ذلك منطقيا إلى اهتمام بدراسة السلوك الجانح لدى الطفل(١) . وقد كان « وليم هيلى » أول من اهتم بدراسة التاريخ الأسرى فى تشعباته العديدة وأكد على أهمية الحياة الانفعالية للطفولة المبكرة ، وما لها من دلالة فى سلوك الحدث ، كما أكد بشدة على أهمية تعدد العوامل المسببة للجناح .

كما أشار « سيرل بيرت » Cyril Brut إلى وجود علاقة بين الطفل وبين أبويه لها أهميتها فى ظهور بعض هذه الاضطرابات الانفعالية ، وقد اكتشف أن نسبة ٨٥٪ من الاحداث الجانحين الذين درسهم كانوا يعانون من مشكلات انفعالية أو عاطفية(٢) .

وكذلك فعل « وليام هيلى » برونر » Healy & Bronner » فى دراستهما المقارنة التى اجريت على مجموعتين من الأحداث الجانحين وغير الجانحين بلغت كل منهما « ١٠٥ » حدثا ، حيث ظهر أن ما لا يقل عن ٩٠٪ من مجموعة الاحداث الجانحين يعانون من مشكلات انفعالية نتيجة لتعرضهم لعقبات معينة أو بعض الخبرات الخاطئة(٣) .

= Research and Juvenile Delinquency,» The Journal of Criminal Law, Criminology and Polise Sience March 1962, pp. 1—4.

(١) محمد عارف ، الجريمة فى المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ، طبعة أولى ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٨٣ .

(2) Don C. Gibbons, «Society and Criminal Carreers,» Op. Cit., P. 162.

(٣) محمد عارف ، الجريمة والمجتمع ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٨٩

كما ذكر « ايكهورن » عاملا هاما آخر من العوامل النفسية وهو نمو « الأنا ego » و « الأنا الاعلى Super ego » نموا خاطئا ، بسبب فشل عملية التطبيع الاجتماعي خلال فترة الطفولة ، ومن شأن هذا النمو الخاطىء أن يضعف من قدرة الفرد على التحكم فى دوافعه ، ومن ثم ينشأ الجناح عن عجز الأنا والانا الأعلى عن ان يسيطر على النزعات الانفعالية . كما اهتمت دراسات « هيلى وبرونر » بدور الصراعات النفسية والاساس الانفعالى الفردى فى نشأة الجناح ، كما ذكر « برت » إن الظروف الانفعالية والخلقية فى الأسرة أكثر أهمية من الظروف العقلية والمادية (٢) .

وبعد ذلك اتجهت الدراسات والبحوث إلى دراسة أثر العلاقات الانفعالية بين الآباء والابناء وبين الآباء وبعضهم ببعض على تشكيل شخصية الحدث ، وإلى دراسة بعض الموضوعات الخاصة مثل المبالغة فى الرعاية من جانب الأم والمنافسة بين الأخوة .. الخ ، كما تناولت البحوث كذلك دراسة خبرات الطفولة المبكرة ، التى تؤدى إلى توقف نمو الشخصية ، وتوضيح أثر ذلك فى السلوك الجانح ، خاصة تلك الخبرات التى تتصل بالصد الأموى ، والخبرات الصادمة ، والانفصال عن الأم خلال الخمس سنوات الاولى من حياة الطفل . ثم أشارت الدراسات الى أن قوة الضمير وثباته يعتمدان بشكل مباشر على قوة علاقات الحب الاولى من جانب الطفل ، وتمدد هذه العلاقات ، وان ضعف الروابط العاطفية الأولى تنعكس من ضعف الانا الاعلى والضمير . ثم بعد ذلك اجريت الدراسات المفصلة للاسباب النفسية الدينامية التى تؤدى الى عدد من

(3) Gibbon Society Crime and Criminal Carreer, Op. Cit., P. 163.

المظاهر العصابية التي تأخذ صور الجناح : كالعدوان العنيف والسرقة والهرب وقد لاحظ الكثيرون من رجال التحليل النفسي تكرار « البوال » بين الجانحين، مما أدى الى ادعائهم بقيام العلاقة بين « البوال » والجناح .

وقد استمرت الدراسات في توسيع نطاق المعرفة بأثر الحياة الاسرية في السلوك الجانح متناولة صور الصدع الأسرى، والتربية القاصرة ، والجو الأسرى التعيس . والشقاق العائلي .. الخ وآثار ذلك في السلوك(١) .

أما أصحاب مدرسة التحليل النفسي فهم يفسرون الجريمة تفسيرا نفسيا يقوم على عوامل مكتسبة ، تتكون خلال مراحل تطـــور الشخصية ، وبوجه خاص ، مرحلة الطفولة المبكرة ، فهم يؤكدون على هذه المرحـلة بالذات ، وجعلها حجر الزاوية في توجيه مصير الفرد ومستقبل صحته النفسية والعقلية . والمقصود بهذا القول ان مختلف الاتجاهات النفسية الأساسية للفرد تتكون خلال هذه الفترة ولكنها تندثر بين طيات اللاشعور ، لتصبح في النهاية بواعث كامنة ومحركات لاشعورية . ويقول « فرانز الكسندر Franz Alexander » أن التحليل النفسي هو التفسير الذي لا مفر منه في حالة بعض الاشخاص الذين تبدو جرائمهم على درجة من التعقيد ، وعدم وضوح البواعث الحقيقية ، وقد اشار « الكسندر » إلى ان هناك صنفا واحدا من المجرمين هو الذي يمكن الجزم فيه بأن سبب الجريمة يرجع الى دوافع لاشعورية خفية لايمكن كشفها الا بالتحليل النفسي ، وهذا يشكل نوعا من الاضطرابات العصابية النفسية التي تنشأ عن صراعات لاشعورية حادة (٢) .

---

(١) محمد عارف ، الجريمة ، مرجع سابق ذكره ، ص٢٩١ .

(2) Franz Alexander & Hugo Staub, The Criminal, The Judge and The Public A Psychological Analysis, Op. Cit., pp. 53—54.

ومن هنا يرى أنصار هذه المدرسة ان المجرم انسان أخفق فى ترويض دوافعه الاولية ، او فشل فى اعلائها بأنماط سلوكية مقبولة ، ولاجل ذلك فان السلوك الاجرامى ليس الا تعبيرا سلوكيا مباشرا عن دوافع غريزية كامنه حينا ، أو هو تعبير رمزى عن رغبات مكبوتة ممنوعة حينا آخر ، وقد اهتمت هذه المدرســـة بعقدة أوديب The Oedipus Complex كاساس آخر لتفسير السلوك الاجرامى . وهناك عامل آخر اشارت له هذه المدرسة وهو عقدة الذنب أو الخطيئة ، وبمقتضاه يكون السلوك الاجرامى نتيجـــة لصراع شديد ينشأ بين « الهو » Id غير العاقلة ، وبين « الذات العليا Super Ego » وذلك على حساب « الأنا Ego » أو الذات العاقلة ، وفى هذه الحالة لابد للذات العاقلة ان تشعر بالذنب أو بالخطيئة ، ولكى يتخلص الفرد من حدة هذا الصراع الحاد ، تسعى الانا العاقلة الى طلب العقاب تكفيرا لشعورها بالذنب ، ولا بد لتحقيق ذلك ان يتورط الفرد فى ارتكاب جريمة لكى ينال عقابها ، وهذا كل مايصبو اليه وينشده ، اذ هو يسعى الى عقاب النفس أو ايلامها ، ليخف عنها وطأة عقدة الذنب التى تلازمه ، والتى لم يجد الوسيلة لتصفيتها بغير سلوك هذا المسلك (١) .

وقد اوضح « الكسندر وهيلى » بعض الاسباب الخفية التى ظهرت من خلال دراستهما المشتركة لأسباب الجريمة : ان وراء السلوك الجانح لشخص اعتاد الجريمة اسبابا اربعة هى (٢) :

١ ـ التعويض المفرط عن الشعور بالنقص .

٢ ـ محاولة التخفيف من حدة الشعور بالذنب .

---

(1) Franz Alexander , Ibid., PP. 275 – 287.

(2) Franz Alexander , Ibid., P. 288.

٣ - السلوك الانتقامى نكاية بالأم .

٤ - محاولة أرضاء كافة الدوافع ارضاء كاملا .

كما أظهرت دراسة أخرى لفتاة اعتادت السرقة المتكررة من المخازن التجارية ان الباعث الخفى وراء مثل هذه السرقات المتكررة ، كان الشعور بالقيام بعمل خطير يلفت الانظار من جهة ، ومن الجهة الآخرى طلب العقاب ، الذى يزيح عن النفس الشعور بالذنب (١) .

ويظهر أن أول اتجاه تحليلى لتفسير السلوك الاجرامى ذلك الذى ظهر فى كتـــاب « الحدث المتمرد Wayward Youth » للطبيب النمساوى « اوجست اكهورن August Aichhorn » الذى كان مديرا لإحدى اصلاحيات الاحـــداث منذ بداية هذا القرن ، وقد كان أول من حاول تطبيق فرضيات « فرويد » فى التحليل النفسى على احداث تلك المؤسسة التى كان يعمل بها ، وكانت بحوثه فى هذا المجال رائدة لكل من خلفه فى تطبيق هذا الاتجاه العلمى الجديد فى تفسير السلوك الاجرامى . لقد وصف « أكهورن » أنواعا مختلفة من الاحـــداث الجانحين ووضع لكل منهم تفسيرا تحليليا معينا ، فهناك الحدث العصابى ، وهناك الحدث العدوانى ، الحدث الذى لم تتطور ذاته العليا ، وقال أن جميع هؤلاء تنقصهم القدرة على كبت دوافعهم الغريزية ، كما وأن بعضهم يعانون من الحرمان الشديد من العطف فى حياتهم (٢) .

---

(1) Frarz Alexander , Loc , Cit.

(2) August Aichhorn, (Waywar Youth,) Meridian Books, 1955, P. 115.

ويرى فريق آخر من العلماء ان السلوك الاجرامى هو حصيلة صراعات لا شعورية خفية يعانى منها المجرم فترة طويلة ، وقد تعرض البعض الآخر من العلماء لتوضيح أثر البيئة على تكوين بعض هذه الصراعات ، ولكنهم أعطوها دورا مساعدا نسبيا ، قد يساعد على تعجيل الانفجار السلوكى دون ان يكون له دور فى تكوينه (١) .

كما أن البعض الثالث من العلماء ذكروا عاملا نفسيا آخر لجنوح الاحداث وهو تشجيع الآباء لابنائهم على مثل هذا الجنوح وذلك اشباعا لرغبات مكبوته لدى الآباء ، لم يجدوا سبيلا الى اشباعها الا عن طريق جنوح صغارهم (٢) .

وبالرغم من هذه التحليلات العلمية الحديثة لطبيعة السلوك المنحرف، وبالرغم من قيام المنهج التجريبى فى كثير منها الا أننا سوف نقول أن لكل مشكلة انحراف فرديتها الخاصة كما أن لكل طفل منحرف فرديته الخاصة ، ولذلك قد نأخذ بهذه العوامل كلها أو بعضها كما يتناسب مع تلك الفردية علما بأن العوامل الذاتية متكاملة - فى تأثيرها على السلوك المنحرف - مع العوامل البيئية وقد يكون كل منها سببا للآخر ، وليست هناك مشكلات انحرافية تخلو من تأثير العاملين معا .

---

(1) Kate Friedlander (The Psychoanalytic Approach to Juvenile Delinquency), Op. Cit , P. 159

(2) K. R. Elssler, (Search Hights on Delinquency), New York, International Universities Press, 1949, pp. 225 – 245.

الفصل الثالث

العوامل البيئية

١ - عوامل البيئة الداخلية

٢ - عوامل البيئة الخارجية

ثانيـا : العوامل البيئية :

١ - عوامل البيئة الداخلية : ان وجود الحدث فى أسرة معينة هو السبيل الى تكوين شعوره الاول بالانتماء الى جماعة أولية هو جزء ضرورى منها ، وهذا لاشك يقوده الى تحقيق انتماءات أخرى لجماعات أولية أخرى (١). ولذلك تعتبر الأسرة من أهم العوامل البيئية المسببة للانحراف ، وهى العامل المشترك الذى يقف عنده كل باحث فى طبيعة الجنوح ، وكيف لا هى مهد الشخصية The Cradle of Personality التى تمده بخبرات الحياة ، وهى الجماعة الاولية التى ينتمى اليها الفرد دون اختيار منه

ويقول البعض أن الاسرة هى المسئولة عن تكوين نمط شخصية الفرد وهو الاطار العام الذى يغطى جميع الادوار الاجتماعية المختلفة التى يلعبها الفرد على مسرح الحياة ، وهى الأساس الذى يحيط باستجابات الفرد المختلفة تجاه بيئته التى يعيش فيها (٢)/ ويذكر آخرون ان الاسرة مسئولة عن تكوين اخلاقيات الفرد بوجه عام ، كاتجاهاته نحو الامانة ، أو النزاهة أو الصدق أو الوفاء أو بقية قيمة الاخلاقية الاخرى ، فالاسرة هى التى تكفل المأوى الصـالح للطفل ، وتغذى طفولته بالأمن والطمأنينة ، وتبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر ، وتمكنه من الحصـــول على المستوى الصحى اللازم ، وتهيىء له الكيان الاجتماعى ، وتدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة ، كما تدربه

---

(1) Donald Taft, Criminology, Op.Cit., PP. 194-186.

(1) Cliford Shaw, (The Jeck Ruller), Uuiversity of Chicago Press, 1930, P. 219.

على التجاوب مع المواقف الانسانية التي تبرز العواطف الكبيرة : كالحب والخوف والغضب ، وتغذى فيه حب الحياة في مجتمع صغير تسوده الملاقات الانسانية البسيطة الرحيمة ، ولذلك يمكن القول ان تقصير المنزل في أداء رسالته كاملة يعتبر من العوامل البيئية الهامة التي قد تؤدى الى الانحراف .

فالتوتر بين الأبوين الناتج من الاختلافات والمشاجرات الدائمة بينهما قد يجعل جو المنزل متوترا ويصبح بيئة غير صالحة لتنشئة الطفل حيث نرى الطفل حائرا بين خضوعه للأب أو خضوعه للام ، وقد يلجأ الطفل الى أن يستخدم أحد الأبوين ضد الآخر ، وقد يستخدم احد الابوين الطفل بنفس الطريقة ، أو قد يهمل كلا الابوين الطفل ، وعندها يصاب الطفل بالتوتر الانفعالي الذي يعوق نمو الشعور بالأمان ، وبالتالي يهيىء الطفل للانحراف .

ومن خلال دراسة مستفيضة تناولت (١٠٠٠) حدث جانح في مدينة شيكاغو الامريكية وجد « هيلي » ان البيت غير الملائم يشكل نسبة ٢٢ ٪ من مجموع العوامل التي يمكن أن يكون لها صلة بجنوح الأحداث، وفي دراسة لاحقة أخرى لالف (١٠٠٠) حدث آخر وجد هذا العالم أن هذه النسبة قد ارتفعت الى ٤٦ ٪ ، وبوجه خاص تلك الحالات التي انعدم فيها ضبط الوالدين أو ضعف بشكل كبير (١) ، وقد ظهرت نتائج احد البحوث عن تكيف الشخصية عند الاطفال بسبب تغير الاسباب المنزلية التي تؤدى الى التوتر ، فثبت ان الذين نشأوا في منازل تتصف بالشقاء العائلي أو السلوك الأبوى غير السليم

---

(1) Healy Willian, " The Individual Delinquent, Boston, Little Brown, 1913, pp 130—134.

أقل تكيفا من الأطفال الذين نشأوا فى بيوت يتوفر فيها الثقة والحنان والحب ، وقد أشار هذا البحث إلى أهمية العلاقات الأسرية التى تتسم بالتفاهم والاتفاق بالنسبة للصحة النفسية السليمة والنمو الإجتماعى .

أما البيوت المحطمة Broken Homes بسبب فقدان الأبوين أو إحداهما : بالموت أو السجن أو المرض أو الانفصال . . . الخ كثيرا ما تؤدى إلى نتائج سيئة تهيء للإنحراف ، فقد يصاب الطفل بالقلق بسبب غياب هذا الوالد ، أو بسبب رد الفعل الذى نجده عند الطرف الآخر من الوالدين . وقد يصحب الانفصال والطلاق فى معظم الحالات توترات إنفعالية للأطفال مما يعرضهم للإنحراف ، حيث يتنازعهم بيتان وسلطتان مما يترتب عليه اختلاف فى المعاملة وتذبذبها وسوء فى استخدام السلطة الضابطة ، وفقدان للأمن والطمأنينة ، مما يؤدى بهم إلى البحث عنها فى أماكن أخرى غالبا ما تكون منحرفة ، وقد تكون فى أغلب الأحيان وكرا للأحداث المنحرفين أو أصدقاء السوء ، وهكذا تؤثر البيوت المحطمة على التكيف الانفعالى عند الأطفال ، وتقف حجر عثرة دون اشباع حاجاتهم الأساسية ، وتمنع من إكتساب المهارات الإجتماعية اللازمة لنمو الشخصية وبذلك تصبح نفسية الأطفال مهيئة للانحراف .

وقد حاول البعض تشخيص السمات العامة للبيوت المتصدعة التى غالبا ما ترتبط بجنوح الأحداث بشكل أو بآخر ، وقد ذكر العالم الأمريكى « سذرلاند » أن مثل هذه البيوت عن الحالات التالية (١) .

١ — البيوت التى يكون بعض أفـــرادها أو غالبيتهم من ذوى الميول

(1) Sutherland, Principles of Criminology, Op. Cit., P. 172.

الإجرامية أو الميول اللاأخلاقية ، حيث تتوفر فيهم ظاهرة الأدمان على المسكرات .

٢ - البيوت التي يغيب عنها الأب أو الأم أو كليهما بسبب الوفاة أو الهجر أو الطلاق .

٣ - البيوت التي ينعدم أو يضعف فيها الضبط الاجتماعي بسبب جهل الوالدين أو بسبب وجود عاهة مستديمة أو بسبب المرض أو أي لون من ألوان النقائص الجسمية الأخرى .

٤ - البيوت التي تتميز بسيطرة شخص واحد عليها سيطرة مطلقة أو التي يشيع فيها التمييز في المعاملة ، وعدم التوافق ، أو عدم الإهتمام أو الغيرة الشديدة أو القسوة الشديدة ، أو تلك البيوت التي تزدحم بأفرادها بشكل كبير ، ويشيع فيها تدخل الأقارب في أغلب شئونها .

٥ - البيوت التي يشيع بين أفرادها التعصب العنصري ، أو التزمت الديني ، أو اختلاف المعتقدات أو المعايير الأخلاقية .

٦ - البيوت التي تعاني فقرا شديدا ، أو ضغوطا إقتصادية شديدة ، كحالة البطالة الدائمة ، وعدم كفاية دخل الأسرة ، أو اضطرار الأم للعمل الدائم خارج المنزل .

ويضيف « سذرلاند » قائلا أن البيوت المتصدعة بسبب الموت أو الطلاق أو الانفصال أو الهجر غالبا ما تكون سببا هاما في إنحراف الأحداث ، وهذا الإعتقاد موجود حتى في القبائل الجاهلة مثل قبيلة « البانتو أماكوزا » الموجودة في وسط أفريقيا وعندهم مثل يقول « البيض يفسد إذا ماتت الطيور الكبيرة »

وقد أشار أحد البحوث إلى أن نسبة ٣٠ - ٦٠ ٪ من الأحداث الجانحين جاءوا من بيوت متصدعة والنتائج تميل إلى التجمع حول نسبة ٤٠ ٪ فقط (١) .

وقد أشار « بولك Polk » إلى أنه قد وجد أن نسبة ٤٢ ٪ من الأحداث الجانحين الذين حولتهم الجهات القضائية إلى قسم المراقبة الإجتماعية جاءوا من بيوت متصدعة (٢) .

كما وجد « ناى Nye » أن نسبة ٢٤ ٪ من الأحداث الذين إنحرفوا فى المدارس الثانوية ، كما وجد أن نسبة الأطفال المنحرفين فى المدارس الصناعية تمثل ٤٨ ٪ وكلهم جاءوا من بيوت متصدعة (٣) .

ويمكن القول بصفة عامة أن هناك نوعا من الاتفاق بين الباحثين على أن الأحداث الذين ينشأون فى بيوت متصدعة أكثر إحتمالا أن يصبحوا جانحين بعكس الأحداث الذين ينشأون فى بيوت غير متصدعة ، ولكنهم يختلفون فى تحديد الدلالة العلمية لهذه الفروق (٤) .

---

(1) Edwin H. Sutherland & Donald R. Cressey, " Criminology ", J. B. Lippincott, Company, New York Hagers Town Philadephia, San Francisco, Tentg Edit. 1978, P. 215.

(2) Kenneth po'k, " A Note no the Relationship Between Broken Homes Disposition and Delinquency" Manuscript 1958.

(3) F. Ivan Nye. " Family Relationship and Delinquent Behavior, New York. Witey, 1958, pp. 43 — 48

(4) F. Nye, Ibid.' p. 41.

كما أن العلاقات العلاقات السيئة بين الوالدين والطفل التى تنتج عن الخلافات، والمشاجرات المستمرة تؤدى إلى سوء تكيف الطفل وتهيئه للانحراف ، وعندما يكثر الشجار والخلاف تظهر أمثلة متعددة للسلوك الخاطىء من الوالدين مثل : نبذ الطفل واهماله ، أو الحماية المفرطة والخضوع له ، أو السيطرة عليه ، أو تفضيل طفل على الآخر ، أو غيرة أحد الوالدين من الطفل ، وفى كل من هذه الحالات ، يظهر ما يسمى بالطفل المشكل الذى تتفاوت درجات أشكاله حتى تصل إلى الانحراف .

وقد لقيت علاقة الآباء بالابناء اهتماما بالغا من جانب الباحثين فى ميدان جناح الاحداث ، وان تفاوت مدى الاهتمام باختلاف هذه العناصر ، واختلف تقدير الباحثين لمدى أهمية أى منها بالنسبة للسلوك الجانح . وقد افرد « Nye » جزء من دراسته لتناول أثر العلاقة بين الآباء والابناء على سلوك الطفل ، مع مزيد من الاهتمام على دراسة علاقة الرفض والقبول بين الآباء والابناء ، وعلى التربية الاسرية ، والضبط فى الاسرة (الفصل الثامن كله من كتاب « Nye ») وقد وضع « ناى Nye » مصفوفة لعلاقة الرفض والقبول تتضمن تدرجا فى هذه العلاقات بين الآباء والابناء يتراوح بين القبول المتبادل بينهما إلى الرفض المتبادل ، وبين هذين الحدين توجد تدرجات تشير إلى قبول الطفل من جانب الام وحدها أو الأب وحده ، أو رفض للطفل من جانب احدهما دون الآخر ، كذلك قد يرفض الطفل أو يقبل أحد والديه أو كليهما معا . وقد اظهرت النتائج التى انتهت إليها الدراسة ان كلا من رفض الوالدين لطفلهما ، أو عدم تقبل الطفل لوالديه يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلوك الجانح ، كذلك أوضح علاقات ذات دلالة بين السلوك الجانح واتجاه الذكور والاناث نحـــو

آبائهما (١) . وقد أعطى « ناى Nye » أهمية كبيرة لعدم تقبل الأبناء لآبائهم أكثر مما أعطى من أهمية لرفض الوالدين لأبنائهما ، وذلك لأن عدم تقبل الوالدين لطفلهما قد يعقب السلوك الجانح أكثر مما يسبقه .

ونظرية الضبط الاجتماعى تفترض أن رابطة الحب للاشخاص التقليدين هى من أهم معقوبات الجريمة وكلما كانت هذه الرابطة قوية كلما أخـــذها الشخص فى اعتباره عندما أو إذا فكر فى ارتكاب الفعل الاجرامى ، والجرائم التى يرتكبها الاشخاص ذوى الإرتباطات القوية بالآخرين يبذلون جهدا كبيرا فى عدم اكتشاف انحرافاتهم ويترددون كثيرا عند القيام بأى مغامرة انحرافية خوفا من ان يعرف من له ارتباطات قوية بهم وهذا يبرهن على قوة ارتباطه حتى وهو مقدم على ارتكاب الجريمة(٢) .

والصورة التى توضحها نظرية الجنوح هى أن الطفل الذى يفتقد الأسرة أو على الأقل التى لا يهتم بسعادته أو بؤسه يكون معرضا للجنوح أكثر من غيره ، وحيث أن معظم الأفعال الجانحة ترتكب خارج نطاق المنزل وحيث أن القليل جدا من الأفعال الجانحة ترتكب بتحريض من الآباء وحيث أن معظم الجرائم التى تكتشف تتسبب فى حرج الآباء أو إزعاجهم فليس مثيرا للاندهاش أن يكون الجانح متصفا بعدم الارتباط بالآباء ماديا وعاطفيا ، ولكن الفراغ الإجتماعى يعارض الافتراض القائل إن الفعل الجانح له دوافع ايجابية (٣) .

---

(1) Nye, Ibid., P. 96.

(2) Travis Hirschi, Causes of Delinquency, Op Cit., P. 82.

(3) Muzafer Sherif & Carl n W. Sherif, Reference Groups : Explarations into Conformity and Dev ation of Adolessents (New York : Harper & Row, 1964, pp, 271-273)

فإذا كان هناك موجهات معيارية وإذا كان الفرد يحتاج إلى التأييد الإجتماعى لما يقوم به من أفعال ، فإن هناك من هم على استعداد لامتداح تصرفاته التى قد يشجبها الآباء ، وكنتيجة لذلك كما ورد فى معظم نظريات الجنوح تلعب العصابة (الشلة) Gange الدور الذى يملأ الفراغ الناتج عن الاغتراب عن الآباء (١).

وعلى الرغم مما تذكره بعض النظريات وما يتجاهله البعض الآخر فإن الحقيقة تبقى وهى أن الجانحين أقل ارتباطا بوالديهم من غـــير الجانحين . وهناك تفسيرات كثيرة للارتباط بالآباء التقليديين فى ضوء نظرية الانحراف الثقافى، فالطفل غير المرتبط بوالديه أكثر عرضة للتأثيرات الإجرامية أو بعبارة أخرى فهو أكثر استعدادا للانضمام لشلة المنحرفين . أما النظرية الإنفعالية فيبدو أنها تواجهه صعوبة فى تفسير علاقـة الارتباط مع الآباء بالجنـوح ، ولذلك فإن واضعوا النظرية الإنفعالية كثيرا ما يتجاهلون هذه العلاقة . اما نظرية الضبط الإجتماعى فهى النظرية الوحيدة التى يظهر فيها الإرتباط بالآباء كتغير رئيسى ، كما أنها تتضمن تفسيرات متنوعة لهذه الرابطة وربما كان اهتمامها الرئيسى موجها للربط بين الإرتباط بالآباء ومدى ملاءمة التنشئة الإجتماعية التى من خلالها تستدمج القيم والمعايير . وكما هو معروف جيدا فإن الإرتباط العاطفى بين الآباء والأطفال يمثل القنطرة التى تمر عليها مثـل الآباء وتوقعاتهم (٢) . فاذا تغرب الطفل عن أبيه فلن يشعر بأهمية القوانين أو لن يتكون عنده الاحساس بالمثل الإخلاقية ولن ينمو عنده الضمير أو الأنا الاعلى Conscience or

---

(1) Travis, Hirschi, Op C·t., P. 83.

(2) David G Mckinley, Social Class and Family Life, New York : The Free Préss, 1964, P. 57.

Superego (1) . وكما يرى علماء النفس فان الإنفصال العاطفى عن أى من الوالدين وخصوصا الأم يعد أكثر أهمية من نقص أو ضعف الإرتباط المادى بالأم (٢) وعلى أساس هذه الدلائل المتنوعة يبدو أن هناك اتجاها قويا للاعتقاد بأن الإنفصال الطويل للطفل عن أمه أو وجوده مع أم بديلة خـــلال الخمس سنوات الأولى من حياته هى من أهم أسباب السلوك الجانح والمنحرف(٣).

والانهيار الخلقى فى الاسرة يعتبر فى مقدمة العوامل البيئية التى تدفع الحدث إلى الإنحراف ، حيث أن أهم عوامل الإنهيار الإخلاقى داخل الاسرة بل واخطرها هو انحراف الوالدين أو احدهما ، أو انحراف أكبر الابناء أو أكبر البنات ، والمقصود بالإنهيار الخلقى هو إنعدام القيم الروحية ، وفقدان المثل العليا واختلال المعايير الإجتماعية داخل جدران المنزل ، مما يجعل الحياة داخل الاسرة مجردة من معانى الشرف أو الفضيلة أو السلوك الطيب ، وتصبح فيها الجريمة أو الإنحراف أو سوء الخلق امرا عاديا ، لا يرى فيه أفراد الاسرة غضاضة ولا يحسون فيه معنى الخطيئة .

وقد أشار بعض الباحثون بوجه خاص إلى علاقة جنوح الاحداث بجنوح الوالدين، ذلك انهم يؤكدون على أن الطفل حيوان صغير مقلد يتأثر بكل مايحيط

---

1 — Nye. Family Relationships, Op Cit., P. 71.

2 — Kate Friedlander, The Sycho—Analytical Approach to Juvenile Delinquency, Op. Cit , P. 70.

3 — John Bowlby, Forty—Four Juvenile Thieves, London: Bailliero, Tindall and Cox, 1946. P. 41 Qouted by Barban Wootton in Social Sience and social Patholegy, New York : Macmillan, 1959, P 137

به من انماط سلوكية مختلفة ، وليس أهم من الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة والتقليد ، فالطفل يتعلم الكثير من والديه ويتعلم ذلك بسرعة فائقة ، فكل اضطراب فى سلوك الوالدين أو انحراف فى شخصيتهما لاشك يعكس آثاره على شخصية الطفل عاجلا أو آجلا .

وقد اعتبر « سذرلاند » إن البيوت التى يكون بعض أفرادها أو غالبيتهم من ذوى الميول الإجرامية أو الميول اللا أخلاقية بيوتا متصدعة(١) .

أما سوء الاحوال الإقتصادية للأسرة فهو عامل آخر من العوامل البيئية التى قد تدفع الاحداث إلى الإنحراف ، ولو أن العلماء والباحثين الذين درسوا علاقة الظروف الإقتصادية للأسرة بانحراف الأحداث والكبار ، لم تصل إلى نتائج حاسمة من حيث اظهار نوع الإرتباط ودرجته بين ظاهرتى الفقـــر والانحراف ، إلا أن الملاحظات المتطردة تؤكد أن جانبا كبيرا من الاحداث يجـــدون مجالا للتفريغ فى المناطق المتخلفة التى يعيش سكانها فى ظروف إقتصادية سيئة .

وقد لخص « سذرلاند » نتائج مختلف الدراسات التى تناولت موضـوع الفقر والسلوك الإنحرافى ، فرأى أن غالبية هذه الدراسات تشير بوجه عام إلى زيادة معدلات الإنحراف والجريمـة بين المنحرفين الذين ينتمون إلى طبقات اقتصادية فقيرة . وهذا يشير بوجه خاص إلى حالة المجرمين الذين تناولتهم هذه الدراسات ، أى الأشخاص الذين ارتكبوا الجريمة ، وأدينوا فيها ، وأرسلوا

---

1 — Sutherland, Principles of Criminology, Op. Cit., P 172.

إلى المؤسسات العقابية أو الإصلاحية المختلفة . كما لاحظ أن هذه الدراسات تشير بوجه خاص أيضا إلى بطالة هؤلاء المنحرفين قبل ارتكاب الانحراف أو الإجرام ، أو عدم كفاية الدخل سواء له أو لأسرته فى حالة الجنوح . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، فإن غالبية الدراسات الايكلوجية التى تناولت مناطق الجناح ، عززت هـــذا الرأى ، حيث اظهرت زيادة معدلات الجريمة والجناح فى مثل هذه المناطق التى لاشك تتسم بفقر اقتصادى كبير(١) .

وقد أكد « ركلس Reckless » ذلك حين أظهر كيف أن الجريمـة فى أمريكا تصل إلى حدها الأعلى بين الطبقات الفقيرة ثم تنحدر بوضوح إلى حدها الأدنى بين الطبقات المتوسطة ، ثم تعود إلى الارتفاع بين الطبقات الغنيـة مرة اخرى(٢) .

ولا شك أن الطفل الذى يجد نفسه بين أسرة فقيرة ، يعانى من حرمان اقتصادى كبير ، كما وأنه يتعرض لبعض الظروف التى تتميز بها الحياة فى أسرة فقيرة ، مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية ، ويدفع إلى الشعور بالحرمان المادى الذى قد يغذى اتجاهات ومشاعر خاصة ، كالشعور بالحسد والحقد والكراهية ، بالإضافة إلى مشاعر النقص والقلة ، وكل هذا بدور قد يسهم فى خلق جو مناسب لنمو الإتجاهات العدوانية أو السلوك الجانح .

---

1 — Sutherland, Ibid., pp. 189—191.

2 — Reckless, The Crime Problems, Op Cit. P. 59.

ثم يأتى دور عدم تواجد الوالدين فى محل اقامة واحد كأحد العوامل البيئية الهامة التى تدفع الى السلوك المنحرف ، فبالرغم من أن التشريعات فى أغلب بلاد العالم تحرص على تهيئة الفرص لتجميع طرفى الاسرة فى مقر واحـــد ، الا أن هناك الكثير من الأسر اضطرتها ظروف العمل الى عدم تواجد الوالدين فى محل اقامة واحد ، واضطرت الاسرة تحت ظروف كثيرة متعددة ان تقبل هذا الوضع وهى لاتدرى مدى الاضطرابات الناشئة عن ذلك ، ولا تقدر مدى الأضرار التى تصيب الاطفال فى مثل هذه الاسر .

فقد تتغيب الأم فى مقر عملها الجديد ، وتبتعد لفترة من الزمن عن الاسرة وعندئذ يعانى الاطفال من غيابها وخاصة فى مراحل سنهم الاولى التى يتحد فيها الطفل بأمـه - أو بمن يقوم مقامها - فى هذه المرحلة من العمر - اتحادا كاملا . حيث ان هذا الاتحاد ضرورى وهام لسلامته الجسيمة والنفسية ، وإذا لم يتحقق هذا الاتحاد لسبب أو لآخر احـــدث اضطرابات طبيعيه ونفسية ، غاية فى الخطورة ، وقد تؤدى بالطفل الى مرض « الشيزوفرينيا » على وجه الخصوص ، بيد أن ذلك لا يدخله فى عداد المجرمين الحقيقيين ، وانما فى عداد المرضى بمرض عقلى (1) .

أما اذا غاب الأب عن الاسرة واضطره مقر عمله الجديد الى التغيب فستختفى من أمام الطفل السلطة الابوية التى يبدأ الطفل فى تقليدها والتشبه بها منذ عامه الثالث ، وعندما تختفى تلك السلطة الأبوية الضابطة سيواجه الطفل اكبر عقبة تعترض توافقه الاجتماعى بصورة طبيعيه ، ولا يمكن للطفل ان

---

1 — Stefani — Levasseur — Merlin, Op. Cit., P. 211.

يستغنى عن وجود الأب الا اذا كانت الأم تتمتع بشخصية أو قدرة غير عادية تؤهلها للقيام بالوظيفتين معا ، وتعويض الطفل عن احساسه بغياب السلطة الضابطة التى يمثلها الأب .

وقد يغيب الابوين معـا عن الاسرة ، وعندها يغيب الدور الذى على الابوين ان يؤدياه عند تربية الطفل ، واذا وجـد الطفل نفسه مطلق السراح لا يحفل بشأنه أحد من أبويه ، فانه يكون طبيعيا ان يبحث لنفسه بنفسه عن الأمان الذى افتقده داخل اسرته ، ولن يجـد امامه غير الطريق ، واذ يحس بالخطر وعدم الاطمئنان يتخذ موقف الدفاع ازاء الحياة ، بل وموقف العداء ازاء المجتمع (١) ، وعندها يكون معرضـــا للانحراف بل وقد يصبح مجرما خطـــيرا .

وهنا عامل بيئى هام آخر لا يقل أهمية عن عدم تواجد الوالدين فى مقر واحـــد ، ويتصل به اتصالا وثيقا وهو الأم العاملة وأثر غيابها فى العمل على تكيف الأبناء ، وما له من علاقة بجناح الاحداث ، وقد اتضح ذلك فى الدراسة التى كآن عنوانها « هل يجب ان تلتحق المرأة بالعمل او تبقى مع الاطفال » والتى توصل الباحثون من خلالها الى النتائج التالية :

برغم انه يوجـــد فى امريكا ١٥ ٪ تقريباً من النساء اللاتى لديهن اطفال دون السادسة وملتحقات بالعمل ، الا أن المرأة غير ناجحة فى الجمع بين العملين خارج المنزل وداخله ، فهى فى صراع نفسى دائم لتحقيق النجاح فى كلا الدورين كام وكعاملة ، ولم تحقق لهن الدراسة الجامعية الا النجاح فى العمل فقط ، ولكنها

---

1 — Stefani — Levassneur, Merlin, Ibid., P. 213.

لم تنجح حتى فى عمل « الكيكة » ، والوضع الافضل هو أن تظل الأم مع أطفالها طالما هم دون سن السادسة ولامانع من أن تعمل قبل الانجاب او قبل الزواج أو بعد بلوغ الاطفال بعد هذه المرحلة (١) .

وقد جاء فى نفس المرجع ان العالم « Nye » اجرى بحثا على (٢٣٥٠) طالبا وطالبة من المراهقين والمراهقات فى أمريكا ، منهم من تعمل امهاتهم طول اليوم ، ومنهم من تعمل بعض الوقت ، ومنهم من تشتغل امهاتهم بعمل غير عملها المنزلى وقد حدد الباحث فروض البحث للاجابة عن أسئلة محددة هى :

— هل لقيام الأم بعملها أثر فى التحصيل المدرسى للابناء ؟

— هل ابناء الامهات المشتغلات اكثر عرضة للاضطرابات النفسية من ابناء غير المشتغلات ؟

— هل يرى ابناء العاملات ان اتجاهات امهاتهم أكثر رفضا لهم ؟

— هل أبناء العاملات اكثر عرضة للجناح ؟

وكانت النتيجة بالنسبة لجناح الاحداث قد ظهرت فروقا واضحة بين أبناء العاملات وغير العاملات ، اذ وجد أن الميول العدوانية والجناحية موجودة بنسبة اكبر بين ابناء العاملات وبدرجة اقل بين ابناء العاملات بعض الوقت وغير العاملات (٢).

ويقول « ستيفانى » وهكذا نستطيع ان نحدد بوضوح العوامل الضارة فى

1 — Ruth Cavan, Marrige and Family in Modern World, Co., New York, 1960, pp 324_328.

2 — Ruth Cavan, Ibid., pp. 324 — 328.

تشكيل نفسية الطفل بسبب الأم : فاشتغال الأم خارج المنزل ، وميلاد طفل جديد يستحوذ على وقتها واهتمامها ، واهمالها الطفل الجديد لأنه جاء على غير رغبة او فوق اخوة كثيرين ، والتغير المستمر للمكان والبيئة أو الاشخاص القائمين على رعاية الطفل ، كلهـا من عوامل الاضطراب فى التكيف الطبيعى للطفـل (١) .

وهكذا نرى ان اشتغال الأم يؤدى الى قصور فى ادوارها داخل المنزل فينعكس اثره على تكيف الاطفال مما يعوق توافقهم فى المجتمع ويدفع بهم الى الانحراف .

٢ — عوامل البيئة الخارجية :

لم تستطيع البحوث والدراسات التى اجريت على حالات كثيرة من الاحداث المنحرفين ان تحدد بدقة درجة الاهمية بالنسبة لكل من العوامل الذاتية والعوامل البيئية الداخلية والخارجية فى احداث الانحراف ، ذلك لأن امتزاج وتداخل هذه العوامل يجعل من العسير تحديد خطوط فاصلة بين ما يمكن ان يعتبر من قبيل العوامل البيئية الداخلية مثلا والعوامل البيئية الخارجية من جهة اخرى . فاذا نظرنا الى الجانب المورفولوجى فى المسكن وهو تخطيطه وتصميمه وطريقة بنائه وعدد غرفه واتساعه وطريقة تهويته وكفاية امكانياته ومرافقه .. الخ من تلك الجوانب التى تعتبر كلها من العوامل البيئية الخارجية التى تؤدى دورا يضيق او يتسع بالنسبة لانحراف الاحداث .

---

2 — Stefani — Levasseur, Op. Cit., P. 211.

كما أن الجانب الفسيولوجى فى المسكن وهو ما يعرف بالعلاقات الإنسانية والاتصالات بين أفراد وحدات المسكن ، والجو الموجود داخل هذا الإطار المادى ، لا يمكن أن يعتبر من العوامل الخارجية ، وإنما هى مؤثرات بيئية داخلية واضحة ، ومن جهة أخرى فان طبيعة العلاقات والإتصالات الإنسانية القائمة فى اطار هذا المجتمع الصغير إنما يغذيها ويشكلها العوامل البيئية الخارجية ، أى المؤثرات المورفولوجية للمسكن ، فقد يؤدى إزدحام أفراد الأسرة فى حجرة واحدة إلى تحديد إنماط التعامل بين أفرادها ، كما أنه قد يؤدى إلى الانصراف عن الترويح الداخلى إلى ترويح خارجى ، قد يشكل هو الآخر مؤثرا بيئيا خارجيا يضغط بمستويات مختلفة من العمق على هؤلاء الافراد ، ولذلك يمكن اعتبار المسكن على سبيل المثال مؤثر بيئى خارجى من ناحية ومؤثر بيئى داخلى من الناحية الأخرى .

وفى بحث اجراه المركز القومى للبحوث الجنائية بعنوان السرقة عند الاحداث ، اتضح أن ٤٦٪ من أسر الاحداث المتهمين بالسرقة تعيش فى غرفة واحدة ، بينما لا تزيد نسبة الأسر التى تسكن أربعة غرف فأكثر عن ٢،٧٪ ، وأن ٦١،١٪ من مساكن أسر هولاء الاحداث تضاء بالكيروسين ، ٢٨،٧٪ تضاء بالكهرباء كما اتضح أن ٤٦،٢٪ من مساكن أسر هؤلاء الاحداث غير صالحة للسكنى ، ٣٢،٤٪ صالحة للسكنى .

وفى بحث آخر قام به « شيلدون واليونور جلوك » فى كتاب الكشف عن جناح الاحداث ، إتضح أن ٢٣،٩٪ من المنازل التى يسكن بها أسر الجانحين سيئة ، مقابل ١٩،٨٪ بالنسبة لمنازل أسر غير الجانحين ، كما إتضح أن ١١،٤٪ من منازل أسر الجانحين تعتبر جيدة مقابل ٢٧،٢٪ بالنسبة لمنازل أسر غير

الجانحين (١) .

ومن جهة أخرى فإذا نظرنا إلى الحى الذى يقع به المسكن كعامل مؤثر فى الانحراف ، فلا يمكننا أن نعزله عن أثر وسائل المواصلات داخل هـذا الحى وخارجه ، وهما من طبيعة الحيـــاة ، ومن ثم أثره فى الاتصالات والعلاقات الإنسانية التى يمكن أن تنبثق كنتيجة لهذه المؤثرات البيئية الخارجية ، وفى الوقت ذاته فإن الحدائق والمتنزهات، وساحات اللعب يمكن أن تكون امكانيات مناسبة لامتصاص الطاقات الزائدة التى قد تجد متنفسا سويا لها فى اطار هذه المنشآت ، على عكس ما إذا حرم الحى كلية من مثل هذه المتنفسات الضرورية ، هذا إلى جانب أثر كل من سيطرة أنماط الترويح السوى أو اللاسوى، ودرجة تأثر الحدث بها ، ووسائل الضبط والرقابة التى تفرضها الدولة وأجهزة الخدمات ، وتأثيرها على الناشئين بوجه خاص وعلى المواطنين بوجه عام .

وقد عالج الكثير من علماء الجريمـة موضوع الحى Neighbour Hood وأبرزوا علاقته بالإنحراف والجريمة، وتقوم غالبية هذه الدراسات على افتراض أساسى يقوم إن الجناح أو السلوك الإجرامى هما حصيلة تفاعل طويلة يحدث بين الفرد وبين ظروف بيئته من جهة ، وبين الفرد وبين أفراد جماعته الأولية التى يتعامل معها أو التى يتصل بها من خلال حياة الجماعة ، ومن أبرز هـــذه الجماعات الأولية الأسرة ، وجماعة اللعب ، والعصبة ، وهذه الجماعات الأوليـة هى التى تشكل الاطار العام للبيئة الأولى ، التى يتعامل معها الطفل خلال مراحل تنشئته الاجتماعية المبكرة .

---

(١) محمد عارف ، الجريمة والمجتمع، مرجع سابق ذكره ، ص ٥١٦ - ٥١٧.

وقد أظهر « كليفورد شو Shaw » فى إحدى دراساته التى تناولت خمسة أخوة أشقاء ، عرفوا بتاريخهم الإجرامى الطويل كيف يلعب الحى دورا كبيرا فى تكوين الجنوح أو الجريمة ، لقد وصف « شو » هذا الحى بأنه كان منطقة جناح ، تميز بكل أسباب عدم التنظيم الإجتماعى ، وإنه كان بيئة فاسدة ، شجعت هؤلاء الأخوة على إرتكاب الجريمة ، بل إن تلك البيئة كانت تحترم المجرم ، وتضفى عليه طابع الرجولة والبطولة فى احيان كثيرة(١) .

والمعروف إن شخصية الفرد تتكون من خلال دورين هامين : الأول هو دور الفرد فى الحى الذى يعيش فيه ، والثانى هو مكانة الحى بين الاحياء الاخرى ، والدور الذى يلعبه الحى فى المجتمع الكبير الذى يحتويه ، فالحى الذى تتوافق قيمه مع قيم المجتمع الكبير ، يكون حيا سويا ، يهيىء للطفل جوا يكسبه الشعور باحترام النظام والقانون ، وحين يخرج الحى قيمه الاجتماعية على ما هو متعارف عليه فى المجتمع الكبير ، فإن هذا الحى يصبح مصدرا لتكوين بعض الإتجاهات الخاطئة ، ويفشل عندئذ فى توجيه قيم أفراده ، وضبط سلوكهم ، وبذلك قد يضع الطفل فى بعض مواقف وظروف تقوده إلى الإنحراف أو الجريمة (٢) .

ويقول « سذر لاند » فى هذا الصدد أن الأطفال بطبيعتهم يدفعهم الفضول إلى التماس وسائل ترفيهية جديدة فى كل الأوقات ، وهم لذلك يندفعون لتجربة

1 — Clitord R. ShaW & James Mc Donald, « Brothers in Crime», University of Chicage Press, 1942, Chapter 5.

2 — Donald R. Taft, « Criminology », Third Edition, New York, The Macmillan Co., 1955, pp. 216–240.

كل ما يحيط بهم من وسائل اللهو التجارية (الرخيصة) فى داخل الحى الذى يعيشون فيه ، وهنا لايهتم المستفيد من هذه التجارة الرخيصة الحدث الصغير ومستقبله وسلوكه ، بقدر ما يهمه من ربح عاجل يجنيه من وراء عمله ، ولهذا فقد ينغمس أطفال هذه الاحياء فى إنماط سلوكية ضارة ، الأمر الذى يقودهم إلى الجنوح والجريمة(١) .

ويقول « بول تاپان paul Tapan » فى هــذا الصدد أن توفر التربية الرياضية السليمة فى حى من الاحياء ، لا يعنى بالضرورة القضاء التام على مصادر الإنحراف ، فالروح الرياضية التى قد يتحلى بها الحدث ، والانتماء الشديد الذى يشعر به تجاه اعضاء فريقه الرياضى ، والتنظيم العلمى لنشاطات الحدث ، قد لا يؤدى كله بالضرورة إلى اجتثاث عوامل الانحراف ، إذ أن مثل هـذه الأمور لاتؤثر فى جميع الاحداث بشكل واحد ، فهناك أطفال لايسهمون فى أى نشاط رياضى ، بسبب المرض ، أو ضعف فى القدرات الجسمية ، وهناك أطفال لاتكفيهم جميع هذه الانشطة الرياضية لصد تيار الانحراف الذى ينمو فى تفكيرهم وفى قيمهم الاجتماعية ، وذلك نتيجة تنشئه اجتماعية سابقة خاطئة ، أو بسبب عوامل ثقافية متعددة . وقد تستخدم نفس الأنشطة الرياضية كمصدر لعبث صبيانى أو حرب عصابات أطفال مستمرة ، الأمر الذى يشكل عنصرا من عناصر الانحراف(٢) .

---

1 — Sutherland, principle of Criminology, Op. Cit., pp. 165 167.

2 — paul W. Tappan," «Juvenile Delinquency», Mc Graw—Hill, Book Company Inc , New York, 1949 p' 150.

ومن نتائج البحث الذى قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بجمهورية مصر العربية بعنوان «السرقة عند الأحداث» إتضح من وصف الأحياء التى يسكن فيها أسر المتهمين بالسرقة أن ٦٤٪ من الشوارع مهملة ، وأن نسبة عدد الأحياء التى تنتشر فيها المقاهى والبارات أو محال بيع شراب (البوظة) والملاهى نحو ٧٤٫٢٪ ، بينما لاتعدو نسبة الأحياء التى يوجد بها حدائق ١٢٫٤٪ ، كما إتضح أن ٦٥٫٥٪ من هذه الأحياء قريبة من المؤسسات الصناعية والتجارية ، ٧٠٫٥٪ منها قريبة من المواصلات ، ٢٨٫٩٪ من هذه الأحياء قريبة من النيل ، كما إتضح أن ٤٧٫٢٪ من هذه الأحياء تبعد عن وسط المدينة كمنطقة جاذبة للانحراف(١) .

ومن بعض الدراسات والبحوث الخاصة بمناطق الجناح بمدينة الاسكندرية كانت النتائج التالية (٢) :

١ — كانت أعلى نسبة للأطفال الجانحين من أقسام العطارين والمنشية وهما تجاريان وشبيهان بحى الموسكى والازبكية بالقاهرة .

٢ — يلى ذلك قسم الرمل ومحرم بك ويسكنها متوسطى الحال والميسورين الذين لديهم خدم فقراء يرتكبون السرقة من البيوت التى يعملون بها .

٣ — يلى ذلك كرموز واللبان والجمرك وميناء البصل وهى مناطق آهلة بالعمال والباعة الفقراء ، وهذه المناطق تعتبر مراكز تفريخ للجانحين ، بينما تعتبر منطقتى المنشية والعطارين من الأحياء الجاذبة .

---

(١) محمد عارف ، المجتمع والجريمة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٥١٠ .

(٢) حسن الساعاتى ، علم الإجتماع الجنائى ، ص ٨٩ - ١٠٦ نقلا عن : محمد عارف ، الجريمة والمجتمع ، مرجع سابق ذكره ، ص ١١٥ .

٤ — إتضح من الدراسة الميدانية إن غالبية الأحداث الجانحين قد أتوا من الاحياء الشعبية الفقيرة فى المدينة (مناطق تفريخ الجانحين) .

والحى ليس جزء منفصلا عن بقية أجزاء المجتمع المحلى ، بل إن الحى هو الجزء الحساس الذى يتأثر بما يحيط به ، وهو المرآة الصادقة التى تعكس قيم وعادات الأفراد الذين يعيشون فيه ،

ولذلك يكاد يتفق الكثير من العلماء الذين عالجوا أيكاوجية الإنحراف والجريمة على الدور الكبير الذى يلعبه الحى الفاسد فى تنشئة الفرد ، فهو يشكل البيئة الخارجية التى تصل العائلة بالمجتمع الكبير ، وتكاد تلتصق به التصاقا وثيقا، فالعائلة جماعة أولية ، تخضع خضوعا مباشرا لظروف الحى الذى تكون جزء منه ، فالحى الفاسد بوجه عام يمهد للطفل طريق الجنوح بمختلف الوسائل التى يمكن أن تقود الطفل إلى السلوك الجانح .

أما الأصدقاء أو الرفقاء الذين يرتبط بهم الحدث وجدانيا فإن تأثيرهم قوى وخطير وخاصة إذا كانوا من المنحرفين ، وعندئذ يصبحون عاملا مساعدا على خلق السلوك المنحرف ، والأصدقاء هم الجماعة الأولى التى تناسب سن الطفل وتناسب منزلته الإجتماعية ، وهى التى يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة ، ذات طبيعة مستقلة ، تختلف عما عهده من علاقات أخرى فى نطاق أسرته ، وهى الجماعة التى يتعلم فيها معنى السلطة التى تختلف عن سلطة الوالدين التى عهدها فى أسرته ، إنها سلطة جديدة يتسهم الطفل فى خلقها ، ويصبح جزء منها ، ويعمل على تنظيمها وحمايتها ، إنها الجماعة التى يختبر الطفل فيها مدى قدرته على تخطى الحدود التى رسمها له الوالدان فى محيط أسرته ، انها

الجماعة التى تتيح للطفل فرصة تحدى سلطة الوالدين من خلال قوة الجماعة الجديدة التى صار جزء منها والتى تسانده فى اظهار هذا التحدى ، أنها جماعة الأقران أو جماعة اللعب .

وفى هذا الصدد يقول « ديفيد رايسمان Devid Riesman » إن جماعة اللعب هذه تصبح المؤسسة الرئيسية فى تنشئة الطفل اجتماعيا ، بعد خروجه من نطاق عائلته إلى جماعة أولية أخرى ، تضم أفراد متجانسين متشابهين فى أكثر من صفة وسمة : ويعيشون فى بيئة واحدة(١) .

وقد لاحظ « جيلوك » إن الحدث لا يرتبط برفيق منحرف إلا إذا كان بينهما إتفاق سابق فى الميول الإنحرافية ، وتجانس فى العادات والصفات التى تقود إلى السلوك المنحرف ، بالإضافة إلى وجود الاستعداد الطبيعى والميل الفطرى للسلوك الجانح ، وقد وجد « جيلوك » إن من بين الخمسمائة ٥٠٠ طفل جانح الذين قام بدراستهم إن ٤٩٢ منهم يمثلون نسبة ٩٨،٤٪ لم ينحرفوا بمفردهم ، وإنما انحرفوا مع آخرين(٢) .

وقد تتطور جماعة اللعب وتصبح عصبة جانحة ، هدفها المقاتلة والدفاع عن النفس ، وقد تكون على شىء من التنظيم ، وتحدد لها أسما وقائدا وشعارا معينا ، لكنها لا تشكل تنظيما كاملا ، ومع هذا فهى تشكل مجتمعا صغيرا مقفلا ، لا يقبل الغريب فيه بسهولة .

---

(1) David Riesman & Reed Denney & Nathan Glazer, « The Lonely Crowd, » New Havan, Yale University Press, 1950, P. 172.

(2) Sheldon & Eleanor Glueck. Op Cit., P, 194.

وفى هذا المعنى يقول « جيلوك » إن عصبة الأطفال تعنى جماعة من الأطفال لهم قائدهم ، ولهم كلمات سر يتداولونها فيما بينهم دون غيرهم ، ولهم مكان للاجتماع ، وأنشطة إجرامية غير محددة (١) .

والعصبة الجانحة لاتعنى بالضرورة جماعة اللعب ذاتها إذ أن لكل من الجماعة والعصبة تركيبها الخاص بها ، وهـــذا يعتمد على كمية ونوعية الرقابة التى تمارسها هذه الجماعات الأولية على أفرادها لضبط سلوكهم . فقد يسهل أحيانا على العائلة تحقيق بعض الاشراف على بعض أنشطة جماعة اللعب التى ينتمى إليها الأطفال ، كما قد تتحقق بعض أنواع الرقابة الرسمية على بعض جماعات اللعب فى بعض المجتمعات ، وذلك من خـــلال بعض التنظيم الرسمى والاشراف غير المباشر على أعمال هذه الجماعات ، وهـذا كله يجرى على مستـوى المؤسسات الرسمية أو شبه الرسمية فى نطاق الضبط الاجتماعى .

إما العصبة الجانحة فهى جماعة لا رقابة عليها حيث تنعدم السيطرة عليها من أى جهة رسمية أو شبه رسمية ، إلى الحد الذى يتعذر السيطـرة عليها ، وغالبـا ما تكون عصبة الأطفال الجانحين ، أول حلقة فى تكوين الاجرام المنظم .. إذ كلما تقدم الزمن بعصبة الجناح ، تبلورت اتجاهاتها الجانحه ، وتطورت أساليبها فى إرتكاب الجنوح والجريمة ، وعندئذ يفقد الحدث الجانح صفـــة حداثته وجنوحه ، وينتقل إلى عالم جديد ، هو عالم الجريمـة السفلى ، حيث تنقطع صلاته التقليدية بعائلته وبمدرسته، وبجماعته التقليدية التى عاش بينها فترة طويلة

---

(1) Sheldon Gleuck & Eleanor, » One Thousand Juvenile Delinquents, Harvard University Press, 1934, pp. 94 100.

من حياة طفولته(١) .

إن معظم حوادث جنوح الأحداث يرتكبونها مع نظرائهم حيث أن معظم هؤلاء الاحداث لهم اصدقاء جانحين مثلهم : وقد أيد « ركلس Reckless » هذه النتيجة التى استخلصها من عدة دراسات سابقة بقوله : « إن درجة العلاقة بين وجود وعدم وجود الاصدقاء الجانحين وحالة الجنوح وعدم الجنوح تحتل المركز الاول ، ثم قال إن « الصحبة » بدون شك أكثر القوى تأثيرا فى جنوح وجرائم الذكور(٢) وفى نفس الدراسة توصل Gluecks إلى النتيجة التاليـة : « أغلب الاحداث الجانحين لهم اصدقاء جانحين حيث أن الطيور التى لها نفس الريش تطير معا(٣) .

ويوجد افتراض رئيسى لنظريات الضبط مؤداه « إن الأولاد الذين لديهم رغبة شديدة فى المغامرة لا يميلون إلى مصادقة الأقل منهم رغبة فى المغامرة إذ أن هؤلاء الأطفال يضعون أنفسهم فى مشكلات كثيرة ، كما أن الأولاد الاقل ميلا للمغامرة يبتعدون عن الاكثر ميلا للمغامرة ويبحثون عن هؤلاء الذين يماثلونهم فى الميول وحرية الحركة اللازمة للعمل(٤) . ولذلك تؤكد بعض

---

(1) Cavan, «Criminology,» Op. Cit., pp. 120–125.

(2) Walter C. Reckless, The Crime Problem, 2nd ed. New York : Appleleton Century, Crofts, 1965., P. 77.

(3) Glueck and Guleck, Unraveling, Op. Cit , P. 164.

(4) ScotBriar & Irving, Delinquency, Situational Inducements, and Commitment toConformity. Social Problems, XIII, 1965, P. 40.

الآراء تأثير عامل الصحبة فى جنوح الاحداث . ولكن هناك وجهة نظر أخرى تقول : إن مصاحبة الاحداث الجانحين نتيجة ثانوية للاسباب الحقيقية للجنوح.

وفى بعض صياغات نظرية الاختلاط التفاضلى Differential associatión تقول إن الطفل لا يميل الى الجنوح قبل اختلاطه بالاطفال الجانحين ، وعندما يتخذ له اصدقاء من الجانحين يبدأ تعلم القيم والاتجاهات والمهارات المؤدية إلى الجنوح . وهذا يصبح هو نفسه حدثا جانحا (١) . ونفس النظرية تقول ، إن الأطفال يختلفون من حيث الطاقة الكامنة التى لا تظهر على السطح أو تدرك إلا عن طريق مصاحبة الاحداث الجانحين . وهناك مدخلان أساسيان فى نظرية الضبط Control Theory ينفيان ما تفترضه نظرية الاختلاط التفاضلى ، فالمدخل الاول الذى يؤيده « Gluecks » يقول : ان الاحداث الجانحين يرتكبون الجنوح قبل بلوغهم السن التى ينتمون فيها لشلل المنحرفين ، ولذلك لا يمكن أن يكون الاختلاط سببا للجنوح. والمدخل الثانى يعتبر ترتيب الأسباب حسب أولويتها مسألة حاسمة ويعتبر العلاقة بين جنوح الاحداث والاختلاط بالاصدقاء علاقة زائفة (غير منطقية) فالطفل عندما يرتكب الانحراف ان يكون السبب اختلاطه بالنظراء وإنما السبب هو فقدانه لتوازنه وعدم قدرته على الامتثال ، واذا أمكننا اعادة التوازن والقدرة على الامتثال للاحداث

---

(1) Donald R. Cressey, « The Development of a Thery Differential Association, » The Sociology of Crime and and Delinquency, ed. Marvin E Wolf Gang Et al, New York : Wiley, 1962, pp. 81-90.

الجانحين فإنهم لن ينحرفوا حتى أو وجود الاصدقاء (١).

اما ريتشارد كورن Richard R. Korn ، ماكوريكل W. Mc Gorkle فيريان ان الحدث الجانح يعتمد كثيرا على تقبل آخرين معينين له (٢) وهم المنحرفون انفسهم ، واذا كان الحدث الجانح يعتمد كل هذا الاعتماد على قبول الاحداث الجانحين الآخرين له ، فانه يمكن القول بأنه سيقع تحت تأثيرهم . وبطريقة مماثلة يجد ، وليام كافراكس William C. Kvaraceus ، والترميللر Walter Miller يقولان : ان الحدث الجانح لديه صفات شخصية محملة يتقبل المؤثرات الاجتماعية لجماعة النظراء ولكى يندمج الحدث فى جماعات النواصى للطبقة السفلى فلابد أن يكون قادرا على التفاعل معهم والخضوع لمطالبهم وذلك لاحتياجه الكامل لهم (٣) .

وذهب كوهين ابعد من ذلك حيث ذكر أن العلاقة بين أعضاء جماعة المنحرفين تبدو قوية جداً ومهابة وخاصة العلاقة العاطفية بين النظراء من الطبقة السفلى حيث تزيد اهميتها لديهم عن اطفال الطبقة المتوسطة (الاحداث غير الجانحين) (٤).

---

(1) Travis Hirschi, Causes of Delinquency, Op. Cit., P. 137, 138.

(2) Richard R. Korn & Lloyd W, Mc Corke, Criminology and Penology, New York, Holt, 1959, P 352.

(3) William C. Kvaraceus and Walter B. Miller Delinquent Behavior : Culture and the Individual, Op. Cit., P. 69.

(4) Albert K Cohen, Deliquent Boys. New York : The Free Press, 1955, PP. 13, 101.

وهناك بعض الآراء تقول أن العلاقة بين النظراء وخاصة بين الاحداث الجانحين قوية جدا لدرجة انها تتحكم وتوجه سلوكهم واتجاهاتهم . وقد أكد ذلك البيانات التى جاءت فى الدراسة التى قام بها James Coleman حيث اتضح أن الارتباط بالنظراء قد يضعف العلاقة بالوالدين مما يؤدى الى الجنوح وخاصة وان المراهقين فى هذه الايام متباعدين اكثر من أى وقت مضى عن جماعات الكبار لدرجة انقطاع العلاقة بينهم وبالرغم من انهم مازالوا موجهين لتحقيق رغبات والديهم الا انهم يتطلعون الى الارتباط بنظرائهم على موافقتهم على ما يفعلون ونتيجة لذلك فان مجتمعنا يوجد بداخله مجتمعات صغيرة لشباب دون العشرين تعكس وتوجه رغبات وميول هذا الشباب الى اشياء مستبعدة فى مجتمعات الكبار مما يؤدى الى ظهور معايير واهداف تختلف كثيرا عما تقرره مجتمعات الكبار (١)

وقد تحدث « كوهين » عن نتيجة ثانية للتعليق بالنظراء والذى لا يتناسب مع الأهداف البعيدة ، فطفل الناصية غالبا ما يكون شديد التعلق بنظرائه ولذلك يهمل تجاهه الشخصى .

ولكن موزافير Muzafer ، كارلون شريف Carlyon Sherif منذ عهد قريب وجدا ان هذا الكلام يدعو ان السخرية ، وذكرا أن الصفات الشخصية التى لها قيمة فى الحياة الاجتماعية مثل : الصداقة والاخلاص والاجتماعية (الحب) تتصل اتصالا وثيقا ولمدة طويلة بأنشطة وصفت بأنها غير اجتماعية (٢) .

---

(1) Tames C. Goleman, « The Adolescent Society » , New York, The Free press, 1961, p 9.

(2) Myzafer Sherif, Reference Group, Op. Cit , p. 66.

ويجب ان نلاحظ ان عدم انحراف الحدث ليس معناه انه لم يتصل بأحد من الاحداث المنحرفين، بل قد يعنى ذلك انه لم تتخذ من هؤلاء المنحرفين اصدقاءه الاساسيين ، وان صلته بهم لم تكن كافية لاندماجه فيهم وتأثيره بهم ، ومن هنا تبرز قاعدة اساسية فى تحليل الصداقة كعامل من عوامل الانحراف ، وهذه القاعدة مؤداها ان مجرد اختلاط الحدث بآخر منحرف لايكفى فى حد ذاته لخلق الانحراف ، وانما يرجع الأمر الى مدى هذا الاختلاط ، وقوة استجابة الحدث السوى للحدث المنحرف ، ومقدار انفعاله بسلوكه الانحرافى ومدى اعجابه به أو استهجانه له .

كما أن ظروف العمل قد تؤثر بصورة مباشرة او غير مباشرة فى انحراف الاحداث ، فعدم قدرة الطفل الجسمية على تحمل أعمال العمل ، قد تدفعه الى الهرب منه ، أو قد تؤثر قدراته العقلية على عدم استيعابه لمـــا يوكل اليه من اعمال ، ويكون من نتائج ذلك الشعور بالفشل وممارسة السلوك العدوانى ، كما أن نوعية العمل قد تكون غير مناسبة لقدرات الحدث الجسمية أو العقلية أو النفسية ، فقد تكون نوعية العمل أكبر من قدراتهم ولا طاقة لهم بهم ، وقد تكون اقل بكثير من قدراتهم ولا يكتسبون منه أى مهارات ، فيشعرون بتفاهة مايقومون به من عمل ، هذا بالاضافة الى ظروف العمل الاخرى مثل : قلة الأجر ، وساعات العمل الطويلة التى يقضيها الحدث فى عملة يوميا ، بما لا يتناسب مع قدراته وامكانياته الجسمية والعمرية .

وفى البحث الذى قام به مركز بحوث معهد الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٧٣ عن الأحداث الجانحين، اتضح منه أن ٥٢ ٪ من الاحداث استمروا فى العمل لمدة اقل من سنة ، وأن ٣٢ ٪ أتموا سنة واحدة وأن ١٦ ٪ منهم

قضوا ٣ سنوات فأكثر ، وهذا يعنى عدم استمرارية الحدث فى عمل واحد وما يترتب عليه من تعرضه لمشاعر الفشل وعـــدم الاستفادة من الخبرات العلمية وتعرضه للهروب الدائم من الاعمال التى يلتحق بها ، وربما يرجع ذلك الى ان استجابة الهروب اصبحت عادة متعلمة ، تعززت لانها دائما تخفض توتر القلق المرتبط بالمثيرات الشرطية للعمل .

كما أن معاملة المشرفين على العمل التى تتسم بالقسوة الشديدة قد تدفع الحدث الى الهروب ، حيث أن الهروب، أسرع استجابة كعاده متعلمة تعززت ونجحت فى خفض التوتر والقلق . بالاضافة الى مجتمع العمل الذى نعنى به المهنة او الحرفة التى يعمل بها الحدث والتى يتم من خلالها التكيف فى صورته الناجحة ، فكل اخفاق أو فشل فى التكيف مع هذا المجتمع يترتب عليه اضطرابا خطيرا لنفسية الحديث ولظروفه الاجتماعية ، اما النجاح فى العمل ، فلا شك أنه يقضى على عامل من أكبر عوامل الاضطراب .

ولكن لا يمكن القول بأن النجاح فى العمل عامل مؤثر وفعال فى منع السلوك المنحرف ، فقد اتضح من البحث الذى أجراه مركز « فوكرسون Vaucresson » أن ثلاث أرباع ¾ الشباب من المنحرفين قد تلقوا درسا مهنيا مسبقا فى أعمالهم وفى بحث « بيزانسون » فان سبعة عشر ١٧ حدثا من مجموع سته وعشرون قد تلقوا هم أيضا تأهيلا مهنيا (١). وبالرغم من ذلك فانه يمكن القول بأن السلوك الانحرافى قد يكون نتيجة لمجموعة من العوامل المتضافرة التى يكون مجتمع العمل عاملا قويا فيها .

---

(1) Stefan, Op. Cit. p 216.

ومن عوامل البيئة الخارجية الهامة العوامل الأيكلوجية التى نقصد بها مناطق الانحراف ، فان لها أثرها البالغ على الانحراف والتشرد ، اذ ان مناطق الجذب والاثارة والمغريات فى البيئة تعتبر عاملا هاما من عوامل الانحراف ، فالطفل الذى هرب من المنزل أو المدرسة أو العمل يسعى الى تلك المناطق التى يتوفر فيها الاغراء والأثارة ، كما أن الإحياء الفقيرة المكتظة بالسكان التى ينتشر فيهـــا الاماكن المهجورة ودور السينما الرخيصة ، تعتبر بيئـة صالحة لتفريخ السلوك المنحرف ، كما أنها تعتبر اكبر الاحياء تفريخا للجانحين .

وقد حاول بعض العلماء تشخيص عناصر الحى الفاسد وتحديد معالمه التى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتكوين السلوك الجانح، ومن هذه المحاولات ذكر أحد العلماء سبعة أنواع للمناطق الفاسدة **The Slums** وهى :

١ ـ الحى الفقير المزدحم بسكانه والذى يشيع فيه الفقر، وتشيع فيه الرذائل الاجتماعية ، وهنا لا يكون الفقر وحده العامل الجوهرى فى حالة هذه الاحياء ، وإنما المهم هو سلوك الافراد فيـــه ، ونوعيتهم ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينهم ، وبعض العناصر الثقافية الأخرى .

٢ ـ الحى الفقير جدا والذى يطغى الفقر فيه على كل صفة أخرى ، بحيث تصبح السرقة البسيطة عملا من أعمال الطيش .

٣ ـ الحى المغلق الذى تفصله عن بقية اجزاء المجتمع الكبير عوائق طبيعية ، أو فوارق اجتماعية واضحة ،غالبا ما تقع مثل هذه الاحياء بين منطقتين سكنيتين على مستوى معين من التنظيم الاجتماعى ، فهى احيـــاء لاتعتبر جزء من المجتمع الكبير ، ولكنها تعيش على هامشه ، او فى اطراف منطقة سكنية جيدة .

٤ - الحى الذى يعيش فيــــه أشخاص غير متزوجين ، وفى غرف منفردة مؤجرة وهذا الحى يجذب خليطا سكانيا ، يجمع بين أفراد غير متجانسين ، ومن أقليات متعددة ، بسبب انخفاض اجر السكن فيـه .

٥ - حى الاجانب وهو الحى الذى تتخذه أقلية معينة موطنا دائما ، ورغم ما يعرف عن تجانس هؤلاء الافراد الذين يمثلون اقليـة واحـــدة ، ولكن هذه الاحياء تنحدر الى عزلة اجتماعية كبيرة ، تشيع فيها الرذيلة والجريمة والجنوح على نطاق واسع .

٦ - حى الرذائل والموبقات وهو حى يعتمد فى معيشته على مزاولة البغـاء والمقامرة على نطاق كبير ، وغالبا ما يجذب هذا الحى كبار رجال العصابات الاجرامية بغرض العيش فيه ، وممارسة نشاطاتهم الاجرامية المختلفة .

٧ - الحى الريفى وهو جزء من ريف معين يلجأ اليه بعض المجرمين الهاربين من وجه العدالة ، طلبا للستر والاحتماء ، حيث يكون مكان اقامة قصيرة لهم ، كما وقد يتخذه بعض المجرمين مكان اقامة سرية لهم ليكونوا بعيدا عن أنظـار القـانون .

ويكاد يتفق الكثير من العلماء الذين عالجوا موضوع ايكولوجية الجنوح والجريمة ، على الدور الكبير الذى تلعبه تلك المناطق الفاسدة (١) .

والخلاصة ان المثيرات البيئية تلعب دورا كبيرا فى انحراف الأحداث وهى لاتعتبر وحدها العامل الرئيسى ، ولكنها أحد العوامل التى تتفاعل مع العوامل

---

(1) Donald Taft, Op. Cit. pp 210—219.

الاخرى فى ظهور السلوك المنحرف ، فعندما يهرب الحدث من المدرسة أو المنزل أو العمل ، يجد فى البيئة الخارجية مصادر للاغراء والجذب ، وقد تكون تلك المناطق فى بادىء الأمر مناطق يتجول فيها الصغار ولكن سرعان ما يجد الحدث فيها الفرصة المتاحة للسلوك الانحرافى سواء كانت سرقة او عدوان او مجرد التسول والتشرد والتجول بلا هدف .

الفصل الرابع

العوامل التربوية

ثالثا — العوامل التربوية :

والمقصود بالعوامل التربوية هو مجموعة العوامل التي تؤثر في شخصية الحدث والتي قد تكون سببا في الانحراف ، أو عاملا من عوامل انحرافه .

(١) فالمدرسة تعتبر مؤسسة تربوية اجتماعية ، ولكنها قد تفشل في تحقيق وظائفها ، وقد يرجع ذلك إلى عوامل متعددة قد ترجع إلى الحدث أو ترجع إلى المدرسة إلى الاثنين معا .

فسوء معاملة المدرسين وقسوتهم قد يجعل من المدرسة مثيرا شرطيا الألم والعقاب ويجد الطفل في الهروب من المدرسة الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق ، وقد يفشل الجهاز المدرسي في تحقيق التساند والتكامل الوظيفي بين أدوار العاملين بالمدرسة ، وينعكس أثر ذلك في عدم التعاون بينهم على اكتشاف مشكلات الاطفال في وقت مبكر ، وتصبح المدرسة في هذه الحالة أقل جاذبية لبعض التلاميذ الذين يجدون في البيئة الخارجية للمدرسة أكثر امتاعا لتحقيق رغباتهم فيهربون من المدرسة إلى المناطق الجاذبة ، مما يسهل تعرضهم للانحراف وخاصة إذا اجتمعوا مع اصدقاء السوء بالمدرسة وخارجها ، حيث ان الاصدقاء من العوامل التي تساعد على انحراف الاطفال ، فيرتبطون معا ويهربون معا من المدرسة ، وعندئذ ينقطعون عن المدرسة أو لا ينتظمون بها ، وقد لا تعلم الاسرة بذلك إلا بعد فقدان الأوان .

وغني عن البيان إن للأب دوراً رئيسيا في ضمان انتظام الطفل في دراسته ومواظبته على الذهاب إلى المدرسة بغير انقطاع ، وهذا يسهم مساهمة فعالة ليس فقط في تكيفه مع مجتمع أسرته فحسب ، وإنما في مسايرته لمجتمع المدرسة أيضا .

وفى بحث « بيزانسون » فى فرنسا لاحظ الباحثون إن هناك إحدى عشر ١١ حدثا من ستة وعشرون كانوا لا يواظبون على الذهاب إلى المدرسة(١) .

ويقول أحد الناقدين المتطرفين ، أن على المدرسة أن تقدم مناهج غنية واسعة مشوقة ، كما يجب عليها أن تكون ذلك البيت المادىء المريح الذى تتفتح بين جدرانه طاقات الفرد وكفاءاته ، وعليها توفر المدرسين الأكفاء المتخصصين فى شئون تربية الاحداث ، والقادرين على التعامل معهم بروح ابويه تنفذ إلى أعماقهم (٢) .

والمدرسة كمؤسسة اجتماعية لا تعمل وحدها ، ولكنها جزء من الثقافة العامة للمجتمع الذى تعمل فيه ظروفها هى ظروف ذلك المجتمع ، فإن هى وجدت فى مجتمع جانح متفكك ، وفى أحياء خربة فاسدة ، فإنها بلا شك لا تجد من حولها من يحميها من أثر هذه الظروف الاجتماعية غير الملائمة ، وبالتالى فهى أعجز من أن تحمى أطفالها من التعرض إلى تلك الانماط السلوكية الجانحة التى تشيع من حولهم(٣) .

وقد يكون للمدرسة نافذة أخرى يتسلل منها الإنحراف وهى ظاهرة الهروب من المدرسة ، فهى الخلفية التى تقف وراء غالبية حالات الجنوح . وتقول إحدى الدراسات الخاصة بهذه الظاهرة ان هروب الطفل المتواصل من المدرسة

---

(1) Stifani, Loc. Cit.

(2) B Henry Nelson, Juvenile Delinquency and The Schools, Fourty — Seventh Year Book, University of Chicago Press, 1948 P. 28.

(3) Maud A. Merrill, «Problems of Child Delinquency,» New York, Hought Mifflin, 1947. pp. 101-105,

كان من الحالات الشائعة بين أكثر من ٦٠ ٪ من الاحداث الجانحين ، الذين قدموا لمحاكم الاحداث الأمريكية ، هذا وفي دراسة أخرى مستفيضة تناولت ٢٠٢١ مجرما ظهر أن ٤٠ ٪ منهم سبق وأن أرسلوا إلى اصلاحيات الاحداث الجانحين ، بسبب هروبهم من مدارسهم(١) .

ويقول العالمان « شيلدون والينور » انهما وجد أن ١٦٢ ٪ من الاطفال الجانحين الذين تناولوهما في دراستها ، يكرهون المدرسة كراهية شـديدة ظاهرة (٢) .

اما البحث الذي قام به مركز بحوث المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عام ١٩٧٢ بعنوان « الاحداث الجانحين » فقد اتضح منه أن ٥٤،٠٦ ٪ من أفراد البحث من الجانحين الاميين ، وأن ٨٣،٠٩ ٪ منهم غير مقيدين بالمدارس وأن ٢٨،٠٨ ٪ منهم لم يذهبوا للمدرسة نهائيا من مجموع العينة ، ومعنى ذلك أن الأمية كانت منتشرة بين الأحداث الجانحين ، وإن غالبيتهم غير ملتحق بالمدرسة ، أي انهم فشلوا دراسيا ، وفشلت معهم المدرسة كمؤسسة تربوية .

والذي يهمنا هنا بالذات هو عجز المدرسة عن توفير الجو التربوي السليم لنمو أطفالها ، بدليل أن نسبة كبيرة منهم بالرغم من استمرارها في الدراسة لمدة ٦ سنوات (٣٢،٧ ٪) إلا أنهم لم يستفيدوا مطلقا من دراستهم .

---

(1) A. C Dur Johnson, «Schools Make Crimials» Journal of Criminal Law and Criminology. 33 : 310-315, Nov. Dec. 1942 .

(2) Glueck, Unravelling Juvenile Delinquency, Op Cit., P 144.

ومن بحث آخر قام به نفس المركز التابع لمعهد الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عام ١٩٧٣ بعنوان « الاحداث المارقين » إتضح أن ٥٤،٥٪ من جملة الاحداث المارقين قضوا ستة أعوام بالمدرسة وذلك يؤكد حقيقة فشل المدرسة كمؤسسة تربوية ، وايضا فشل الأسرة فى رعاية الأطفال من الانزلاق الانحراف والسلوك الشاذ .

— أما وسائل الترفيه كأحد العوامل الهامة التى قد تؤدى إلى السلوك المنحرف، فإننا نعرف أن الترفيه واللعب يحتاج اليهما الطفل كحاجته للطعام والغذاء ، حيث أن اللعب هو وسيلة الطفل للتعبير عن مشاعره الذاتية ، ومشاعره عن العالم الذى يعيش فيه ، فهو يلعب ويعبر من خلال لعبه عما يرغب فيه أو عما يرغب فى أن يكون عليه ، ويتعلم الطفل كيف يتعامل ويعيش مع الآخرين ، وكيف يكون محبوبا بينهم ، ولذلك اهتمت الدول المتقدمة بوسائل الترفيه ، واستغلال وقت الفراغ لأطفالها وشبابها ، لما فى ذلك من أهمية وخطورة فى نفس الوقت ، فقد تبين من الدراسات المختلفة أثر عدم توافر وسائل الترفيه ، وسوء استغلال وقت الفراغ على بعض الظواهر الاجتماعية بوجه عام وعلى ظاهرة الانحراف والجريمة بوجه خاص .

ومن ثم يعتبر سوء استغلال وقت الفراغ وعدم توافر وسائل الترفيه من العوامل الهامة المؤثرة فى انحراف الأحداث .

ويرى بعض الباحثين ان كثيرا من المشكلات السلوكية ترتبط بوقت الفراغ، وإن نسبة كبيرة من جناح الاحداث تحدث خلال هذا الوقت(١) .

---

(1) M Neumeyer. «Juvenile Delinquency in Modern Society» New York D. Van Nostrand Com. Inc., 1961, p 214

ويقول « سذر لاند » فى هذا الصدد أن الاطفال بطبيعتهم يدفعهم الفضول الى التماس وسائل ترفيهية جديدة فى كل الاوقات وهم لذلك يندفعون لتجربة كل ما يحيط بهم من وسائل اللهو التجارية الرخيصة ، وفى داخل الحى الذى يقيمون فيه . ولهذا فقد ينغمس الاطفال المقيمون بهذه الاحياء فى انماط سلوكية ضارة ، الأمر الذى يقودهم الى الجنوح والجريمة (١) .

وقد تبين من الدراسة التى اجريت على ٢٠٠ طفل من الاحداث المنحرفين الذين عرضوا على محكمة احداث الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ، عندما سئلوا عن الاماكن التى يقضون فيها وقت فراغهم أن ٥٢ ٪ منهم يقضون وقت فراغهم فى الشارع ، بينما ٢٩ ٪ منهم يقضونه فى السينما ، ٥ ٪ منهم فقط يقضون فراغهم فى النوادى أو الساحات الشعبية ، والباقى فى اماكن أخرى متفرقة : كالمنزل أو شواطىء البحر او المقاهى .

ومن الدراسة التحليلية التى أجراها مركز بحوث الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٧٣ للاحداث الجانحين بمدينة الاسكندرية ، اتضح أن ٥٥,٢ ٪ من العينة التى أجرى عليها البحث وكان عددهم ١٠٠ حدث يقضون وقت فراغهم فى التجول فى الطرقات دون هدى أو هدف محدد ، بينما ٢٢,٩ ٪ منهم يقضون وقت فراغهم فى السينما ، ونسبة ٦,٥ ٪ منهم يقضون فراغهم بالمنزل .

من كل ذلك تبين لنا أثر سوء استغلال وقت الفراغ وعدم توافر الاشراف والتوجيه ، وكذلك قصور المؤسسات التى تعمل فى مجال الترويح ، وانعكاس

---

(1) Sutherland Princıpl e f Crim nology op C. , pp

ذلك كله على تعرض الاحداث للمخاطر السلوكية ، إذ يبدأ الانحراف فى شكل لعب ولهو وينتهى الأمر الى الوقوع فى ألوان متعددة من السلوك المنحرف .

كما أن وسائل الاعلام المختلفة قد تكون من العوامل المؤثرة على الاحداث ، وقد تدفع الكثير منهم الى السلوك المنحرف ، فالصحافة مثلا بالرغم من أن لها دورا رئيسيا فى تهيئة الرأى العام استثارته لمحاولة التصدى لمشكلات المجتمع والعمل على حلها ، والتى من بينها مشكلة انحراف الاحداث ، وذلك عن طريق توضيح حجم المشكلة والعوامل التى تؤدى اليها ، وتتضافر فى احداثها ، وكذلك كيفية مواجهتها ، بالاضافة الى مساهمتها فى تثقيف أولياء الامور بالطرق الصحيحة للتربية وتوجيه الأحداث ، الا أنها فى الوقت نفسه قد تتورط فى مشكلة خطيرة دون أدراك أبعادها ، وهى نشر بعض الجرائم بتفصيلاتها الدقيقة وقد يكون الهدف منها هو أعطاء الصورة الكاملة للجريمة وكيف تم القبض على المجرمين ، ولكن كثيرا مايتناول الصغار هذه الجرائم بالقراءة ، ويعمد البعض منهم الى استخلاص بعض المواقف المشابهة التى يمكن من خلالها تحقيق بعض المكاسب السريعة ، فيقوم بمحاكاة المجرم بارتكاب الجريمة أو ممارسة السلوك المنحرف ، وبهذا تكون الصحافة قد ساهمت بطريق غير مباشر وغير مقصود فى نشر الانحراف والجريمة .

ولقد أجرى أحد الباحثين استفتاء لمعرفة دور الصحف فى منع الجريمة وفى مكافحتها ، وكانت النتائج سلبية ، فقد اجاب عدد كبير من القضاة والمحامين ، وضباط الشرطة ، بالقول بأن الصحف مقصرة فى دورها الصحفى بصدد معالجة موضوع الانحراف والجريمة ، بل على العكس من ذلك ، فهى تحفز الافراد على ارتكاب الجريمة ، وتساعد المجرمين على تطوير اساليبهم الاجرامية ، وتبرز لهم

المجرم فى صورة البطولة ، وتسهل لهم طرق الحماية والتخلص من القانون ، وكيف يتم الافلات من العقاب ، وتنتقص دور العدالة، وتشكك فى دور رجال القانون ، ودور المؤسسات الاصلاحية فى معالجة المنحرفين (١) .

فالجريمة التى تظهر على صفحات الصحف أو المجلات، أو على الشاشة الفضية ، كخبر صحفى مثير ، لا شك قد تعكس انطباعات شتى فى نفوس الجمهـــور ، ويقول أحد اطباء الامراض العقلية فى هذا الشأن ان نشر اخبار الجريمة فى بعض المجلات بشكل معين ، قد يزود القارىء بأفكار اجرامية جديدة أو قد يضاعف استعداده ، أو يجعل من تأهبه لكل اغراء محتمل ، وقد يلهب غريزة العـــدوان الكامنة فيه ، او قد يهيء له الاطار الفلسفى الذى يبرر له ارتكاب الجريمة (٢) .

كما وأن انتشار بعض الكتب الرخيصة التى تمثـــل البطولات الفردية ، أو الوصول الى النجـــاح والثروة بطرق غير واقعية وغير مشروعة ، قد تؤدى بالاحداث والشباب الى اساءة فهم الحقائق ، وقد تخلق مواقف للصراع بين قيم المجتمع وبين هذه البطولات الفردية ، وأخطر أنواع هذه الكتب والمجلات هى كتب الاطفال والمجلات الهزلية الخاصـــة بهم ، وهى على أنواع : بعضها يهتم بتقديم مواد ثقافية عامة ولكن على درجة معينة من الحشمة والاتزان وبأسلوب هزلى مقبول ، والبعض الآخر يقدم مادة تافهة ماجنة تعتمد على عناصر الاثارة والسخرية اللاذعة ، وهكذا نجد كتب الاطفال الغث والسمين . هذا ما تؤكده

---

(1) Perry F. Olds, « The Place of the Press in Crime », Year Book, N.P.P.A., 1947, pp. 245 — 259.

(2) Leonard Broom & Philip Salznick, Sociology Op Cit., p. 672.

احدى الدراسات التى قامت بمسح احصائى لعدد كبير من هذه الكتب (١) .

والذى يعنينا هنا هو علاقة هذه الكتب والمجلات بالانحراف حيث ان هناك كلام كثير يثار حولها ، ومدى تأثيرها السيء على الأحداث ويقول الدكتور (فردريك وثام F. Wetham) ان مقدار الكتب التى وزعت فى أمريكا عام ١٩٥٤ قد بلغ تسعين مليونا شهريا ، وان معدل ما يقرأه الطفل الامريكى الواحد هو ١٤،٥ كتابا فى الأسبوع (٢) .

ويقول « فردريك وثام » أيضا فى موضع آخر ، ان غالبية هذه الكتب تدور حول الجريمة والعنف والرعب والسادية (٣) .

وقد يزعم بعض المتفائلين من المتخصصين فى علم نفس الطفل أو الطب العقلى ان نزعة الطفل نحو العنف والسادية تكاد تكون صفة طبيعية ، لاضرر منها ، وذلك خلال مراحل زمنية معينة ، ولأجل ذلك فهم لا ينكرون ضرورة مثل هذه الكتب التى تغذى هذه النزعات ، إذ أنها تكون المنافذ الضرورية لتفريغ هذه الطاقات الكامنة التى قد تعد جزء مكملا لعملية النضج النفسى (٤) .

ولكننى اقول أنه بدلا من اتاحة الفرصة لتفريغ هذه الطاقة العدوانية بصورة سلبية عن طريق هذه الكتب ، فاننا يمكننا اتاحة العديد من الفرص لتفريغ تلك الطاقة بصورة ايجابية عن طريق حسن استغلال وقت فراغهم ، وما نخططه لهم من برامج لمختلف الانشطة ، وعلى الاخص الانشطة الدينية

---

(1) Barness & Teetrs, Op. Cit . pp. 203 — 204.

(2) Fredric Wathum, Seduction of the Innocent, New York, Rinehart and Company, 1954, pp. 10—36.

(3) Watham, Ibid., P. 307.

(4) Taft, Criminology Op. Cit., p. 271.

التي سيأتي ذكرها بالتفصيل في الجزء الخاص بالعلاج الاسلامي، وهي مصممة بصورة تناسب أعمارهم وعقولهم ، وبذلك نقدم لهم الوقاية من الانحراف ، بدلا من تفريغ تلك الطاقة العدوانية بالاساليب الانحرافية والتي نشغل بعلاجها بعد أن ينحرف الاحداث ، الوقاية خير من العلاج .

ويأتي بعد ذلك دور الافلام السينمائية كأحد الوسائل الترفيهية المحببة لدى صغار السن ، وتجذب انتباههم ، وتستحوذ على تفكيرهم بطريقة تجعلهم يقعون فريسة للعديد من المشكلات في سبيل حضور هذه الحفلات سواء كانت في السينما أو في الفيديو عند الاصدقاء أو الاقارب . ومن ناحية أخرى فإن البرامج التليفزيونية مثلها مثل السينما فكلاهما تجذب الانتباه وتسيطر على التفكير ، وتشغل الحدث لمدة طويلة بعد انتهاء العرض ، وفي هذه السن الصغيرة نجد أن القابلية للمحاكاة لدى الاحداث كبيرة ، مما يجعلهم يحاولون محاكاة بعض ابطال هذه الروايات ، أو أن العروض نفسها أو البرامج قد تتضمن بعض الافكار الاخلاقية والاجتماعية التي تعتبر خرقا لقيم وتقاليد المجتمع ، وقد يكون الهدف من عرضها ، هو أخذ العبرة ، ولكن إدراك الصغير لايصل إلى هذا المستوى ، وبذلك نكون قد عرضنا هؤلاء الصغار إلى خبرات مبكرة لايجب أن يمروا بها قبل سن النضج ، وقد تمهد لهم هذه الخبرات طريق الانحراف / وعملية تقليد الصغار لما يشاهدونه في البرامج السينمائية والتلفزيونية عملية خطيرة ومؤثرة ، ولذلك قامت اثنتا عشرة دراسة لكشف أثر السينما على الانحراف والجريمة . وقد جرت دراسات مقارنة على عينات بشرية أو مجموعات من أطفال جانحين وأطفال غير جانحين ، كما جرت دراسة أخرى على أثر السينما على نزلاء السجون واصلاحيات الاحداث وعلى أشخاص اسوياء غير منحرفين . وكانت من أبرزها

هذه الدراسات تلك الدراسة التى تناولت مجموعة من الأطفال الجانحين من ذكور واناث ومن نزلاء مدارس اصلاحية متعددة ، وقد تناولت هذه الدراسة ٢٦٨ طفلا جانحا من الذكور والاناث ، وقد أعرب ١٠٪ منهم عن تأثره المباشر بالسينما ، كما أعرب ٤٩٪ من الجانحين الذكور إن السينما اثارت رغبتهم لحمل سلاح نارى قاتل ، وأن ٢٨٪ منهم تعلموا بعض أساليب السرقة التى تعرضها أفلام السينما ، وأن ٢٠٪ منهم تعلموا كيفيـة الافلات من القبض عليهم ، والتخلص من عقاب القانون ، وأن ٤٥٪ منهم وجدوا فى الانحراف والجريمة الطريق السريع إلى الثراء العاجل كما تصوره السينما لهم ، وأن ٢٦٪ منهم تعلموا القسوة والعنف عن طريق تقليد بعض المجرمين فى أسلوب معيشتهم الذى اظهرته السينما لهم من خلال أفلام الجريمة(١) .

ويقول « سذر لاند » فى هذا الصدد أن نسبة احتمال استخدام بعض الأفراد للأساليب الإجرامية التى تعرضها السينما ، تكاد توازى نسبة استخـدام بعض رجال الشرطة للاساليب الإجرامية التى تظهر لهم من خلال التحقيقات الجنائية مع المجرمين(٢) .

أما التلفزيون والفـديو ، ذلك الجهاز السحرى الذى تسلل إلى كل بيت ووصلت براجه إلى كل طفل ، وانعدمت السيطرة على براجه ، مما جعله أخطر تأثيرا على الأحداث وأوسع انتشارا بينهم، ولذلك اهتم علماء الجريمة بتتبع أثره على انحرافهم ، وجعلهم يريدون ان يعلموا إلى أى حد يستطيع هذا الجهاز أن

(1) Herberr Blumet & Philip M. Hauser, «Movies Delinque—ncy and Crime,» New York, Macmillan, 1933, pp. 35—71.

(2) Sutherland, Principles of Criminology, Op. Cit P. 215.

يسوق لأفراده المشاهدين بعض الانماط الإجرامية وإلى أى حد يستجيب الأفراد إلى هذا العرض بما يجعلهم يبادرون إلى تقليد هذه الانماط السلوكية المنحرفة ، وخاصة بعد أن اصبحت الجريمة وبرامجها الوجبة الشهية التى يقدمها التليفزيون فى كل وقت وفى كل مكان ، وهى تناسب كل ذوق ، وكل سن وكل طبقة ، غذاء للاطفال ، وغذاء للمراهقين ، وغذاء للكبار البالغين .

ورغم محاولة السلطات المعنية للحد من هذه الكميات الوافرة من البرامج الإجرامية ، ورغم كثرة القوانين والتنظيمات التى تهدف إلى السيطرة على هذا الإنتاج الضخم من برامج الجريمة وأخبارها فان جميع هذه الجهود تكاد تعجز عن مواجهة استغلال أصحاب هذه الصناعة ورغباتهم اللامعقولة فى تحقيق المزيد من الربح . ولعل خير ما يؤيد هـــذا القول أن نسبة ما يعرض فى أجهزة التليفزيون من أخبار الجريمة يكاد يتضاعف يوما بعد يوم ، ويكاد يطغى على كل باب آخر من أبواب التلفزيون الكثيرة الاخرى(١) .

والاذاعة ايضا فانها أصبحت فى متناول اسماع الجميع وفى جميع قطاعات المجتمع ، ريفية كانت أم حضرية ، وهى تعمل ساعات اليوم بأكمله تقريبا ، مما يجعل الصغار يلتفتون حول سماع البرامج فى أوقات متعددة أثناء اليوم ، وحيث يجدون الفرصة سانحة لينشط الخيال عندهم فى تصور المعنى والمضمون والسلوك المصاحب عاكسين بذلك خلفيتهم وتكوينهم النفسى وكثيرا ماتكون فى بعض التمثيليات من المواقف التى تمثل الجريمة أو السلوك الإجرامى ، وتوضح دهاء وذكاء بعض المجرمين ، مما يؤثر على المستوى الخلقى والإجتماعى للاحداث .

---

(1) Taft, Criminology, Op. Cit. P 269.

وقد اتضح من الاستفتاء الذى قام به أحد الباحثين ووجهه إلى أكثر من ٣٠٠ شخص من المتخصصين فى شئون طب الأطفال وأطباء العقل وعلماء النفس والاجتماع ، وقد سألهم عن رأيهم فى برامج الراديو فى أمريكا ، ومدى تأثيره على الاطفال بوجه خاص ، وكانت النتيجة أن ٩٠٪ منهم يعتقدون أن الراديو آثاره السيئة على الأطفال بوجه عام ، وان ٨١٪ منهم يعتقدون بوجود علاقة بين بعض برامج الراديو وإنحراف الأحداث(١) .

ومن أهم العوامل المؤثرة فى إنحراف الأحداث الصراع الحضارى والقيم الثقافية ونقص التوجيه الدينى ، فبالنسبة للصراع الحضارى فان هذا الصراع عادة ما يكون مصاحبا للتغير الاجتماعى فى المجتمع ، ومع ضرورة التغير الاجتماعى ، فان هذا التغير يترك آثاره فى الجوانب المعنوية بالذات ، حيث يقع الصراع بين القديم والحديث ، بين ما هو مستقر ومتفق عليه ، وبين الجديد الغريب ، وعادة ما يميل الناس إلى التمسك والولاء للقيم القديمة أكثر من الحديثة الواردة إليهم ، فالقديم معروف يشعر الناس من خلاله بالأمن والطمأنينة ، أما الجديد فهو المجهول غير المستقر ، فانه يثير فى نفوس الناس القلق . وقد يقع البعض فريسة لذلك الصراع بين القديم والجديد ، وبالتالى ضحية للانحراف وسوء التوافق فى شتى صوره وأشكاله .

إن هناك أنواع كثيرة من الاحداث المنحرفين والمجرمين فى المجتمع المعاصر نتيجة لوجود الصراع المعيارى على نطاق كبير ، وقد علق « بورادو » قائلا : إن كل جيل لا يتيح الفرص لمقابلة وحل المشكلات الجديدة ، بل يبدأ بالحلول الموروثة عن الأجداد ، وهذا هو السبب فى إن الجهود العلاجية المبذولة تتقدم

(1) Barness & Teeters. Op. Cit., p. 202.

بطء(١) . وقد استخدم ايضا مفهوم الصراع الثقافى للاشارة إلى الظروف الاجتماعية المتميزة بضعف العلاقات ، ونقص المؤثرات التى توجه الأفراد ، وقد استخدم هذا المفهوم كبديل للصراع المعيارى ، وفى أحيان اخرى بمعنى الصراع المعيارى الناجم عن هجرة مستويات السلوك من منطقة لأخرى(٢) ومن الممكن ان يتطور الصراع المعيارى فى ظل الثقافة دون ادخال ثقافات المناطق الاخرى، وقد تتصارع معايير ثقافية لمنطقة مع معايير ثقافية لمناطق اخرى ، وقد اشارت معظم الدراسات الأمريكية التى تبحث العلاقة بين الصراع الثقافى والجريمة ، إلى وجود اتصال وثيق بالصراع المعيارى(٣) .

كما أن هناك عامل آخر له تأثيره على الانحراف وهو تعارض الطموح والآمال ، وفى هذا الصدد قال « كلوارد و أوهلين Cloward & Ohlin » إن تعارض الطموح والآمال مع الفرص المناسبة قد يشجع مجموعة من الذين يعانون من مشكلة واحدة على التحرر من الارتباط بنسق المعايير، وبالتالى الخروج على مجموعة القوانين الموجودة ، وفى هذه الحالة يبتكر هؤلاء الأشخاص العديد من وسائل وأساليب الانحراف ، كمحاولة منهم لتحقيق النجاح كأسلوب للتكيف

---

(1) David J Bordua, «Delinquent Subcultures : Sociological Iuterpretations of Gang Delinquency » Amnal of The American Academy of Political and Social Sience. 338 : 119; 1961.

(2) Donald R. Cressey « Calture Conflic Defferential Association and Normative Conflict» Chap. 4 in Crim and Calture: Essays in Honor of Thorsten Sellin, ed Marvin E Wolf Gang. New York Wiley 1968, pp 43 44.

(3) Ibid , Chapter, 7

مع تلك المشكلات ، وذلك فى المجتمع الذى جعلهم يتشككون فى شرعية قوانينه الإجتماعية التى تتعارض مع معاييرهم . وتحت هذه الظروف يصبح من الصعب على الأفراد أن يتفقوا على أنماط السلوك الملائمة والصحيحة فى نفس الوقت ، ومتى حدث هذا الإنفصال يصبح التدعيم الثقافى للنسق المعيارى أكثر تعرضا للاعتداء عليه(١) .

وإذا كان الكبار عرضة لهذا الصراع ، فما بال الأطفال الصغار ، وأنهم سيشعرون بالحيرة إزاء مايلمسونه فى المجتمع من تناقض القيم وتباين المعايير ، والطفل بين هذه القيم المتناقضة قد يقع فى الخطأ أو السلوك المنحرف ، فيلقى التأنيب أو التحقير أو العقاب ، وهنا يشعر بالظلم والقلق وعدم الشعور بالأمن ومن ثم السخط وسوء العلاقة بينه وبين الناس ، ويلجأ إلى الفرار من أسرته ومن المدرسة ويلجأ إلى الشارع ، ويعبر عن نفسه بشتى الطرق المنحرفة التى تخفض من قلقه وتوتره .

وأخيرا يأتى دور أهم العوامل المؤثرة فى الانحراف وهو نقص التوجيه الدينى حيث يعتبر من أهم العوامل المؤثرة فى لانحراف ، وإذا كانت البحوث والدراسات لم توضح لنا بشكل قاطع حقيقة الصلة بين نقص التدين والانحراف ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من ان نقرر بأن الدين بما له من أثر قوى فى نفس الطفل ، بما يحتوى به من قواعد الأخلاق ، والحث على السلوك القويم ، إنما يجعل الطفل بمنأى عن الانحراف ، وذلك طالما كانت التعاليم الدينية قد بنيت فى نفس الطفل

---

(1) Richard A. Cloward & Lloyed E. Ohlin, Delinquenc of and Oppertunity : A Theory of Delinquenc Gangs, Glencoe, Ill, Free Press, 1960, pp. 108—109.

بطرق صحيحة فى ظروف هادئة بحيث يصبح التدين الصحيح مظهرا من مظاهر قوة « الأنا الاعلى » Super Ego ، ولا بد من الاشارة إلى أثر الفهم الخاطىء للتعاليم الدينية فى سلوك الاحداث ، إذ لوحظ إن الاحداث يكونوا أكثر انقيادا إلى من يدفع ويستهويهم باسم الدين إلى سلوك معين قد يتضمن خروجا على قواعد المجتمع .

وقد حاول الباحثون دراسة العلاقة بين جناح الاحداث والنظام الدينى ، ونظرا لمحاولتهم الاقتصار على دراسة المظاهر الموضوعية للدين التى يمكن أن تعبر عنها مظاهر السلوك الدينى ، فقد إتجه الباحثون إلى دراسة العلاقة بين الجناح وبين أداء الشعائر والفرائض الدينية ، والانتظام فى ذلك وبين الجناح والمساهمة فى النشاط الدينى والجمعيات الدينية من ناحية ، ودراسة العلاقة بين الجناح والتثقيف أو التربية الدينية من الناحية الاخرى ، وقد إتضح من أحد البحوث التى اجريت فى مصر عند دراسة الصلة بين الجناح وأداء شعائر الدين ما يلى(١):

١ — نسبة الاحداث المتهمين بالسرقة الذين لا يؤدون الصلاة ٧١٫٨٪ .

٢ — نسبة الاحداث المتهمين بالسرقة الذين لا يؤدون الصوم ٥٢٫٨٪ .

كما إجريت دراسة على مجموعة من الاحداث المنحرفين الذين قدموا إلى محكمة الاحداث بالإسكندرية لبيان مدى الإرتباط بين نقص التدين وبين الإنحراف وتبين أن جميع الأحداث موضع الدراسة يؤمنون بالعقيدة الدينية كفكرة ،

---

(١) عبد العزيز عزت ، أهم نظم الجماعات المتأخرة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧ ، نقلا عن محمد عارف ، الجريمة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٥٧٦ .

ولكن النتيجة كانت عكسية فيما يتعلق بأداء الفروض الدينية ، فلم يكن من بينهم من يتمسك بهذه الفرائض كاملة ، ولوحظ مع ذلك أن نسبة ٢ ٪ منهم يؤدون الصـلاة بطريقة غير منتظمة ، كما إتضح أن ١٦ ٪ من بينهم يؤدون فريضة الصيام(١) .

ويقول « محمد عارف » إن النظام الديني يمكن أن يرتبط بالجناح في حالتين :

١ ــ إذا لابس النقص بناء الهيئة الدينية في مجتمع ما يتضاءل عدد أعضائها بصورة لا تمكنهم من الاتصال المباشر بأكبر عدد من الأتباع (٢)

٢ ــ وإذا اعتور قصور الأداء الوظيفي هذا النظام ، فلا تقوم العقيدة كرادع ضد الجناح ، ولا يصاحبها التبصر والإحساس الخلقي ، ذلك لأن المعايير الخلقية التي تغرسها التربية الدينية والتي ترتبط بالاقتناع الديني تخلق الروادع القوية ضد الجناح .

٣ ــ إذا صاحب النقص في بناء الهيئة الدينية وقصور أدائها الوظيفي نقص في بناء النظم الاجتماعية وقصور في أدائها الوظيفي ، بحيث يعزز ذلك النقص والقصور ضعف الروادع والضوابط الاجتماعية بصفة عامة(٣) .

---

(١) طه أبو الخير ومنير العصرة ، إنحراف الأحداث ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦١ ، ص ٣٨٥ .

(٢) عبد العزيز عزت ، الجريمة وعلم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٢ .

(٣) محمد عارف ، الجريمة والمجتمع ، مرجع سابق ذكره ٥٨٢ .

الخاتمة :

إن دراسة الإنحراف بنظرياته المفسرة وعوامله المؤثرة ، مهما تعددت تلك النظريات ومهما اختلفت هذه العوامل فمن أجل الوصول إلى نظرية متكاملة يتضح منها أكبر قدر ممكن من العوامل والأسباب التى تؤدى إلى الإنحراف والتى يستطيع المعالج على أساسها وضع خطته العلاجية المناسبة .

والباحث عندما حاول وضع خطة العلاج الإسلامى عن طريق التوجيه الدينى وضع أمامه العوامل والأسباب فى تكاملها والتى ترتب عليها تكامل الخطة العلاجية بشقيها الذاتى والبيئى .

وتكامل العلاج الذاتى والبيئى يهدف إلى تنشئة الاحداث تنشئة اجتماعية إسلامية ترتفع بمستوى أخلاقهم وقيمهم الروحية وتجعلهم يتمسكون بقواعد دينهم ويلتزمون بقيمه ومعاييره ، وبذلك يجد الاحداث المنحرفون فى التوجيه الإسلامى « الدينى » الوقاية والعلاج .

الفصل الخامس

الضبط الاجتماعى والانحراف

ملاحظة :

لقد عرف « بول لانديز » الضبط الإجتماعى بأنه سلسلة العمليات الإجتماعية التى تجعل الفرد مسئولا تجاه المجتمع ، وتقيم النظام الإجتماعى ، وتحفظه ، وتشكل الشخصية الإنسانية عن طريق تطبيع الفرد ، وتسمح بتحقيق نظام إجتماعى أكمل ، وأنه ليس من الممكن أن نقيم مجتمعا منظما ، ولا أن نخلق شخصية متكاملة بدون الاعتماد على مجموعة من القيم الملزمة وقد أيده « روس » فى ذلك عندما قال أن الضبط الإجتماعى يشمل عمليات التربية والتطبيع الإجتماعى الرسمية وغير الرسمية بالاضافة إلى القانون . وبعبارة أخرى فإن الضبط الإجتماعى هو القادر على تشكيل سلوك الفرد وضبطه بحيث يساير مقتضيات الحياة فى المجتمع ، كما تتصورها وتحددها الدولة .

ويقول « سيرج ديزسوف » أن بعض درجات الانحراف الإجتماعى تسير جنبا إلى جنب مع أهداف النظام الإجتماعى بواسطة معايير المجتمع وقوانينه ، وعلى ضوء ذلك فإنه يتحتم على كل مجتمع يسير وفق قوانين معينة أن ينمى ميكانزمات الضبط الإجتماعى التى تؤكد اتباع تلك القوانين والالتزام بها .

وميكانزمات الضبط الذاتى أقوى تأثيرا فى عملية التنشئة الإجتماعية من ميكانزمات الضبط الخارجى حيث أن القدرة على أن يتقبل الفرد معايير الجماعة وقوانين المجتمع بعد أن يستدمجها داخله من خلال عملية التنشئة الإجتماعية ، وبعدها يستمر الفرد فى الإلتزام بها حتى لو لم يكن هناك من يراقب ويرى ما يحدث .

وعندما يتم استدماج المعايير الإجتماعية بنجاح فسيتراجع أى فرد عن أى

سلوك منحرف ، ليس خوفا من العقاب ولكن امتثالا للمعايير الإجتماعية حتى لو اختفت الضرورة التى أوجدت تلك المعايير ، وهنا يتصرف الضمير كميكانزم داخلى للضبط الإجتماعى .

وتكوين الضمير يتم أثناء عملية التنشئة الإجتماعية التى تشكل رغباتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ولكى يتم عملية التنشئة بالطريقة السليمة لتحديد الأدوار وتعليمها بالصورة التى تمد الأفراد للتوافق مع المجتمع فلابد أن يكون الدين وسيلة الضبط الإجتماعى القادرة على أحداث ذلك ، حيث أن الدين هو القادر على تشكيل الرغبات والعادات والتقاليد التى سوف تصبح المعايير القوية لسلوك الأفراد وإذا كانت المعايير الدينية هى مقاييس السلوك فلن يخالفها أحد ولن يكون هناك جريمة أو انحراف ، وسينجح الأفراد فى أدائهم لأدوارهم الإجتماعية كما يتوقعها منهم المجتمع .

وقد تستخدم بعض المجتمعات القوة لضبط السلوك المنحرف ولكنها لن تقضى عليه لأنها قوة مستمدة من القوانين الوضعية التى هى من صنع الانسان الذى قد يصيب مرة وقد يخطىء مرات ، وحتى لو نجحت تلك الأساليب فسيكون نجاحها وقتيا وموقفيا وليس نجاحا دائما بدليل أن معظم المجتمعات قد مارست تلك الأساليب وما زال السلوك المنحرف منتشرا حتى الآن ، بل وبصورة متزايدة ، ترتب عليها زيادة عدد المنحرفين وزيادة عدد المؤسسات الاصلاحية المختلفة فى جميع المجتمعات .

أما إذا كانت القوة المستخدمة فى ضبط السلوك المنحرف هى قوة التشريعات السماوية التى هى من وضع الخالق سبحانه وتعالى ، فإنها تكون من أنسب الوسائل اللازمة لضبط السلوك وستكون صالحة لكل زمان ومكان ، وكلما

ابتعدت المجتمعات عن تلك التشريعات السماوية كلما خضعت للتشريعات الوضعية وبذلك يزيد الإنحراف وينتشر .

الضبط الاجتماعي :

أن اصلاح « الضبط الإجتماعي » يقابل ما اتفق علماء الإجتماع المحدثون على التعبير عنه بعبارة Social Control ولكن مدلول هذا الاصطلاح ومفهومه لم يتحدد بدقة إلا حديثا جدا ، ولذلك تعدد آراء علماء الإجتماع في تعريفهم « للضبط الإجتماعي » ، ويرجع هذا إلى تباين وجهات نظرهم فيما يتعلق بالأمور المتصلة اتصالا وثيقا بفكرة وفاعلية « الضبط » من ناحية ، وما يكمن وراء فكرة الضبط من اتجاهات أيديولوجية تحدد معالم النظام الإجتماعي الذي تعمل وسائل الضبط على صيانته أو تطويره ، من الناحية الأخرى .

وقد ظل موضوع الضبط الإجتماعي مشاعا وموزعا بين فروع متعددة من فروع الدراسات الانسانية الإجتماعية حتى عام ١٩٢٠ حيث وضع العلامة الأمريكي « روس E. A. Ross » كتابه المعروف « الضبط الإجتماعي » وفيه عرف « روس Ross » الضبط الإجتماعي « بأنه التسلط الإجتماعي المعمدي على الفرد الذي يحقق وظيفة في حياة المجتمع »(١) .

ويرى « روس » أن هناك مصالح جمعية في كل صورة من صور الحياة ليس من سبيل إلى حمايتها إلا عن طريق عمل جمعي يأخذ شكل « الضبط » . كما ذهب إلى أن « النظام الإجتماعي » وهو ضرورة من ضرورات وجود المجتمع

---

(1) Kurt Wolfe, "Social Contro.", in J. Gold & W. Koblde., A Dictionary of the Social Siences, New York : The Free Press of Glenoe, 1964, p. 65.

وبقائه ، وليس غريزيا ، ولا يتحقق تلقائيا ، وانما يعتمد على « الضبط » وينتج عنه ، فالانسان عند « روس » فى حاجة الى تحقيق النظام وهو أمر لا تستطيع الدوافع الانسانية الأخلاقة وحدها تحققه .

وبغير « الضبط الاجتماعى » تهدد الصرعات الحياة الاجتماعية كلها سواء أكانت بين الأفراد أو بين الجماعات ، ولذلك نرى أن هناك تكامل وظيفى بين « الضبط الاجتماعى » ـ كعامل ـ والاستقرار الاجتماعى كنتيجة ، ويحدد « روس » مجال الضبط الإجتماعى بأنه « يسهم ن محاولة تحقيق النظام الاجتماعى عن طريق التأكيد الصريح لسيادة المجتمع »[1] .

وبذلك يعنى « روس » أن الضبط الاجتماعى يشمل عمليات التربية والتطبيع الاجتماعى الرسمية وغير الرسمية ، بالاضافة الى القانون . وهو بعبارة أخرى « الاجراءات التى يتخـــذها المجتمع لتشكيل سلوك الفرد وضبطه بحيث يساير مقتضيات الحياة فى المجتمع ، كما تتصورها وتحددها الدولة .

ولذلك يمكن القول أن الدولة التى تجعل الشريعة قانونها ، والدين ضابطها ، تستطيع أن توجه التربية الوجهة السليمة ، وتتحكم فى عملية التطبيع الاجتماعى بما يحقق تشكيل سلوك الفرد وضبطه ، بما يحقق له الحماية والوقاية من الانحراف ويضمن لهم العلاج اذا انحرفوا .

وقد ميز « روس » بين أساليب « الضبط الاجتماعى » الصريحة ، والأساليب الضمنية ، وذكر أن القانون هو أهم تلك الأساليب الصريحة للضبط . وهو أساس

---

(1) George S. Gurvitch, « Control Sociale » in George S. Gurvitch (ed.) La Sociologie Auxxe Siécle, Paris . Presses Universitaires de France, 1947, Vol.I.I, P. 273.

النظام في المجتمع ، كوسيلة الأكثر فعالية . وأن كان قد ذهب الى أن المجتمع فى المستقبل سيعتمد على أساليب « الضبط الاجتماعى » الغير مباشرة (الضمنية) أكثر من اعتماده على القانون (٢) .

وقد أيده فى ذلك « بول لانديز » عندما عرف « الضبط الاجتماعى » بأنه سلسلة العمليات الاجتماعية التى تجعل الفرد مسئولا تجاه المجتمع ، وتقيم النظام الاجتماعى وتحفظه ، وتشكل الشخصية الانسانية عن طريق تطبيع الفرد ، وتسمح بتحقق نظام أكمل ، وأنه ليس من الممكن أن نقيم مجتمعا منظما ، ولا أن نخلق شخصية متكاملة بدون الاعتماد على مجموعة من القيم الملزمة (١) .

وقد أشار « وليم جراهام سمنر » باهتمام كبير الى خصائص الأعراف والعادات الاجتماعية كوسائل للضبط الاجتماعى ، ويشير الى ما يترتب على الهيبة والقدامة التى تتميز بها الأعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية من زيادة فعالية عملية « الضبط الاجتماعى » .

وفى رأيه أن طبيعة الالزام والضبط فى الاصطلاحات الجمعية تظهر أوضح ما يكون فى الأعراف ، وهى عادات تقوم على قيم تعطيها القدرة على ضبط سلوك الفرد بحيث يلتزم بما تصطلح عليه الجماعة (٢) .

والمجتمع الذى يجعل الشريعة دستوره ، والدين منهج حياته ، وموجه أموره ،

---

(1) Ibid., P. 277.

(2) Ibid , P. 288.

(3) Lewis Coser & Betnarp Rosen Berge, (eds), « Sociological Theory » A Book of New York The : Macmillan Co , 1967,

وتكون عاداته وأعرافه منبثقة من منهج حياته ، ومتمشية مع دستوره بما لها من طبيعة الالزام والضبط سواء للاصلاحات الجمعية أو لضبط السلوك الفردى بما يؤدى الى زيادة فعالية « الضبط الاجتماعى » .

وفى هذا الصدد نرى « ماكيفر Ma Civer » ، « بيج Page » يقولان أن الضبط الاجتماعى هو الطريقة التى يتطابق بها النظام الاجتماعى كله ويحفظ هيكله ثم كيفية وقوعه بصفة عامة كعامل للموازنة فى حالات التغير ... ولذلك يتحتم عند دراسة الضبط الاجتماعى تقصى الوسائل التى يشكل بها المجتمع سلوك الفرد وينظمه ، وفى نفس الوقت يتعرف الطرق التى يتبعها هذا السلوك المعين والعام بالنسبة للافراد جميعا للمحافظة بدوره على حفظ النظام الاجتماعى (١) .

ولذلك يعتقد بعض علماء الاجتماع أن « الضبط الاجتماعى » هو فى حقيقة الأمر عامل مشترك، فى دراسة السلوك الانسانى، نظرا لان الأمر يستلزم اشتراك عدد من العلوم الاجتماعية معا لفهم مشكلات الضبط فى المجتمع (٢) .

والخدمة الاجتماعية من أهم العلوم التى يهمها فهم مشكلات الضبط فى المجتمع لما لها من صلة وثيقة بالمشكلات المختلفة التى يواجهها ممارس الخدمة الاجتماعية

---

(1) Ma Civer R.M & Page, C.H. "Society, An Introduction Analysis", Rinehrd & Co, N.Y., 1949.

نقلا عن كتاب المجتمع ترجمة على أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(2) C.H. Brearly, "The Natural of Social Control", in Rouced J. Scedl. Social, Control Van Nostrand, N.Y., 1962, P. 7.

التي تهتم بدراسة السلوك الانسانى ودوافعه لتصل منه الى تشخيص وعلاج تلك المشكلات ، بعد أن أصبح الدين – وهو أهم أساليب الضبط الاجتماعى – بؤرة اهتمام الخدمة الاجتماعية التي بدأت تجنى ثمار ممارستة وتطبيقه كأسلوب علاجى هام لتلك المشكلات .

أما « أجبرن Ogborn ، ونيمكوف Nimkoff » فيريان أن المقصود بمفهوم « الضبط الاجتماعى » هو العمليات والوسائل التي تلجأ اليها الجماعة للتحكم فى حالات الانحراف عن المعايير الاجتماعية ، وأن كل ما يعتبر وسيلة من وسائل تنظيم السلوك يعتبر فى الوقت نفسه أداة من أدوات الضبط الاجتماعى (١) .

ويقول « كيمبول يونج » K. Young أن الضبط الاجتماعى ليس مجرد رغبة هو جاء لبعض الأفراد فى التسلط والسيطرة على الآخرين ، انما هو نظام ونسق هادف ، نظرا لأنه يهدف الى ايجـــاد التوافق والتوائم والتماسك والاستمرار للجماعة (٢) .

واذا كانت كل وسائل الضبط الاجتماعى فعالة ومؤثرة فى تنظيم السلوك وضبطه ، فان الدين هو أكثرها تأثيرا وفعالية ، فهو كفيل وحده بايجاد التوافق والتماسك والاستمرار للجماعة ، سواء كانت جماعة الأسرة ، أو جماعة الأصدقاء ، أو المجتمع ككل

---

(1) F. V. Ogburn & E. M. Nimkoff, A Hand Book of Sociology, Rouhedge & Kegan Paul, London, 1960. P 175.

(2) K. Young. "Sociology". Amprican Book Co., N Y, 1942, P 898.

وفى هذا المعنى يقول د. أحمد أبوزيد «أن الدين بتعاليمه وأوامره ونواهيه يعتبر من أقوى عوامل تحقيق التوائم فى السلوك الاجتماعى. »(٢).

وأخيرا يمكن القول أن الضبط الاجتماعى يبدو فى نظر المعاصرين من علماء الاجتماع ضرورة اجتماعية من الناحية الوظيفية والبنائية.

فمن الناحية البنائية يمكننا أن نتصور أهمية تماسك واحدات البناء الاجتماعى التى لا تتأكد، بل ولاتتأتى الا عن طريق التنظيم الذى يحكمه الضبط الاجتماعى بفضل ما يضعه من حدود واطارات ووشائج ارتباط واتصال، وما يرسمه من قواعد تنظيمية لا يمكن أن يتعداها النشاط الانسانى داخل الوحدات البنائية، حتى لايقع بينها تداخلات تفقد التنظيم الاجتماعى توازنه البنائى «واستقراره التكوينى، الأمر الذى يؤدى الى اختلال ووهن فى الأداء الوظيفى.

ومن الناحية الوظيفية تنشأ ضرورة الضبط والسيطرة الاجتماعية لوضع حد لطغيان النشاطات الوظيفية للانسجة الاجتماعية، ولتفادى المصادمات التى تنشأ نتيجة صراعات القوى المتعارضة، ولتجنب المتناقضات التى قد تنبثق نتيجة تعارض التخصصات الوظيفية للمنظمات والمؤسسات الاجتماعية، أو تناقض مصالح الفئات الجماهيرية التى تنظمها، أو تباين الحاجات والمتطلبات الضرورية والكمالية التى تعمل على اشباعها ومواجهتها.

ولقد عبر العلامة ابن خلدون عن هذه الضرورة الحتمية للسيطرة الإجتماعية فى قولة الجامع «ان العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره» كما أنه

---

(١) أحمد ابوزيد، البناء الاجتماعى مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثانى، الانساق، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٥٠٨.

أوضح أن العمران لا يتحقق بشكل طبيعى اذا لم يكن هناك ضوابط اجتماعية تنظم سلوك البشر وتصرفاتهم الاجتماعية ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، (١) هذا القول ينقلنا الى الوجه الايجابى لحتميه الضبط الاجتماعى ، فهو يحقق الناحية الوظيفية للنظام فى المجتمع .

ويقول « نادل » Nadle ، ان كل حياة اجتماعية ترتكز بالضرورة على شىء من التنظيم ، وأن كل تنظيم يتضمن بالضرورة نوعا من الضبط (٢) ، حيث أن الضبط هو الضمان الأكيد لقيـــام المنظمات والمؤسسات والهيئات الاجتماعية بوظائفها ، وتحقيق أهدافها التى وجدت من أجلهـــا ، وهو الدرع الواقى من الانحرافات الاجتماعية ، وهو الكفيل باعادة التوازن وتحقيق التناسق والتوافق الاجتماعى .

ولذلك اهتم علماء الاجتماع اهتماما كبيرا بموضوع الضبط الاجتماعى لأنه يؤدى الى الابقاء على البناء الاجتماعى وزيادة تماسك المجتمع ، ولن يتحقق ذلك الا عن طريق سلطة قوية مؤثرة على الأفراد والجماعات ، وعندئذ يسود السلام ، ويتحقق الأمن ، ويصبح المجتمع قادرا على ضبط السلوك المنحرف .

وقد اشار كثير من العلماء الى أشكال هذه السلطة المؤثرة ومنهم « ادوارد Ross » الذى ذكر فى كتابه « الضبط الإجتماعى » أربع عشرة لونا من ألوان الضبط هى : الرأى العام ، القانون ، الاعتقاد ، والايحاء الإجتماعى ، والتربية

---

(1) F. S. Nadle" Social Control And Self Regulation on Social Forces" Vol. 31, March, 1953, P. 265.

(٢) مقدمة ابن خلدون ، شرح وتعليق الدكتور على عبد الواحد ، الطبعة الأولى لجنة البيان العربى ، سنة ١٩٥٧ ، ٤٦٤ .

والعرف ، والمثل العليا ، والفن ، والشخصية ، والتثقيف ، والتوهم ، والقيم الإجتماعية ، والشعائر ، والدين .

ولكن بعض العلماء اختاروا من بين تلك الوسائل ستة فقط يرون أنها رئيسية وذات آثار اجتماعية فعالة هى : التربية ، الرأى العام ، العرف ، والقانون ، القيم الإجتماعية والدين .

ويرى الباحث أن وسيلة واحدة من هذه الوسائل قادرة وحدها على نشر السلام والأمن فى المجتمع ، بما يبقى على تماسكه وتحقيق أهداف النظام الاجتماعى ، ويبقى على بنائه قويا متماسكا ، وهو الدين .

ويدعم ذلك ما ذكره مؤسس علم الاجتماع « عبد الرحمن ابن خلدون » فى مقدمته الشهيرة بقولة : « قد بينا أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم . اذا اجتمعوا أدت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه ، لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان . . . فيقع التنازع المفضى الى المقاتلة وهى تؤدى الى الهرج وسفك الدماء ، وازهاق النفوس المفضى الى انقطاع النوع ، وهو ما خصه البارى سبحانه بالمحافظة ، فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم ، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم » (١) .

« وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى الشرع المنزل من عند الله يوجب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٥١٣ .

وانقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب .. وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحكم بعد معرفته بمصالحهم ، فالاولى يحصل نفعها فى الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالصالح فى العاقبة ، ولمراعاته نجاه العباد فى الآخرة ، والثانية انما يحصل نفعها فى الدنيا فقط » (١) .

وهنا يميز بن خلدون بين القانون الشرعى المنزل من عند الخالق وبين القانون الوضعى الذى هو من وضع الناس .

وبهذا يرسم ابن خلدون فى عبارته السالفة الخطة التى يجب أن ينتهجها كل مشرع ينبغى أن يكون تشريعه محل طاعة الجماعة (٢) .

ويستطرد بن خلدون قائلا : «وقد قدمنا أن العمران ضرورى للبشر ، ورعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد أن أهملت ... وانما تكون هذه المصالح أكمل اذا كانت بالأحكام الشرعية » (٣) .

وإذا كانت الاحكام والقوانين نابعة من الشريعة ، وملتزمة بما أنزل الله ، فسيكون ذلك كفيلا بعلاج الانحراف وصلاح المجتمع .

وقد طبقنا القوانين الوضعية سنوات كثيرة ، فانحدر حالنا من سيء الى أسوأ وعمت الفوضى ، وانتشر الفساد ، وزاد الانحراف ، وقد آن الاوان لكى نطبق

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

(٢) محمد مصطفى حسنين ، المدخل الى علم الاجتماع القانونى ، مكتبة القاهرة الحديث ، ص ٣٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ذكره ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

القوانين الشرعية ، ونرى كيف يتم الضبط الاجتماعى ، وكيف نقضى على الانحراف .

وإذا كان النظام الاجتماعى يحدد أهدافه وفقا لمعايير وقوانين المجتمع التى انبثقت من الشريعة الاسلامية فسنجد بينها تناسبا عكسيا مع درجات الانحراف فى المجتمع .

ويقول « سيرج دينيسوف R.Serge Denioff » أن بعض درجات الانحراف الإجتماعى تسير جنبا الى جنب مع أهداف النظام الاجتماعى بواسطة معايير المجتمع وقوانينه . وعلى ضوء ذلك فانه يتحتم على كل مجتمع يسير وفق قوانين معينة أن ينمى ميكانيزمات الضبط الإجتماعى التى تؤكد اتباع تلك القوانين والالتزام بها .

وهناك طريقتان أساسيتان للتحكم فى ضبط الانحراف فى المجتمع وهما (١) :

١ ـ وضع ضغوط خارجية على الافراد لكى يمتثلوا .

٢ ـ ايجاد ضوابط داخلية تجعل ما يقوم به الانسان من أعمال متمشيا مع المعايير السائدة فى المجتمع .

وحيث أن ميكانزمات الضبط الإجتماعى هى التى تتحكم فى ضبط الانحراف فى المجتمع، وهى التى تلزم أعضاء الجماعة باتباع قوانين المجتمع ومعايير الجماعة ، فاننا نتحدث عن ميكانزمى الضبط الاجتماعى الرسمى وغير الرسمى التى نوجزها فيما يلى :

١ ـ الضبط الاجتماعى الذاتى للانحراف (٢)، وهو الذى يحدث عندما يتقبل الفرد معايير الجماعة ويستدمجها فى داخلة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التى

(1) Serg Denisoff, " An Introduction to Sociology", Op. Cit., P. 516.

(2) Ibid , P. 517.

ثم عندما يستدمج الإنسان بداخله قوانين المجتمع ، وبعدها يستمر الفرد فى الالتزام بها حتى لو لم يكون هناك من يراقب ويرى ما يحدث .

وعندما يتم استدماج المعايير الاجتماعية بنجاح فسيتراجع أى فرد عن سرقة أموال غيره ، وليس ذلك خوفا من القبض عليه والايداع فى السجن ، ولكن لاعتقاده بأن السرقة شىء غير محبب وعمل خاطىء ، وهنا يتصرف الضمير كميكانزم داخلى للضبط الإجتماعى .

ويعتبر الضبط الذاتى من أكثر وسائل الضبط الإجتماعى تأثيرا فى السلوك المنحرف ، حيث يتم استدماج معظم الأدوار الإجتماعية Roles داخل الإنسان، وعندها يندر حدوث السلوك المنحرف .

وعندما يكون الضبط الذاتى للفرد ناجحا فإن الفرد يستمر فى امتثاله لتلك المعايير الإجتماعية حتى لو اختفت الضرورة التى أوجدت تلك المعايير (١) .

ولذلك فإننا نمارس العلاج الإسلامى مع الأحداث المنحرفين فإننا نحرص كل الحرص أن يستدمج الأحداث المنحرفون المعايير والقوانين المنبثقة من الشريعة الإسلامية حتى تصبح جزء من تكوينهم ، وبذلك ينجحون فى أداء أدوارهم الإجتماعية بما يتمشى مع توقعات المجتمع .

أما ميكانيزمات الضبط الإجتماعى الخارجى للسلوك المنحرف ، فإنها تتكون من مجموعة الجزاءات الإجتماعية الموجــودة فى المجتمع كمعايير Norms وجزاءات Sanctions أخذت طابعها الرسمى من خلال القوانين والقواعد التنظيمية التى تكافىء أو تعاقب من أجل الامتثال لها (٢).

---

(1) Ibid., Loc. Cit.

(2) Ibid., P. 618

ومن ناحية أخرى ، فإن ميكانزمات الضبط الإجتماعي غير الرسمية تستخدم الجزاءات غير الرسمية ، التي تعتبر أحد الوظائف الرئيسية في الجماعات الاولية ، لما تتميز به من علاقات وأحاسيس ومشاعر مؤثرة ، بما يتيح الفرص الممتازة لنجاح الضبط الإجتماعي .

والجماعات الاولية مثل الأسرة وجماعة الأصدقاء ، تسنح فيها فرص للاحظة ومراقبة السلوك المنحرف بما يساعد على التعرف على الظروف التي أدت إلى ارتكاب السلوك المنحرف ، وقد تستخدم في تلك الجماعات بعض الجزاءات السلبية التي تظهر في صورة عدم الموافقة أو الايماءات وقد تصل أحيانا إلى الطرد من الجماعة أو حتى العقاب البدني .

والجزاءات السلبية بالنسبة للجماعة الاولية وبالنسبة لمعظم الناس كافية جدا لمنع السلوك المنحرف(١) .

ولكن العلاج الإسلامي للسلوك المنحرف كما يقترحه الباحث يبتعد كل البعد عن الجزاءات السلبية لان آثارها وقتية وليست دائمة ، وقد رأينا كثيرا من هذه الاساليب تمارس في مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين ، وكان تأثيرها وقتيا لدرجة أن الحدث المنحرف الذي كانت تطبق عليه تلك الجزاءات السلبية كان يعود لممارسة السلوك المنحرف كلما سنحت له الفرصة .

أما العلاج الإسلامي فإنه يهدف إلى تربية ضمير الحدث تربية إسلامية يستدمج من خلالها معايير وقوانين إسلامية بحيث تصبح قوة داخلية مؤثرة ، قادرة على منعه من ممارسة السلوك المنحرف ، ليس خوفا من العقاب ، بل اقتناعا

---

1 — Ibid., Loc· Cit.

وإيمانا برفض هذا السلوك الذى يخالف المعايير والقوانين الإسلامية ، وبذلك لن يعود إلى الإنحراف مرة ثانية .

ويضيف « سيرج دينيسوف » قائلا : ويوجد أيضا ميكانيزمات « الضبط الإجتماعى الرسمى، فبالرغم من أن الجزاءات الغير رسمية لها تأثير فعال، وبالرغم مما فيها من قصور ، وحيث أن هناك بعض الغموض فى تعريفها ، فقد يظن أنها غير ملائمة لمنع الشخص المنحرف الذى لا يدرى ما هى العقوبة ، ولا يدرى ما نصيبه منها ، وربما تؤثر عليها العلاقات والمشاعر الشخصية المتصلة بالمكانات الإجتماعية ، وتماسك الجماعة ومشاعرها ، مما يؤدى إلى عدم تطبيق العقوبة » أو يقلل من قوة تطبيقها ، وقد تصل إلى الاعفاء من تطبيقها .

ولذلك أنشأ المجتمع عدة منظمات ووظائف متخصصة لعملية الضبط الإجتماعى ، مثل رجال البوليس ، القضاة ، وحرس السجون ، والوزراء والمشرعون ، والأخصائيون الإجتماعيون ، والأطباء ، وكلهم يمارسون الضبط الإجتماعى كجزء من عملهم .

وشبكة العلاقات القائمة بين تلك الوظائف الرسمية قد اتجهت فى وقتنا الحاضر إلى أن تحل محل الضبط الإجتماعى غير الرسمى ، الذى ساد فى المجتمعات البسيطة الغير معقدة ، ولذلك أصبح الضبط الإجتماعى منطقيا وهادفا أكثر من أى وقت مضى(١) .

وهناك عدد من علماء الإجتماع ركزوا اهتمامهم على الضبط الإجتماعى الرسمى ، وما يتبعه من وسائل وأدوات ، وأعتبروا بقية القوى الإجتماعية وسائل ضبط غير رسمية .

(1) Ibid. P. 619.

وقد أجرى « ريتشار كلوارد » بحثا حول العلاقة بين السجين والحارس واتضح أن اتفاقهما معا ينسى الحارس تطبيق بعض القواعد على النزلاء ، بشرط أن يقوم السجين بالتجسس على زملائه ، والتعاون مع الحارس، ولذلك نجدهم يعطون مثل هؤلاء السجناء بعض الصلاحيات ، ويسامحونهم فى بعض الأمور الخاطئـــة (١) .

ومثل هذا السلوك ربما يكون غير عادل وفى بعض الحالات يقود إلى مخالفة النظام من جهة المسئول عن توقيع الجزاءات ، تجاه ذلك السلوك ، وبالرغم من ذلك فهو يعتبر نوعا ناجحا من أساليب الضبط الاجتماعى ،

ولذلك سبق القول أن الدين هو الأسلوب الوحيد للضبط الإجتماعى الذى يضمن الالتزام بالمعايير وتطبيق القوانين لأنها مع وضع الله وليست من وضع البشر .

ويستطرد سيرج دينيسوف قائلا : وفى وقتنا الحاضر هناك مناقشات كثيرة واختلافات حول تأثير وسائل الضبط الإجتماعى الرسمية فى السيطرة على السلوك المنحرف ، وأصبح الأمر والقانون Law & Order هو الأسلوب الشائع عند بعض الناس الذين يدعون أن جرائم الانحراف لايمكن السيطرة عليها بأساليب الضبط الذاتى ، ولذلك ينادون بضرورة تطبيق وسائل الضبط الإجتماعى الرسمية ، ويدعمون رأيهم بأن نسب الجرائم التى ظهرت فى الإحصاءات الرسمية ،

---

(1) Richard A. Cloward, " Social Control in the Prison in Thioritical Studies in Social O ganization of the Prison " New York, Social Science Recearch Council, 1960, pp. 20—40.

قد تم السيطرة عليها بواسطة التأثير المتزايد لمؤسسات الضبط الإجتماعي الرسمي ، ويدللون على ذلك بأنهم الآن يقبضون على نسبة كبيرة من المنحرفين(١) .

وهذا الكلام مردود على أصحابه لان الأمر والقانون قد يخيف بعض المنحرفين، وقد يمنعهم من الانحراف بعض الأحيان خوفا أو رهبة ، ولكنهم يعودون إلى انحرافاتهم بمجرد أن تسمح لهم الفرصة للافلات من القانون ، وبالرغم من كثرة المؤسسات الرسميه التي تنفذ القانون ، ومع زيادة عدد المنحرفين المقبوض عليهم . إلا أن أعدادهم في زيادة مستمرة ، ولم تختف الجريمة ، ولم يقل الإنحراف ، بل نشاهد زيادة مستمرة في اعداد الأحداث المنحرفين عاما بعد آخر ، وهذا دليل على فشل وسائل الضبط الإجتماعي الرسمي .

ولذا ينادي الباحث بضرورة تعميم وسائل الضبط الإجتماعي الإسلامي الذي يعتمد على قدرات الأفراد الذاتية ويعمل على تنميتها وتدعيمها ، لان القدرات الذاتية والقوى الداخلية للأفراد هي القادرة وحدها على مقاومة الانحراف ، معتمدة في ذلك على المعايير والقيم المستدمجة داخل ضمير الإنسان .

« .. وقد توصل الخبراء إلى أن هناك زيادة حقيقية في بعض الجرائم مثل السرقات التي تتم بواسطة السلاح ، وسرقات السيارات ، وهناك تفسير واقعي لهذه الزيادة في عدد الجرائم ، وهو أن ظروف المجتمع تتغير إلى درجة أن المجتمع يتيح الفرص الكثير من المواقف التي تؤدي إلى الانحراف ، ومن أمثلتها ، توفر المخدرات وسهولة الحصول عليها ، بالإضافة إلى الحرمان من الرعاية والتربية وخاصة بالنسبة للفقراء الذين يتمنون حياة سعيدة ، بالإضافة إلى ذلك فان

---

(1) Serg Denisoff, Op Cit, p. 520.

ارتفاع نسبة الإنحراف اليوم يرجع إلى زيادة نسبة السكان وما يترتب عليها من الزيادة الكبيرة لعدد المنحرفين .

وهناك كثير من الجدل والمناقشة حول تأثير مؤسسات الضبط الإجتماعى بعد أن عرف الضبط بأنه هو ما يجعل المنحرف يترك الإنحراف ويرجع إلى التكيف مع المجتمع ، ولكن هناك الكثيرون الذين لا يقتنعون بأن وسائل الضبط الاجتماعى الرسمية ناجحة إلى درجة كبيرة .. إلا فى الحالات التى يكون الانحراف فيها خطيرا ويؤدى إلى الاضرار بالآخرين ، وعندها فقط يرتفع معدل تأثيرها بدرجة كبيرة(١) .

إعادة تكيف المنحرف ، إذا عرف الضبط الاجتماعى للانحراف بأنه الطريقة التى تؤدى إلى اعادة الفرد المنحرف إلى السلوك المتوافق ، فسوف نواجه الكثير من المشكلات التى تترتب على عزل الأفراد المنحرفين ، وهناك اعتقاد بأن الهدفين يشتركان فى منع السلوك المنحرف ، علما بأن عزل المنحرفين سيؤدى إلى تجميد انحرافهم بما يمنع إعادة تكيفهم .

وقد برهنت وسائل الضبط الإجتماعى على أنها غير كافية لمساعدة المنحرف ليعود إلى توافقه مع المجتمع ، وبمرور الوقت فان ميكانيزمات الضبط الرسمية سوف تتسبب فى الكثير من ألوان المقاومة التى سيظهرها المنحرفون لكل وسائل الضبط سواء كانت ذاتية أو خارجية ، وسيصبح المنحرف راضيا على إنحرافه عندما يقدم للمحاكمة أو يقبض عليه البوليس ، وغالبا ما تعمل تلك المؤسسات على وصم المنحرف ، وبذلك تتعقد الحالة ويؤدى ذلك إلى مزيد من السلوك

(1) Ibid., Loc. Cit.

المنحرف (١) .

وذلك رأينا فى السنوات الأخيرة عددا من المؤسسات الحكومية والخاصة قد أقرت بعض البرامج التجريبية التى تحاول علاج السلوك المنحرف ، بدلا من العزل عن المجتمع .

وهناك أيضا عدة محاولات لتحويل السجون الى مؤسسات اصلاحية بعد أن ثبت فشلها فى علاج الانحراف ، وقد نجحت كثير من تلك المؤسسات العلاجية (مثل مزارع السجن) ولكنها لا تتعامل مع حالات الانحراف الشديد .

وتتركز معظم البرامج الحالية فى هذا المجال الى التوصل الى اعادة تكيف هؤلاء الذين أطلق سراحهم من السجون ، وذلك بوضعهم فى المؤسسات – من ستة أشهر الى سنة – تقدم لهم المساعدة فى تلك الفترة للعودة بهم الى حياة أفضل ، ومساعدتهم فى الحصول على أعمال مناسبة لهم ولزويهم ، وتزويدهم بالارشادات التى تساعدهم على رد اعتبارهم فى المجتمع الذى سوف يرجعون اليه ، وخاصة أن المجتمع سينظر اليهم كمنحرفين موصومين . بالاضافة الى تلك الجهود التى تبذل مع أسرهم لارشادهم الى كيفية التعامل معهم بما يعيد الثقة الى نفوسهم (٢) .

وهذه البرامج وغيرها تعمم حاليا وتستخدم فى معاملة الاحداث المنحرفين ، وكذلك المدمنين على الخمور ، بهدف كسر دائرة الانحراف ، والبعض يأمل فى القضاء على الطرق القديمة لمعاملة المنحرفين بالسجون وأمثالها . على أن يحل محلها طرق الاصلاح الاجتماعى لهؤلاء الذين يحتاجون الى الارشاد والتوجيه وزيادة

---

(1) Ibid., P. 521.

(2) Ibid , P 522.

الوعى بما يساعدهم على تنظيم حياتهم و أعمالهم (١) .

وهذا القول يثبت أن المؤسسات التى تتعامل مع المنحرفين قد ثبت فشلها الذريع ، بدليل زيادة أعداد المنحرفين بصفة عامة والأحداث بصفة خاصة ، وهذا يعنى أن أساليب العلاج التقليدية لم تؤت ثمارها المنشودة ، بل ثبت فشلها هى الأخرى ، وبدأ المعالجون فى المؤسسات الانحرافيـــة يبحثون عن أساليب علاجية جديدة مثل التى ذكرها ، وأخذوا يهللون و يصفقون لبعض النجاح الذى أثبتته تلك الأساليب الجديدة .

ولو أنهم جربوا أساليب العلاج الاسلامى التى يقترحها الباحث لوجدوا فيها الدواء الشافى والعلاج المناسب لجميع أنواع الانحراف،سواء أكانت إنحرافات بسيطة أم انحرافات شديدة ، ومهما كان المنحرفون صغاراً أم كبارا .

والعلاج الاسلامى الذى يقترحه الباحث يوضح بصورة مفصلة أساليب العلاج الذاتى التى تدعم ميكانيزمات الضبط الذاتى ، وكذلك أساليب العلاج البيئى التى تساعد على نجاح ميكانزمات الضبط الخارجى .

الضبط الاجتماعى والانحراف .

أن احداث التغيير فى أى مجتمع يتطلب تغييرا فى الاساليب التى يحافظ بها على نظامه الإجتماعى . ودراسة الضبط ووسائله التى يتم بواسطتها قيادة الناس للقيام بأدوارهم Roles كما هى متوقعة منهم إنما تبدأ بدراسة النظام الاجتماعى الذى يتفاعل بداخله الناس .

والمقصود بالنظام الإجتماعى : هو نظام للناس يتكون من علاقات وعادات

---

(1) Ibid , Loc. Cit.

تعمل بتناسق بما يساعد المجتمع على العمل ، وأن لم يعرف الناس ما يتوقعه كل واحد من الآخر ، فلن ينجز شيء ، ولن يستطيع أى مجتمع وحتى أبسط المجتمعات أن ينجح فى أداء وظائفه ما لم يشعر الناس بالثقة معظم الوقت .

ان المحافظة على النظام فى أى مجتمع يتوقف على شبكة الادوار التى يتوقع بموجبها كل شخص من الآخر القيام بواجبات معينة تجاه الآخرين ، والمطالبة بحقوق معينة من الآخرين ، ولذلك فان النظام الاجتماعى يعتمد على قيام معظم الناس بواجباتهم تجاه الآخرين ، وهذا يساعدهم على الحصول على حقوقهم من الآخرين بنجاح . ولكن كيف يمكن الابقاء على أداء هذه الشبكة المتبادلة من الحقوق والوجبات .

ان علماء الإجتماع يستخدمون تعبير « الضبط الاجتماعى » عند وصف كل الوسائل والاجراءات التى بموجبها تضمن جماعة من الناس أو مجتمع من المجتمعات التكيف بين الأعضاء وفقا لتوقعاتهم (١) ، ولكن كيف يمكن لمجتمع أن يجعل سلوك أعضائه هو السلوك الذى يتوقعه منهم . . لقد أشار فروم سنة ١٩٤٤ Fromm الى أنه « لكى يؤدى المجتمع وظائفه بكفاءة فان على اعضائه أن يكتسبوا أنواع الصفات الشخصية التى تجعلهم يريدون أن يتصرفوا Want to act بالطريقة التى يجب ان يتصرفوا بها كأعضاء فى مجتمع وأن عليهم أن يعملوا برغبتهم ما هو واجب عليهم أن يعملوه » .

وان يتم ذلك الا عن طريق الضبط الاجتماعى - من خلال التنشئة الاجتماعية

---

(1) Paul B.Horton & Chester L.Tlunt, "Sociology", Forth Edit. Mc Graw Hill, Inc, United State of America, 1976, P. 118.

- الذى يجعلهم يؤدون أدوارهم كما هو متوقع منهم ، عن طريق تطوير اتجاهاتهم ورغباتهم بما يجعل الدور جذابا ومغريا ، وهذا أهم عمل يمكن عن طريقة اعداد الفرد لأداء أدواره بنجاح ، لأن معظم حالات فشل الدور ترجع الى ارغام الفرد على أداء دور لايريده ولايستمتع بأدائه وبذلك يفشل فى متطلبات هـــذا الدور .

والتنشئة الاجتماعية هى التى تشكل رغباتنا ، وعاداتنا ، وتقاليدنا . . ان العادة والعرف من أقوى مقاييس السلوك داخل الجماعة ، ولو أن أعضاء المجتمع قد اشتركوا فى خبرات تنشئة اجتماعية متشابهة لوجدناهم يتصرفون طواعيه ودون تفكير بنفس الطريقة أى أنهم سيعملون وفق التوقعات دون وعى منهم لكى يتكيفوا مع المجتمع ، ولن يخطر ببالهم عمل شىء مختلف (١) .

ولكى تتم التنشئة الاجتماعية بالطريقة السليمة لتحديد الأدوار وتعليمها بالصورة التى تعد الأفراد للتوافق مع المجتمع ، فلا بد أن يكون الدين هو وسيلة الضبط الاجتماعى القادرة على أحداث ذلك ، حيث أن الدين هو الذى يستطيع تشكيل الرغبات والعادات والتقاليد التى سوف تصبح المقاييس القوية لسلوك أفراد المجتمع، اذا كانت العادات والتقاليد الدينية هى مقاييس السلوك فلن يخالفها أحد ، ولن يكون هناك جريمة أو انحراف، وسينجح الأفراد فى أدائهم لادورهم الاجتماعية ، كما يتوقعها منهم المجتمع الاسلامى .

وكما يتم الضبط الاجتماعى من خلال التنشئة الإجتماعية فانه يتم أيضا من خلال ، الضغط الإجتماعى ، وكل المجتمعات الإنسانية وحتى غير الانسانية لديها الميل للامتثال لضغط الجماعة .

---

(1) Pawl, Ibid., P. 119.

ويرى « لابير Lapier ١٩٥٤ » أن الضبط الإجتماعى هو عملية تنمو نتيجة حاجة الفرد للمكانة الإجتماعية داخل الجماعة الاولية ، ويقرر أن هذه الجماعات يكون نفوذها أقوى عندما تكون صغيرة العدد ومترابطة ، وخاصة اذا طالت عضوية الفرد فى الجماعة وأصبحت اتصالاته دائمة مع أعضائها ، وتتفق كل الآراء على أن حاجة الفرد الى تقبل الجماعة التى ينمى اليها هو أقوى محرك لاستخدام معايير الجماعة كأساليب ضاغطة ، وعندما يستدمجها الافراد بداخلهم تصبح خبرات ضغط الجماعة عملية لاشعورية مستمرة وكل فرد من أفراد أى جماعة يحتاج الى تقبل الجماعات التى ينتمى اليها .

وقد قام علماء النفس « شريف Sherif ١٩٣٥ » و « بوفارد Bovard ١٩٥١ » ، بعدد من التجارب الممتازة التى أظهرت أن الفرد يميل الى التعبير عن مشاعره الشخصية بما يناسب مشاعر الجماعة التى ينتمى اليها .

والطريقة التى أتبعت فى هذه التجارب كانت أسئلة توجـه للأعضاء عن ملاحظاتهم الفردية واتجاهاتهم وتقييمهم لعدد من الموضوعات . ثم تعريفهم معايير الجماعة وفى النهاية يطالب من كل عضـو أن يعبر عن مشاعره ، فكانت النتيجة أن كثيرا من هؤلاء الاعضاء قاموا بتعديل التعبير عن مشاعرهم بما يتمشى مع معايير الجماعة .

ولقد أظهر « آش Asch ١٩٥١ » « وتودينهام Tuddenham ١٩٦١ » وغيرهم أن كثير من الناس قد يتعمدون تغيير أحكامهم على أشياء متأكدون من صحتها تجنبا لمعارضة الجماعة التى ينتمون اليها (١) .

وقد وضع كل فرد فى هذه التجربة داخل جماعة تعمدت ـ بموجب اتفاقية سرية ـ

(1) Ibid , P. 120

التأكيد على صحة بعض الحقائق التى يعرف الفرد أنها خاطئة، وكانت النتيجة أن ثلث هؤلاء الاعضاء قد وافقوا على الحقائق الخاطئة نزولا على رأى غالبية الجماعة .

كما كشف « سكاشتر Schachter ١٩٥١ » بالتجربة أن العضو الذى يخرج علنا على معايير الجماعة غالبا ما تلفظه الجماعة ، وقد لوحظ أن العضو الجديد فى الجماعة يحرص على الامتثال والاخلاص المطلق للجماعة أكثر من الأعضاء القدامى .

ومن تجربة أخرى قام « ديفتز ، كيلج Kelleg & Diftes » (١٩٠٦) ، اتضح أنه إذا وجد مجموعة من الأعضاء متساوين فى عضويتهم وقيمهم داخل الجماعة ، فان الأعضاء الذين يشعرون بتقبل أقل من غيرهم يكون أكثر صلابة وأكثر امتثالا لمعايير الجماعة ، حيث أن الامتثال لمعايير الجماعة أداة لاكتساب المكانة وتقبل الأعضاء والجماعة ، بينما عدم الامتثال يؤدى إلى رفض الجماعة ونبذها لهذا العضو .

ولذلك يمكن القول أنه ليس هناك قوة تعادل قوة تأثير الجماعة على أفرادها، ويظهر ذلك جيدا عندما يقول أحد المراهقين لوالده أن كل الصبيان يلبسون هذا النوع من الملابس ، وعندها يفشل الوالد فى اقناع ابنه بنوع آخر ، لانه يقع تحت تأثير قوة الضبط الكبيرة لضغط الجماعة (١) .

وحيث أن الجماعة لها كل هذا التأثير كقوة تضغط لضبط سلوك أعضائها فإننا يمكن استغلالها أحسن استغلال يمكن لتعديل سلوك الأحداث المنحرفين عن طريق العلاج الدينى ، وقد اقترح الباحث عدة أساليب علاجية عن طريق الجماعة تحت عنوان أساليب العلاج البيئى يمكن عن طريقها توجيه السلوك وتعديله ، مستثمرين فى ذلك تأثير ضغط الجماعة كقوة ضابطة ، وذلك عن طريق عدة برامج وأنشطة دينية ، خططت ورسمت بعناية يمكن عن طريقها تكوين وتدعيم قيم ومعايير دينية معينة للجماعة ، حيث تصبح بدورها بعد ذلك قوة وضبط

(1) Ibid , Loc. Cit.

لسلوك الأعضاء الذين يحرصون على اكتساب مكانات وتقبل الجماعة التي ينتمون إليها .

إن الجماعات الأولية هي أكبر قوة ضابطة لسلوك الإنسان ، لأنها جماعات غير رسمية ، صغيرة ومترابطة مثل الأسرة والشلة وجماعة اللعب ... ولذلك فإن الضبط داخلها يتم بصورة غير رسمية ، أي تلقائيا دون سابق تخطيط حيث يتصرف أعضاء الجماعة تجاه أي سلوك يقوم به الأعضاء ، فاذا ماقام عضو باثارة أو مضايقة الآخرين ، فانهم قد يعبرون عن عدم رضائهم بواسطة السخرية أو الضحك أو الانتقاد أو حتى النبذ ، وحين يكون سلوك عضو من الأعضاء مفيدا تكون المكافأة هي مشاعر الأمن والراحة والشعور بالانتماء للجماعة .. ومعظم الناس على استعداد لتقديم أي شيء وحتى حياتهم ، إذا دعت الضرورة للابقاء على شعورهم بالإنتماء للجماعة ، ولذلك كانت الحاجة الملحة إلى الإنتماء للجماعة أقوى أداة ضابطة عرفتها الإنسانية .

وعندما تستبدل الجماعة الأولية الأولية بجماعة ثانوية فاننا نستبدل كذلك الضبط الإجتماعي غير الرسمي بضوابط اجتماعية أكثر رسمية ، حيث تكون الجماعات الثانوية في العادة أكثر موضوعية ولها هدف متخصص ، ولذلك نحن لانستخدمها لاشباع احتياجاتنا الإنسانية وإنما نستخدمها لإنجاز أعمال معينه ، وحيث أن تلك الجماعات لاتشبع تلك الاحتياجات فإن الاحتفاظ بالمكانة داخل تلك الجماعات ، وإن كان شيئا مرغوبا ، إلا أنه لا يعتبر حاجة عاطفية ملحة ، كما هو الحال في الجماعات الاولية ... ولذلك فان قوة الضبط في الجماعات الثانوية أقل اجبارا عنها في الجماعات الأولية ، وبالرغم من ذلك فلا زال الجماعة الثانوية أداة ضبط فعالة فليس هناك شخص عادي يريد أن يكون محل سخرية في اجتماع

نقابة مثلا ... وفى مثل هذه الجماعات تعمل الضوابط غير الرسمية ، كالسخرية والاستهجان والضحك ولكن تأثيرها أقل، ومع ذلك هناك ضوابط شكلية تتميز بها الجماعات الثانوية، مثل قواعد النظام والقوانين الرسمية والعقوبات وغيرها .

مثل هذه الضوابط الرسمية للجماعات الثانوية تكون أكثر تأثيرا إذا دعمت بوجود جماعة أولية ، لأن تلك الجماعات من الممكن أن تدعم أو تقوض الضوابط الرسمية للجماعات الثانوية ، وتؤثر بدرجة عظيمة على أدائها(١) .

وكما أن الجماعات الاولية ، والجماعات الثانوية ، أدوات ضابطة ومؤثرة فى السيطرة على سلوك الأفراد ، فانها تستخدم كسلاح ذو حدين ، بالنسبة للأحداث المنحرفين ، فكثير منهم كان سبب إنحرافه يرجع إلى تلك الجماعات ، بما لها من تأثير قوى يدفعهم فى أحيان كثيرة إلى الانحراف .

أما إذا استخدم الاخصائى الإجتماعى هذه الجماعات لتنفيذ العلاج الإسلامى، فإنه يجعل منها قوة مؤثرة فى الوقاية من الإنحراف ، لأن التربية الإسلامية ليست للعلاج فقط بل هى أساليب علاجية ووقائية وإنمائية فى نفس الوقت .

وبالإضافة إلى التنشئة الإجتماعية والضغط الإجتماعى كأساليب ضابطة ، فيوجد أيضا القوة كأسلوب ضابط ، وبالرغم من وجود كثير من المجتمعات البدائية قد نجحت فى السيطرة على سلوك الافراد من خلال الضوابط غير الرسمية للجماعات الاولية ، ولهذا لم يكن هناك ضرورة لوجود قوانين وعقوبات رسمية، إلا أن هناك الكثير من المجتمعات التى زاد سكانها وتعقدت ثقافتها أصبحت فى حاجة ملحة لحكومة رسمية وقوانين وعقوبات متطورة، حيث أصبح من الممكن

---

1 — Ibid,, pp. 120—122.

أن يضيع أى فرد فى وسط الزحام السكانى . ولهذا فإن أساليب الضبط غير الرسمية أصبحت غير لائقة ، وأصبح من الضرورى وجود أساليب ضبط رسمية، علما بأن ضوابط الجماعات الغير رسمية تستطيع الحد من التراخى والكسل وإعادة الانضباط للجشعين ، ولذلك ظهرت الحاجة إلى تغيير بعض مفاهيم الجماعات الثانوية مثل قوانين الضبط ، والنظم ، مجالس الشورى ، وكل الاجراءات ذات الصبغة الرسمية ... كما يمكن تطوير بعض الثقافات الفرعية التى تتعارض مع ثقافة الاغلبية ، وذلك فى الجماعات الكبيرة ذات الثقافات المعقدة ، لأن الفرد الذى يرفض النظم المألوفة للمجتمع ، قد يلقى دعما عاطفيا من أناس آخرين يفكرون ويتصرفون مثله ، ومثال ذلك الهيبين ، واللوطيين ، وهم يشتركون فى ثقافات فرعية تجعلهم يتخيلون باعتزاز أنهم أحرار ، ويصبح أفرادها خاضعون لضغوط الجماعة المنشقة عن المجتمع والتى تعزلهم عن ضغوط الجماعات غير الرسمية المتمسكة بعادات وتقاليد المجتمع(1) .

ومن الأمثلة على الثقافات الفرعية للجناح والجريمة «ثقافة الطبقة الدنيا» فى المجتمع الأمريكى التى قام «والتر ميلر Walter Miller» بتحديد معالمها(2)، وأدرج فى مجالها عدة مفردات مبسطة ، واعتبر كلا منها يمكن أن يندرج تحته مستويات مختلفة لنماذج السلوك البديلة التى يمكن أن يتبعها أفراد مختلفون فى ظل مواقف مختلفة ، وتنطوى مضامين كل مفردة من مفردات هذه الثقافة كما يلى :

---

1 — Ibid., p. 123

2 — Walter B. Miller, «Lower Class Cultures as a Generating Milieu of Gang Delinquency,» N. 3, 1958, pp. 7—13.

نقلا عن : سامية جابر ، الإنحراف الاجتماعى بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعى ، مرجع سابق ذكره ، ص١٢٥ .

١ ــ الازعاج وآثارة الاضطرابات والشغب . وهى التى تمثل فى إحدى جوانبها مواقف تؤدى إلى الاحتكاك بالسلطات والهيئات الرسمية لمجتمع الطبقة المتوسطة .

٢ ــ الخشونة والمشاكسة ، وتشمل أهم مكونات هذه المفردة على الجسمية ، وانعدام العاطفة أو الشعور ، وعدم المبالاة بالفن والأدب والجمال والشجاعة فى مواجهة الخطر الفيزيقى .

٣ ــ البراعة ويقصد بها القدرة على التفوق بالحيلة والدهاء ، والمكر والخديعة لشخص آخر أو مجموعة أشخاص ، وكذلك القدرة على التوصل إلى شىء أو كيان له قيمته ، كالسلع المادية ، والمكانة الشخصية ، وذلك باستخدام القدرات العقلية .

٤ ــ الاثارة ، فمن المعروف أن أفراد هذه الطبقة يقومون بعدد أنشطة يغلب عليها طابع الاثارة ، كادمان الكحوليات ، وممارسة الموسيقى الصاخبة ، والمخالفات الجنسية .

٥ ــ الإيمان بالقدر ، فالفرد فى الطبقة الدنيا ، إما أن يكون محظوظا أو غير محظوظ وكثيرا من أفراد هذه الطبقة يشعرون بأن حياتهم تعتبر عرضة لمجموعة قوى تفوق سيطرتهم أو أنهم لا يملكون سوى سيطرة ضئيلة جدا نحوها ، وهذا الاعتقاد لا يتماثل مع الايمان بالقوى الخارجية التى ينطوى عليها الدين المنظم رسميا ، وإنما يرتبط أكثر بمفهوم « المصير » الذى يقوم عنصر الخيال بدور هام فى تصرفاته .

٦ ــ الاستقلال ، يتميز الأفراد فى هذه الطبقة برغبة قوية فى الاستقلال الشخصى ، وإن كانوا يميلون إلى البقاء فى بيئات اجتماعية تتميز بقيودها الشديدة ،

وتمارس نحوهم أعنف صور الضوابط الخارجية(١) .

وهذه هى مجموعة المفردات الأساسية التى تميز «ثقافة الطبقة الدنيا فى المجتمع الأمريكى» كما صور «ميلر» واعتبرها الوسط الذى يخلق جناح العصابات وجرائمها . فارتكاب الجرائم بواسطة أعضاء جماعات النواصى من مراهقى الطبقة الدنيا يتم – بصفة مباشرة – عند محاولة تحقيق الأهداف أو المثل التى تتعارض مع قيم هذا الوسط الثقافى للفاعل .

إن «تراث الثقافة الفرعية للجريمة والجناح» هو تراث سوسيولوجى ينصب الاهتمام فيه على مجموعة العمليات التى ينخرط الأشخاص بواسطتها فى هيئات تعليمية إجرامية ، ويستعدون لأداء الأدوار الاجرامية(٢) .

ولهذا وفى مثل هذه الظروف يستعمل المجتمع القوة من أجل التمسك بالعادات والتقاليد ، سواء بشكل قوانين أو عقوبات رسمية ، ولو أن هذه القوة متبعة فى كل المجتمعات المعقدة (٣) .

ومها إستخدم المجتمع من أساليب القوة لضبط السلوك المنحرف ، فانها لن تقضى عليه لأنها قوة مستمدة من القوانين الوضعية التى هى من صنع الإنسان الذى قد يصيب مرة ويخطىء مرات ، هذا بالاضافة إلى أن تلك الأساليب إن صلحت لمجتمع فلن تصلح للاخر ، وحتى لو نجحت أساليب القوة فى ضبط السلوك المنحرف ، فسيكون نجاحها وقتيا وموقفيا وليس نجاحا دائما ، بدليل أن معظم المجتمعات قد أستخدمت تلك الأساليب وما زال السلوك المنحرف منتشرا حتى الآن ، بل

(1) Ibid., pp 17 —18.

(٢) سامية جابر ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(3) Paul Op. Cit. p. 123

وبصورة متزايدة ، ترتب عليها زيادة عدد المنحرفين ، وزيادة عدد السجون ، وزيادة عدد المؤسسات الاصلاحية المختلفة فى جميع المجتمعات .

أما اذا كانت القوة المستخدمة فى ضبط السلوك المنحرف هى قوة التشريعات السماوية التى هى من وضع الخالق سبحانه وتعالى ، فانها تكون من أنسب الوسائل اللازمة لضبط السلوك ، وستكون صالحة لكل زمان ومكان ، وكلما ابتعدت المجتمعات عن تلك التشريعات السماوية كلما خضعت للتشريعات الوضعية وكلما زاد الانحراف وانتشر .

والدين الاسلامى قد وضع لنا الاساليب المناسبة لعلاج الانحرافات بكافة أنواعها والقضاء عليها ، وخير دليل على ذلك اختفاء الانحراف والاجرام من المجتمع الاسلامى الأول ، حيث كانت الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس .

واذا نظرنا الى نظرية الانحراف ورد الفعل المجتمعى فسوف نرى المنظور الذى يحاول أن يفسر الاستجابات المجتمعية تجاه الانحراف الأولى ، وتأثيرها فى تشكيل الانحراف الثانوى (الاحترافى) . والاستجابات المجتمعية هى ردود الفعل الرسمية ، التى تتميز بالعقاب أو الاصلاح أو التجريم أو التجريح . وجدير بالذكر أن الانحراف الأولى عبارة عن سلوك يظهر أو يتم نتيجة لسبب أو لآخر من الأسباب الآتية :

١ ـ قد ينتمى الشخص الى جماعة أقلية أو ثقافة فرعية تؤدى قيمها وطرقها فى السلوك الى انتهاك قواعد الجماعة المسيطرة .

٢ ـ أو قد تكون لدى الشخص مسئوليات متصارعة ، يترتب عليها أن يؤدى الاداء الجيد لأحدها ، إلى إنتهاك لحدود أدوار أخرى .

٣ ـ أو قد ينتهك الشخص القاعدة لأهداف شخصية عنده .

٤ ـ أو قد لا يكون الفاعل على علم تام بالقواعد فينتهكها بدون نية مسبقة .

أن هذا المنظور لا يهتم بالخصائص الاجتماعية والشخصية للفاعل الا بقدر تأثيرها على استجابة الآخرين لفعل الانحراف الأولى ، ولذلك لا يهتم أصحابه اذا كانت خاصية مجتمعية معينة ، ترتبط باحتمال ارتكاب الفرد لفعل انحرافى ، بل يركز على ما اذا كانت هذه الخاصية تيسر قدرة الفرد على تحاشى تطبيق الصفة الانحرافية عليه أو تعويقها . ولعل أهم خطوة فى تطور نموذج ثابت للسلوك الانحرافى تتمثل حسب ما يرى هذا المنظور فى تجربة القبض على المتهم ، وتسميته منحرفا على نطاق واسع ، كما يعتبر قرار المجتمع بتوقيع الجزاءات ضده شعيرة صارمة من شعائر الانتقال تحركه خارج نطاق وضعه السوى فى المجتمع ، وتوجهه الى دور انحرافى متميز لأنها غير قابلة للالغاء والنسخ ، وطالما وصف الأشخاص بأنهم منحرفون ، يزج بهم الى جماعة منحرفة أو غالبا ما يتم ذلك عن طريق وضعهم فى مؤسسة عقابية أو صلاحية تشترك فى رد فعل واحد ومصير مشترك ، وتواجه ذات المشكلات ، كما تتميز عضويتها بأنها تنطوى على هوية انحرافية ، وتؤدى الى تبرير لأوضاعها ، وفى هذه الحالة لا يكتسب الشخص مكانة سفلى فقط وانما يقوم بتطوير وجهة نظره الى العالم الانحرافى بما يشمله من معرفة ومهارات ، ويعمل على تكوين تصور ذاتى ، يقوم على الصورة الذهنية التى أدركها من خلال أفعال الآخرين .

وبناء على ذلك يتميز هذا المنظور بعدة خصائص رئيسية هى :

١ ـ أنه نظرا لردود الفعل المجتمعية باعتبارها تمثل قضية ، مشكلة ، أو

مسألة جديرة بالبحث والدراسة ، بينما كانت النظريات الأخرى تنظر اليها على أنها معطى لايحتاج الى تفسير أو بحث .

٢ ـ أنه نظر الى الانحراف باعتبارة خاصية تخلع على بعض أشكال السلوك أو العمليات بواسطة الجمهور الذى يشاهدها بطريق مباشر أو غير مباشر .

٣ ـ ميز بين الأفعال بواسطة الرجوع الى خاصية « رد الفعل » نحوها .

ولذلك فان وجود أية خاصية مشتركة بين الافعال أو القائمين بالفعل (غير رد الفعل) لا يكون جديرا بتحديد الانحراف وتفسيره .

٤ ـ أنه ينطوى على محو للفكرة التى تشير الى أن بعض الأفعال يعتبر انحرافيا فى كل المجتمعات ، أن الأفعال الانحرافية أفعالا « ضارة » أو « شاذة » فى حد ذاتها ، وهناك نلاحظ تأكيداً مبالغا فيه على مسألة النسبية (١) . ان الطابع المميز لمنظور « رد الفعل الجتمعى » لايتمثل فى أنه يقدم نظرية فى السلوك الانحرافى ، فى مقابل النظرية القائمة على المعايير ، أو يقدم نظرية فى أنساق السلوك الانحرافى وانما يأتى كميزة أو تفرده من ابتعاده عن هذه المسائل الإجتماعية السيكولوجية ، وميله الى اعتبار آخر وهو أن المنحرفين يتجهون الى أن يكونوا منبوذين أو متميزين بخصائص يخلعهـــا عليهم الآخرون ، وهذه الخصائص هى تسميات Lable أو أوصاف ، تعمل على أثارة أنساق الضبط الإجتماعى وتحركها علاوة على أن الأنشطة الضابطة التى تمارسها هذه الانساق تتميز بطابع الشرعية القانونية

---

(1) F. Tannenbaum, Crime and the Community, Boston, Gimn, 1938, PP. 43 46.

نقلا عن سامية جابر ، مرجع سابق ذكره ، ص ص ١٤٩ - ١٥٢ .

باعتبارها استجابات نظامية للانحراف . أن هذا المنظور يصب اهتمامه فى ثلاث ردود أفعال أساسية هى : الضبط الاجتماعى ، التجريم ، التجريح (١) .

أما نظرية الانحراف الثانوى والضبط الاجتماعى ، فقد بدأها « ادوين ليمرت E. M. Lemert » ، بمدخل عام أثار فيه فكرة أساسية وهى أنه ليس كل ما قيل فى الإنحراف ، يعتبر ملائما ، لأن دخول هذا الموضوع الى مجال العلم واعتبارة نظاما علميا ، ربما يكون مسألة سابقة لأوانها .

وقد اعترف بضعف مستوى النظرية السيسيولوجيه المتاحة ، بقصور المعرفة الأمبيريقية حول المعايير الإجتماعية وهى المعرفة التى بنيت على أساس مفاهيم قديمة ، كمفهوم القانون الطبيعى عند « سمنر » وغيره ، ومفهوم العادات الشعبية والاعراف ، كما أنه وجـــه النقد الى النظريات السابقة عليه لأنها لم تتمكن من تحديد منهج ملائم لدمج فكرة الانحراف فى نظرية أكثر عمومية عن التغير الإجتماعى (٢) .

هذا ويصنف « ليمرت » مفاهيم الانحراف الممكنة الى مفهومين أساسيين : المفهوم البنائى ، ومفهوم الضبط الإجتماعى ، أو العملية ، أن نظرية « ليمرت » تقوم على نوع من الفحص الجدلى النقدى والتحليلى البنائى بهدف التوصل الى مفهوم أكثر وضوحاً من وجهة نظره عن الانحراف تتبنى مدخـــل الضبط الإجتماعى (٣) حيث نظر الى الانحراف باعتباره نتيجـــة « لصور الضبط

---

(١) سامية جابر ، نفس المرجع ، ص ١٥٣ .

(2) Edwin M Lemert, « Human Deviace Sccial Problems and Sccial Control », ed , Prentice Hall, 1972 P. 27

(٣) سامية جابر ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٥٤ .

الإجتماعى والمداه ، وتعتمد هذه النظرية على ادعاء يشير الى أنه ينبغى أن يعامل الضبط الاجتماعى كمتغير مستقل أكثر منه متغير معتمد أو رد فعل مجتمعى تبادلى تجــــاه الإنحراف . واذن يصبح الضبط سببا فى صور الإنحراف الخطيرة والمتفاوتة ، أكثر منه نتيجة أو أثر اليها ... وفوق ذلك فقد ميزت هذه النظرية بين نوعين من الضبط الإجتماعى ، وهما : السلبى Passive والإيجابى Active حيث يشير الضبط الإجتماعى السلبى الى مظهر الامتثال للمعايير التقليدية ، بينما يمثل الضبط الإيجابى تلك العملية التى تتم من أجل تحقيق الأهداف والقيم . واذا كان النوع الاول للضبط يتصل بتدعيم النظام الإجتماعى فان النوع الثانى يتعلق بتحقيق تكامل اجتماعى ، ولذلك يمثل الضبط الإجتماعى ايجابى عملية مستمرة تمارس بواسطتها القيم بصفة شعورية واعية ، وتصنع القرارات بشأن نوعية تلك القيم التى ينبغى أن تكون مسيطرة ، كما يمارس الفعل الجمعى للوصول اليها أو لتحقيقها ، وأما ظهور هذا النوع الأخير للضبط الإجتماعى بصورة واضحة ، وبروزه فى المجتمع الحديث ، فينبغى أن يفسر فى ضوء التغيرات الكبرى التى حدثت فى طبيعة عمليات التجديد .

وثمة مؤشرات قوية فى المجتمع الامريكى تشير الى أن « التجديد » أصبح مسألة منظمة ونظامية فى نفس الوقت ، وذلك على عكس ما تشير اليه وجهة نظر « ميرتون » فى التجديد كاستجابة إنحرافية من جانب الأفراد ذوى الفرص البنائية المحدودة .

ولقد أمد التجديد المنظم الإجتماعى بتكنولوجيا دينامية تعمل على خلق قيم جديدة ، أو تعديل نسق القيم ووسائل الاشباع عن طريق تغيير التكاليف ، وربما كان هذا السبب فى ظهور الجماعة الخلاقة وما تكتسبه من أهمية فى المجتمع

التكنولوجى المعاصر (١) .

أما من وجهة نظر الباحث فانه للأسف، أن التجديد المنظم الذى أمد المجتمع بتكنولوجيا دينامية لم تظهر آثارها الا فى الجوانب المادية فقط والدليل على ذلك أن أعداد المنحرفين فى زيادة مستمرة واعداد المؤسسات الاصلاحية والعلاجية فى زيادة مستمرة أيضا . وأما القول فان التجديد والتكنولوجيا الدينامية تعمل على خلق قيم جديدة أو تعدل نسق القيم فهو قول مردود على أصحابه ودليل قاطع على انهيار قيم تلك المجتمعات المعاصرة التى لم يعد يهمها فى شىء تلك القيم الأصلية التى تدعم الأخلاق ، وتطهر الأفراد ، وتعدل السلوك ، أنها القيم الدينية المستمدة من التشريعات السماوية التى هى من صنع الخالق ، وهى صالحة لكل زمان ومكان ، وليست فى حاجة الى تجديد أو تعديل وانما الحاجة ماسة فقط الى مبادىء الدين الاسلامى وقيمه العظيمة ففيها الوقاية وفيها العلاج .

(١) سامية جابر ، نفس المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

الباب الثانى

العلاج الاسلامى للانحراف

الفصل السادس

الدين نظام اجتماعى ضابط للحياة

الدين كنظام اجتماعي :

النظم الاجتماعية :

يعرف « اجبرن Ogburn » النظم الإجتماعيـة Social Institutions بأنها « الطرق التي ينشئها المجتمع و ينظمها لتحقيق حاجات إنسانية ضرورية »(١).

و يعرفها « جينزبرج Ginsberg » بأنها « القواعد الموضوعية والمعترف بها والتي تحكم الصلات بين أفراد الجماعة » (٢)

و يقول محمد عارف في كتابه الجريمة في المجتمع ، أنه من الملاحظ أن الباحثين يختلفون في تعريفهم للنظام الإجتماعي للنظام الاجتماعي ، وتأخذ اختلافاتهم مسالك عديدة يمكن أن نحدد منها أربعة (٣) :

١ — فمن الباحثين من يرى أن النظام الاجتماعي بناء ثقافي ، يعني مجموعة من المعايير الاجتماعية التي ترتبط بقيمة إجتماعية كبرى ، وبحاجة أو أكثر من الحاجات الانسانية . وهذه المعايير تنظم السلوك الاجتماعي وتحدد مسالكه ويعززها ويساندها في الوقت ذاته أعضاء المجتمع .

٢ — ومن الباحثين من يدرك النظام الاجتماعي على أنه يتألف من أنماط

---

(1) W. Ogburn & M. Nimkoff, « A Handb.ok of Sociol gy, » Lopdon : Routledge & Kegan Paul Ltd., 1949, P. 256.

(2) Morris Ginsberg, «Sociology,» London, Oxford, 1949, P. 42.

(3) H. Smith, « Toward A Clarfication of the Concept of Social Institution, » Sociology & Social Research January 1964, 197.

التفاعل الاجتماعى ، والعلاقات الاجتماعية الى تتميز بها الجماعات والنسق الاجتماعية .

٣ — ومن الباحثين من يعرف النظم الإجتماعية تعريفا يجمع بين الإتجاهين السابقين ، فالنظام الإجتماعى بناء ثقافى ونسق من العلاقات المتفاعلة معا .

٤ — ومن الباحثين من يضيف — عند تعريفه للنظام — عنصرا ثالثا إلى العنصرين السابقين . فالنظام الإجتماعى يضم البناء الثقافى ونسق من العلاقات التفاعلية ، جنبا إلى جنب مع الرموز والأشياء المادية التى تمكن النظام الإجتماعى من أداء وظيفته ، فالقرآن للمسلمين ، والمنزل للأسرة ، والنقود فى النظام الإقتصادى ، عناصر لها أهميتها فى نظم الدين والأسرة فى الإقتصاد .

ومن الممكن أن نحدد — بناء على هذه التعريفات — العناصر الأساسية للنظام الإجتماعى وهى : المعايير الثقافية ، البناء أو الترابط بين الأجزاء ، الاستمرار أو الاستقرار ، الوظائف المنوطة بالنظام ، الجزاءات المترتبة على مخالفة قواعد النظام . العناصر المعرفية ، كالأفكار والمعانى والمعتقدات والاتجاهات ، التفاعل الإجتماعى المنظم والعناصر المادية(١) .

النظام الدينى :

الدين ظاهرة عملية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، وليس هناك ما يبرر القول بأن ظهور الديانات جاء متأخرا عن نشأة المجتمعات(٢) .

(1) Smith, Ibid., pp. 202—204.

(٢) عبد الباسط محمد حسن : علم الإجتماع ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعه الثانية ١٩٨٢ ص٤١٦ .

فإذا كان لكل ثقافة جانبها اللامادى أو المعنوى فان الدين يشغل الجزء الأكبر من مقومات هذا الجانب فى غالبية المجتمعات الإنسانية. ذلك أن لكل مجتمع مهما صغر أو كبر، ومهما بسط أو تعقد تركيبه، معتقد دينى معين، وشعائر وطقوس دينية معينة.

والنظم الدينية موجودة فى كل المجتمعات الإنسانية لأنها تسد حاجات إجتماعية هامة، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد كما يساعد على تكامل شخصية الفرد وتقوية روحه المعنوية، فيدفع عنه الخوف، ويحيى فيه الامل بما يبثه فيه من قوى خارقة تتمثل فى قوة إلا له الذى يقدر على مساعدته. وللنظم الدينية دور هام فى تكامل المجتمع عن طريق شعائره التى تؤدى وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة، والتى تذكر الفرد وهو غارق فى حياته المادية بولائه لجماعته ولقيمها العليا(١).

ومن الواضح أن الدين لا يقف عند حدود العبادات وإقامة الشعائر الدينية المطلوبة، بل إن الدور الذى يلعبه فى تنشئة الأفراد يكاد يعكس آثاره على بقية المؤسسات الأخرى العاملة فى مجال الضبط الإجتماعى ولذلك يعد الدين عنصرا أساسيا من عناصر التنشئة الإجتماعيه.

وقد ظهر إتجاه جديد بين الباحثين المسلمين يدعــو إلى دراسة العلاقات والظواهر والنظم والانساق الاجتماعية من منظور إسلامى لتكون هذه الدراسات نواة لفرع أكثر تخصصا يعرف باسم «الاجتماع الاسلامى» ويصبح الاختلاف

---

(١) عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ٧٢.

الأساسى بينه وبين «علم الاجتماع الدينى» أن هذا الأخير يعالج الظاهرة الدينية فى كافة المجتمعات وبدون التقيد بدين معين بخلاف «الاجتماع الإسلامى» الذى يختص بدراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية البحتة(١).

الوظائف الاجتماعية للدين (٢) :

يرى كثير من المفكرين أن الدين يحقق كثيرا من الوظائف بالنسبة للأفراد والجماعات والمجتمعات.

فالدين يساعد على تكامل شخصيات الأفراد ويزودهم بإطار من القيم والمعايير التى تعتبر موجهات للسلوك، كما أنه يعوض الناس عن الفشل الذى يتعرضون له فى تحقيق آمالهم وأهدافهم فى الحياة... كما أشار «إريك فروم» فى كتابيه عن «المجتمع السليم» و«الخوف من الحرية» إلى أن نسبة الاضطرابات النفسية والعصبية تزداد فى المجتمعات الحضرية الحديثة حيث تضعف المشاعر الدينية، وحيث يزداد الاحساس بالفردية والغربة والضياع، وحيث يزداد القلق والتوتر.

ويؤكد الشيخ محمود شلتوت، هذا المعنى فيما كتبه عن حاجة الإنسان إلى الدين فيقول :

«إن الناس بمقتضى سنة الله فى خلقه عرضه لكثير من المحن الكونية : من موت بعد الحياة، ومرض بعد الصحة، وفقر بعد الغنى، وذلك بعد العزة، لأنفسهم وعشيرتهم ومواطنيهم. والإنسان أمام هذه المحن إذا ترك وما طبع

(١) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ص ٤٢٣.
(٢) نفس المرجع : ص ٤٣٨ — ٤٤٠.

عليه من تنازع الرغبات فى نفسه ، ولم يشد ازره بارشاد الهى يؤمن به ، ويثق بعدله ويطمئن إليه، ناء كاهله بعبء الحياة، وخارت قوته ، وذاب احتماله ، وفقد استعداده . لهذا كله شد الله أزر عباده المؤمنين وأرشدهم أن يستعينوا على محنهم الكونية بالصبر والصلاة فيها تحقق الرغائب ، وتدفع النوائب » (١) .

ويقول أيضا : « والإنسان فى عصرنا هذا أشد ما يكون حاجة إلى الدين ، فإن التقدم العلمى الذى غزا الفضاء ، ولم يستطع أن يحقق للناس السعادة والطمانينة التى ينشدونها ، بل زادهم تكالبا على المادة ، وتنافسا جشعا إلى حروب كونية مدمرة ، ويبرز باخرى لا يعلم بنتيجتها إلا الله » (٢) .

والدين من ناحية أخرى يحدد القواعد الاخلاقية التى تسير عليها الجماعة ، ويزودها بمرجع واضح ثابت من القيم التى يجب أن يتمسك بها الأفراد . فالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى نبذ الأمور الشخصية ، والتحلل من المعانى الذاتية فى سبيل الصالح العام . والدعوة إلى تطهير النفوس والجماعات من الاخلاق الفاسدة والتقاليد الضارة ، والدعوة إلى التعاون والتراحم والتعاطف ، والدعوة إلى الحق فى جميع صورها ، كلها معان تؤكدها الديانات ، وتدعم بها وحدة الجماعات والمجتمعات ،

ومما يؤكد أهمية القيم الدينية فى الحياة الإجتماعية الدراسة التى قام بها «ماكس فيبر» والتى ضمنها كتاب عن «الاخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية» فقد حاول فيبر أن يربط بين علاقات الإنتاج فى المجتمع وبين التصور الدينى

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، مطبعة الأزهر ، ١٩٥٥ ، ص١٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص٢٣ ، ٢٤ .

للعالم . وحاول أن يتلمس ما يسميه روح الرأسمالية فى مجموعة القيم التى يتحلى بها البيوريتان الأوائل ، وقد أورد عدة أسانيد حاول أن يدلل بها على أن العقيدة البروتستنتية كان لها أثرها الكبير فى تشكيل شخصيات أصحاب المشروعات من أفراد الطبقة الوسطى . فالخلق البروتستنتى الذى كان يتحلى به البيوريتان الأوائل كان يدعم مجموعة من القيم التى كان لها أثرها فى قيام النظام الرأسمالى الصناعى . وهذه القيم هى : العمل الشاق ، ضبط النفس . والابتكار والتملك ، والفردية والمنافسة (١) ،

وعلى الرغم مما وجه إلى نظرية ماكس فيبر من نقد ، فإن الذى لاشك فيه هو أن للقيم الدينية دورا كبيرا فى الحياة الإجتماعية ، فهى تعتبر بمثابة موجهات لسلوك الأفراد ، كما أن لها تأثيرها الواضح فى العلاقات والنظم التى يتألف منها البناء الاجتماعى .

والدين بتعاليمه وأوامره ونواهيه يعتبر من أقوى عوامل تحقيق التوائم فى السلوك الاجتماعى ، كما أن فكرة العقاب والعذاب التى تؤلف ركنا هاما فى الدين، تلعب دورا هاما فى عمليات الضبط الإجتماعى ، وفى إقرار النظام فى المجتمع .

وإذا كان تأثير النسق الدينى أقل وضوحا فى مجال الضبط الإجتماعى من تأثير النسق السياسى الذى يستند إلى أجهزة وهيئات متخصصة إلا أنه يعتبر متكاملا معه ، بل ويؤدى نفس الوظيفة فى الحالات التى يخفق فيها النسق السياسى بأجهزته الرسمية وغير الرسمية فى اقرار النظام(٢) .

---

(1) Max Weber, The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism, 1930.

(٢) أحمد أبو زيد . البناء الإجتماعى ، الجزء الثانى ص٥٢٨ ، ٥٢٩ .

ولا يهمنا فى نهاية هذه الفقرة إلا إنه نشير إلى ماكتبه « برتراند راسل » فى كتابه « نحو عالم أفضل » حيث يقول : « إن الناس يصدرون فى اعمالهم عن أصول ثلاثة هى : الغريزة والعقل والروح . وحياة الروح من بين هذه الأصول الثلاثة هى التى ترتبط بالدين .

ويقول : إن الذين ولجوا يوما فى عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام أن يعودا إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الدين (١) .

ويكاد يجمع علماء النفس ، والإجتماع ، والاجناس البشرية على أهمية الدين فى حياة الأفراد ، وفى حياة الجماعات ، وفى حياة الأمم والشعوب ، فالدين ظاهرة إجتماعية قديمة سحيقة فى القدم . وجدت منذ قيام حياة الجماعات ، ومنذ بداية هذه الجماعات بالتطور الاجتماعى ، حتى صار الدين نظاما متكاملا له مؤسساته العاملة على تحقيق وظائفه وغاياته السامية .

الدين والضبط الإجتماعى :

لو نظرنا إلى ماقاله « ابن خلدون » فى الصفحات السابقة عندما قال « إن العمران ضرورى للبشر ولرعاية مصالحة كذلك ، لئلا يفسد أن أهملت . . وتكون هذه المصالح أكمل إذا كان بالأحكام الشرعية (٢) لوجدناه يركز باهتمام شديد على الدين الإسلامى كضبط للحياة الاجتماعية .

وعندما ركز بعض علماء الإجتماع على القانون كضابط للحياة لم يبتعدوا كثيرا عن الدين لانه ، ليس يخاف أن الدين يشمل القانون أيضا ، لأن الدين

---

(١) برتراند راسل : نحو عالم أفضل ، العدد ٢٣ ، سلسلة الألف كتاب ص ١٧٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ذكره ، ص ٥٦٥ .

الإسلامى لا يقتصر على العبادات ، بل يهتم أيضا تنظيم المعاملات على أسس شرعية ، أى قانون يحكم القضاء بمقتضاه فى الدولة الإسلامية (١) .

بالاضافة إلى أن الدين يعتبر أهم وسيلة يضبط بها الاسلام سلوك الناس فى المجتمع لأنه ، يدفع بعضهم عن البعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، كما قال ، ابن خلدون ، وهذا مقصد الدين الاسلامى من تنظيم العقوبة ، سواء كانت عقوبة الحدود أو التعزير .

وحيث يكون الاسلام هو أساس القيم ومصدر التشريع ، وتكون تعاليمه هى بذاتها قواعد التربية ، ويكون من ثم ما يعرف بالرأى العام ، وما يستقيم فيه من عرف موجه صادر أيضا عن ذلك النهج الاسلامى ، الذى ما ترك فى حياتنا كبيرة ولاصغيرة إلا أحصاها وفصلها تبيانا ورشدا ، فى مثل هذا المجتمع لاتكون بنا حاجة إلى تعدد مصادر الضبط الاجتماعى ، وذلك أن المصدر واحد حق هو شرعه الإسلام (٢) .

ونحن نعرف أن أى مجتمع لن يتوصل إلى تحقيق الأمن والسلام إلا إذا نجح فى منع الجريمة وضبط السلوك والمنحرف ، وبما أن الجريمة ظاهرة إجتماعية حتمية لأن الناس إذا اجتمعوا وتوافر العمران ، دعت الضرورة - كما يقول ابن خلدون إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومد كل واحد منه يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه ، لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض و بمانعه الآخر ، فيقع التنازع المفضى إلى المقاتلة .

---

(١) حسن الساعاتى ، علم الاجتماع القانونى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ ، ٢٥ - ٢٦ .

(٢) مصطفى محمد حسين ، المدخل إلى المدرسة الاسلامية فى علم الاجتماع مطبعة الكيلانى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٣ .

وإذن لا بد من سلطان يقضى على هذه الرغبة العدوانية فى المجتمع الإنسانى - ويأخذ المجتمع لحماية نفسه من الجريمة والانحراف عادة بوسيلتين : وسيلة منع ، وسيلة ردع ، أى وسيلة تمنع المجرم إذا نزغ الشيطان فى قلبه وهم بارتكاب اعتدائه من ارتكاب الأعتداء ، فهى وسيلة حماية للمجرم والمجتمع على حد سواء ، فلا أصبح المعتدى مجرما ، ولا نال المجتمع اعتداء على مصلحة من مصالحه . وسبيل تحقيق هذا الهدف ، تمكين الأسباب التى تحول بين الانحراف ووساوس الشيطان ، وتمنع من تحول النزعات إلى سلوك ضار وزرع الوازع الدينى فى قلوب الأفراد ، فيسلكون السلوك السوى ابتغاء رضوان الله عز وجل (١) .

وأعتقد أن مجتمع الإسلام يحقق للانسان هذا كله ومن ثم أستطيع أن أقرر أن هذه الوسيلة المانعة تتحقق على أكمل وجه فى مجتمع المسلمين . ولكن الانسان هو الانسان بما ركب فيه من نزعات الشـــــر والحسد والطمع ، التى توسوس له بالاعتداء لهذا كانت الجريمة إحدى الظواهر التى لا يمكن أن يخلو منها مجتمع ، ولهذا أيضا كان لا بد من الالتجاء إلى الوسيلة الاخرى وهى الوسيلة الرادعة .

وقد نهج الإسلام فى هذا أروع نهج ، فنظر إلى مصالح المجتمع الاساسية المقررة الثابتة وهى التى تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، وجعل وسيلة الردع هنا حدا جعله الله خالصا له . . وحيث أن الفضائل كلها الاجتماعية والأخلاقية والدينية كلها تصدر من نبع واحد ، هو الشريعة الغراء بقواعدها السليمة المعروفة .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٤ .

فإن الفرد المسلم فى مجتمع المسلمين لا يقع بين ضغوط الاختلافات التى تقوم فى المجتمعات الاخرى التى أصبحت فيها الفضائل الاجتماعية الضابطة لسلوكه بين الناس مختلفة عن الفضائل الأخلاقية الخاصة التى قد تأتيه من البيت أو المدرسة أو الكتب المختلفة والتى يريد أن يحياها فى عالمه الخاص والتى ينادون الآن فى أوربا وأمريكا بضرورة احترامها وتمييزها عن فضائل المجتمع العامة ، وكذلك عن الفضائل الاخرى الدينية التى تفرضها الكنيسة ومن ثم عاش الناس هناك منقسمين على أنفسهم ، يعيش الفرد فيهم بأكثر من شخصية ، ولذلك شاع بينهم ما يعرف فى علم النفس بأمراض فصام الشخصية (١) .

وقد ألفت أخيرا فى انجلترا بالذات عدة لجان لبحث هذه المشكلة ، وبيان مدى حق المشرع فى فرض الفضائل الاجتماعية أو الاخلاقية بقوة القانون ، ولكن الاستاذ « هارت Hart » أستاذ فقه القانون حاليا بجامعة أكسفورد ينادى بضرورة الحفاظ على حق الفرد فى أن يفعل ما يريد ، ما دام عمله لا يرتب ضررا للآخرين ، ولو كان فعله جريمة أخلاقية (٢) .

بينما ينادى كبير قضاة انجلترا لورد « دفلين Devlin » بضرورة قيام المشرع بفرض الفضائل أراد الناس أو لم يريدوا ، ولذلك ألف كتابا بعنوان فرض الفضيلة على الناس The Enforcements of Moral وكل الفضائل الاجتماعية والأخلاقية نابعة من الدين الذى يدفع الأفراد إلى احترام قيم المجتمع

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(2) H L A. Hart. "Liberty and Morality", Oxford University Press, 1964. نقلا عن نفس المرجع السابق ص ١٣٩ .

التي تزيد من ترابط وتماسك الجماعة ، وبذلك يصبح للدين وظيفة إيجابية في التماسك والضبط الإجتماعي .

كما أن هناك بعض علماء الاجتماع يعتقدون أن الدين والأخلاق لا يمكن فصلهما عن بعضهما ، حيث أن رفاهية الجماعة ليست كافية لتجعل الناس يعملون وفق القاعدة الذهبية التي تقول : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، ولكن من الضروري جداً وجود جزاءات تكافىء وتعاقب ، تأتي من وازع أو رادع أقوى من القوى الطبيعية (١) .

وفي هذا المعنى يقول البيرت ستيوات Elbert Stewart أن الدين يحقق وظائف نفسية متعددة لكل من الفرد والجماعة ، فبالنسبة للفرد يعتبر الدين قائدا مرشدا بما يؤدي إلى التواضع ، ويساعد في تكوين القيم الأخلاقية ، ويرفع من الروح المعنوية ، ويساعد في تكوين تجارب الحياة . . كذلك فإن الدين يجيب على سؤال الموت والحياة ووجود الشر في العالم ، ويجيب على الأسئلة التي لا تجيب عليها التجارب العادية ، كما أن الدين يكون شبكة علاقات عاطفية قوية تؤمن الناس وترعاهم(٢) .

• إن الدين الإسلامي يعد أقوى الأديان ضبطا للمجتمع . وتشمل تعاليم الدين الاسلامي : العبادات والمعاملات ، أما العبادات فتتعلق بالصلة بين العبد

---

(1) Mavis Hiltunen Biesanz & John Biesanz, « S ciology », Prentic Hall, Inc., Engle Wood Cliff. New York, pp. 1978, p 358 .

(2) Elbert W Stewart, « Soc ology » The Human science, 1978. pp 391 393

وربه ، بينما ترتبط المعاملات بين الأفراد ، فالأوامر والنواهي الخاصة بالمعاملات تحفظ النظام الاجتماعي بطريق مباشر ، وذلك بإيقاف كل فرد عند حدود لايتعداها ، ورسم الطريق السوى الذى يجب أن يتبع فى البيع والشراء والاخذ والعطاء وأنواع التعامل الأخرى .

أما الاوامر والنواهى الخاصة بالعبادات فتحفظ النظام الاجتماعى بطريق غير مباشر ، وذلك بتهذيب الفرد والسمو به عن الفحشاء والمنكر .. ومما يدعم وجهة النظر الاجتماعية فى الدين ويقويها به ان المجتمع كلما كان شديد التماسك كان الدين أقوى سلطانا على الأفراد ، اذ ينظر الى الدين فى هذه الحالة على أنه نظام اجتماعى شامل مشترك ، ولا يسمح لأى فرد أن يكون له رأى خاص فيه ، أو أن يسلك سلوكا خارجا عليه .

ويضبط الدين سلوك الفرد فى المجتمع بالثواب والعقاب ، لا فى الحياة الدنيا فحسب ، بل فى الدار الآخرة أيضا ، فاطاعة الأمر ، وتجنب المعاطى التى نهى عن فعلها ، أمر يرضى الرب الذى يثيب العبد الطائع فى الدنيا بالبركة واتساع الرزق والعافية ، واستجابة الدعاء ، وطول العمر ، وبالخلود فى الجنة فى الآخرة .

أما العبد الذى يعصى أمر الله به ، ويتمادى فى ذلك ، فان الله يغضب عليه ويعاقبه فى الدنيا بزوال النعمة ، وضيق العيش ، وسوء الطالع ، وفى الآخرة يعذبه فى نار جهنم .

ذلك ما يربى عليه الفرد منذ أن يعى ويصبح قادرا على استيعاب الآراء والافكار حتى يصبح ذلك عقيدة راسخة لايتزعزع عنها (١) .

---

(١) حسن الساعاتى ، مرجع سابق ذكره ، ص ص ٩٠ - ٩٢ .

وهناك علاقة وثيقة بين الجزاءات الدينية والجزاءات الاخلاقية التى تختلف باختلاف المجتمعات ، ويرى « راد كليف براون Radcliff Brown » أن الحدود الأزلية القانونية لقانون العقوبات فى كل المجتمعات - فيما عـــدا الدول الحديثـة التى تحررت من سلطان الدين - تفصـح عن علاقة وثيقـة بالمعتقدات الدينية (١) .

ويقول الدكتور (هنرى لنك) وهو طبيب نفسانى يروى للقراء قصة انحرافة هو نفسه عن الدين وعن الايمـان به ، وكيف أخـذ يلمس بنفسه تأثير الدين فى فى نفسية مرضاه وكيف كان للايمان فعل السحر فى علاجهم عندما كانت تخفق الوان العلاج الاخرى .

أنه لم يكن يجد وسيلة يعالج بها آلاف الحالات التى عرضت له الا أن يعيد توازنها الاجتماعى بالدين والايمان .

وظل الطبيب النفسانى ينصح بهذا حتى وجد نفسه يعود بدوره الى الدين ويصبح شديد الايمان بفكرة الدين بعد أن ثبت له بالدليل القاطع أنه لا مناص للانسان من وجـود ايمـان حقيقى ... ان الايمـــان هو الحـل الحاسم السريع لمشكلات المجتمع ، عندما يشيع فى حيـاة الأفراد والجماعات ، فيؤمن كل فرد بواجباته ، ويؤمن المجتمع بقيمة ومقدساته ، فيتوج ذلك كله ايمان بالله ، يحدد علاقات الافراد بعضهم بالبعض الآخر ، وعلاقاتهم بالمجتمع على أساس من الثقة والأمـــل (٢) .

---

(2) A. R Radcliffe Brown, « Social Sauction » , in Encyc_lopedia of Social Siences, Vol. XIII, P 532.

(٢) هنرى لنك ، العودة الى الايمان ، ترجمة ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة ، ص ص ٩ - ١١ .

يستطرد « د . هنرى لنك » قائلا .. واذا بحثنا من الناحيتين العقلية والنفسية وجدنا أن أعظم مصادر العون هو الدين ، فالايمان بوجود الله ورسله وكتبه يهيىء للابوين ملجأ أمينا موثوقا به يلجأون اليه ، ويضع بين أيديهم سلطة كبرى على أطفالهم ، كانوا يفتقدون اليها حتى لو لم يؤمنوا بها . فان هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها ، فى حين تنقصهم هم أنفسهم تلك المؤثرات الدينية التى كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل ، كانوا فى الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها ، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذى يحل محل تلك القوة الهائلة التى يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقى الالهى فى قلوب الناس .. فالدين هو القوة الوحيدة التى يمكنها أن تعين الانسان على حل المشكلات الخلقية والعقلية التى لا مفر منها والتى لاتفتأ تقض مضاجع الآباء والابناء والمجتمع كله (١) .

ويقول الدكتور « هارولد فينك » ان الايمان له ثلاثة وجوه هى : الايمان بالله ، والايمان بالناس ، والايمان بالنفس ، وأن مايضعف ناحية يؤثر على النواحى الثلاث بأجمعها والشىء العجيب المدهش أن الدكتور « فينك » برغم الظروف التى عاش ويعيش فيها كطبيب امراض عصبية ونفسية يتكلم عن التصوف وأنه الطريق الى المعرفة الصحيحة بالله . ويسبقه الى ذلك الاستاذ « و ث. ستاسى » استاذ الفلسفة بجامعة برنستن الامريكية ومؤلف كتاب الدين والعقل الحديث . ويؤيدهم فى ذلك أكبر علماء النفس فى القرن التاسع عشر « وليم جيمس » الذى وضع كتابا فى التصوف من الناحية النظرية والعملية وهو

---

(١) العودة الايمان ، المرجع السابق ، ص ص ١١٩ - ١٢١ .

كتاب لمس أنواع مختلفة من الخبرات الدينية وفي نهاية الحديث يقول : الدكتور « فينك » إنني محتاج للدين لتنظيم حياتي (١) .

ويؤكد ذلك قول الدكتور « اريك اريكسون » وهو من أشد الأطباء النفسيين حساسية وإدراكا عندما قال : إن وظيفة الطبيب النفسي هي إعادة بناء حالة الثقة والايمان في نفس المريض(٢) .

ومن الناحية الأخرى نجد « سيجموند فرويد » يقول في كتابه « مستقبل صورة خادعة » « إن الدين نوع من العصاب » (اختلال في وظائف الأعصاب) ويقول الشيوعيون وعلى رأسهم « كارل ماركس » إن الدين مخدر للشعوب . ويستخدم كمستحضر افيوني لاغفال أعين الناس عن الحالة التي حولهم » (٣).

وكل من « فرويد » و « ماركس » غير متناقضين ، يكمل كل منهما الآخر ، لأنهما عالمان يهوديان يسعيان لتحقيق أهداف خبيثة من وراء هذا الكلام . ولكن هل هذا الكلام صحيح ؟

ويجيب على هذا السؤال « هارولد فينك » وهو طبيب الأمراض النفسية والعصبية المشهور قائلا : « إن الدين يخلص الإنسان من القلق ، أما ادمان المخدرات فهو تسلط فكرة على العقل تدفع إلى الاضطراب والقلق . ولكن التفكير الطبيعي والشعور الطبيعي يخلص أيضا من القلق .

---

(١) هارولد فينك ، لمن ترهقهم الحياة ، ترجمة محمد الحلوجي ، دار المعارف بمصر ، ص ١٩٠ .

(٢) لمن ترهقهم الحياة ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٨

(2) Sociology, The Human Sience, Op. Cit ,, P. 391.

ويستطرد « فينك » قائلا : « إن السؤال الحقيقى هو هل من الضرورى أن يكون لنا دين ؟ ثم يقول : لقد حان الوقت لأن يواجه المتمسكون بالتحليل النفسى هذا الموضوع بشجاعة وصراحة . وقد سارت العيادة النفسية المسماة « فينجر » فى توبيكا بولاية كنساس للأمام بجمعها بين رجال الدين والطب النفسى لزيادة التفاهم المتبادل بين الطائفتين ويقول : إنى اتطلع إلى كثير من الخير فى مؤتمرهم هذا .

وعلم النفس كما يعرفه « هارى ستاك سوليفان » هو دراسة العلاقات المتبادلة بين الأشخاص . وبالتأكيد فان الدين يكون الجزء الأكبر فى هذه العلاقات ثم يقول : وأنا بدورى أسأل المتمسكين من أصحاب التحليل النفسى ، هل هذه العلاقات والروابط عصابية ؟ وهل هى عقبة فى سبيل العلاقات الطبيعية ؟ أنا اؤمن بأن هناك قوة قادرة لا أستطيع فهمها ، إلا بطريقة غامضة ، وأنا اؤمن بأن هذه القوة لا تعمل فقط على الكوكب الأرضى بل انها تعمل فى الكون بأسره ، وأنا أؤمن بأن هذه القوة من وجهة النظر الإنسانية قوة خيرة ورحيمة ، والأكثر من ذلك أنى أستعين بها وأتكل عليها ، وأخيرا فانى أتوكل وأعتمد على هذه القوة الخيرة الرحيمة التى أعرفها فى غموض لكى تعطى العقل معنى ، والبشرة قوة ومعونة ، هذه القوة اسمها الله . والأكثر من ذلك أنا أؤمن بأن كل إنسان فى حاجة للايمان بالله ليكون له سندا وعضدا فى تلك الساعات الحالكة عندما يتلجلج إيمانه فى نفسه وفيمن حوله من البشر . فى الأوقات التى تحدق بما فيها المشاكل الشخصية والكوارث ، وعندما يبدو المستقبل أمام البشرية فى أحلك صورة ، عندها يقوم الايمان بالله وبرحمته وكرمه بشد أزرنا وجمع شملنا(١) ؛

---

(١) لمن ترهقهم الحياة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ويقول الدكتور « جولز ماسرمان » أستاذ الطب النفسى فى جامعة نورث وسترن .: حقا لكى نساعد إنسانا يجب أن نعاونه على إعادة بناء عالمه الخاص من الحقائق والخيال ، وعلى قدر عقليته ما أمكن - وإيمانه الخاص بنفسه وبمن حوله من البشر ، وإيمانه بالله حسب تصوره الخاص لجلاله سبحانه وتعالى (١) .

« فالدين مثل العلم والفن طريق للحياة ، وأسلوب للعيش ، إنه يبحث عن الحقائق السرمدية الخالدة ، والجمال والخير ، أنه بحث ليست له نهاية ، لأنه يتطلب جهدا خلاقا ، وكما يعلم كل عالم وكل فنان أن كل محاولة ناجحة تخلق الحاجة إلى خلق جديد أقرب إلى الكمال .

ومن وجهة النظر الأخلاقية فان الدين هو الجهد الدائم الفعال فى خلق فرص أكبر وأسمى أمام الإنسان فى الدنيا لكى يصل إلى قمم جديدة من الخبرة ذات المعنى والتعبير عن النفس البناءة .

إن النظرة الدينية السليمة تبعث الهدوء والسلامة والراحة فى العقل المضطرب ، فلا أحد يدرى ماذا يكون أمره بعد عشر سنوات من الآن ، ولكن كل إنسان يستطيع أن يعرف ما يعمله فى التو واللحظة .

إن الدين يمنحنا الشعور بالاستمساك بحبل المجتمع الذى يربط بين الماضى والمستقبل ، ومن كان يحس بهذا التماسك والترابط استطاع أن يعيش فى أمن وهدوء ، مدركا أن يد الله ستقوده وتهديه (٢) .

ويؤكد « وليم جيمس » هذا المعنى فى كتابه Varieties of Reli—

(١) نفس المرجع ، ص٢٧٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

grious Experience قائلا : « إن الدين هو الحقيقة الأولى التي يحس الفرد نفسه مدفوعا إلى الاستجابة لها ، تتصف بالمهابة والجد دون أى تذمر أو استهزاء» وقد كان « وليم جيمس » له الفضل فى إثبات إن الدين فى حياة الفرد ليس غريزة قائمة بذاتها، وإنفعالا خاصا، أو عاطفة بالذات تقوم إلى جانب غيرها من العواطف، وإنما الدين كلمة تطلق على الانفعالات والعواطف العادية إذ تتبلور حول موضوعات الدين . فالحب الدينى، والخوف الدينى، والرهبة الدينية ، والطرب الدينى ، هذه جميعها إنفعالات عادية بيد أن موضوعاتها دينية (١) .

ويقول « فرازر Frazer » ، « أفهم عن الدين أنه استرضاء أو كسب قوى اسمى من الإنسان ، قوى يعتقد المرء أنها توجه وتضبط مجرى الحياة الطبيعية والحياة الإنسانية » ، أما « مارتينو James Martineau فيقول : إن الدين هو الايمان بإله يعيش ابدا ، أى بعقل وارادة الهيين يحكمان الكون ، ويقومان العلاقات الاخلاقية بين البشر . ولكن « متجارت Mettgart » يقول : « إن الدين حالة من حالات النفس .. يبدو لى أن أحسن وصف لها هو أنها إنفعال يقوم على الايمان بالانسجام بين أنفسنا وبين الكون عموما » أما « ثاولس Thouless » فيقول : إن هذه التعريفات الثلاثة للدين فى ضوء علم النفس العام حين كان الشعور يقسم إلى إدراك ووجدان ونزوع ، وقد تخير هذه التعريفات الثلاثة لا لشىء إلا أنها تمثل معا هذه الجوانب الثلاثة :

فالاول يصف أسلوبا سلوكيا والثانى عقيدة أو رأيا عقليا ، والثالث جهازا من المشاعر والانفعالات .

---

(١) عبد المنعم عبد العزيز المليجى، تطور الشعور الدينى عند الطفل المراهق، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٥٥ ص ١٧ .

وثاولس يوكد على وجوب تضمن أى تعريف للدين لهذه الجوانب مجتمعة، ويرى أن أنسب تعريف للدين هو « الدين هو « الدين علاقة عملية يشعر بها المرء نحو من يعتقد أنه كائن أو كائنات أسمى » (١) .

فإذا كانت هذه التعريفات وتلك الآراء على لسان أكبر علماء الطب النفسى الذين آمنوا بما للدين من عظيم الأثر فى علاج مرضاهم من أمراضهم النفسية والعقلية ، بعد أن جربوها ولمسوها بأنفسهم أليس الأولى بنا ونحن أصحاب أعظم دين . وأبناء خير أمة أخرجت للناس ، أن نعود إلى أصولنا ، ونرجع إلى ديننا ، نلتمس منه العون ، ونستعين به فى علاج مشكلاتنا الاجتماعية والجسمية والعقلية والنفسية ؟

ولهذا كله اقترح الباحث مجموعة أساليب علاجية نابعة من الدين الاسلامى ليمارسها الاخصائيون الاجتماعيون فى علاج الأحداث المنحرفين . كنهج علاجى جديد للخدمة الاجتماعية بعد أن فشلت كل أساليبها ومناهجها التقليدية المستوردة من الغرب .

ولكن الدين ليس علاجا لتلك المشكلات فحسب ، بل هو العامل الحاسم فى تطور المجتمعات ، ونهضة الحضارات على مر العصور ، وهو جوهر التقدم الذى يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات وهى الباعث الأساسى للتغير الاجتماعى .

وبالرغم من أن « كوستى » يعتبر الدين ، وكافة الأنشطة العقلية والجمالية

---

(1) Thouless, « An Introducions to the Pshichol of Religion, 1936. pp 8 9.

نقلا عن تطور الشعور الدينى عند الطفل المراهق ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٨ .

الانسان ظواهر مستقلة عن العملية التطورية ، نجـــد الفيلسوف الاجتماعي « بنيامين كيد B Kidd ١٩١٦ » يؤكد أن الدين هو العامل الحاسم في التطور ، غير أنه من الضروري أن نشير إلى أن « كيد » لم يكن أول من قدم نظرية الدين أولوية خاصـــة كعامل مؤثر في التاريخ ، ذلك أن المؤرخ الفرنسي الشهير « فوستر دي كلانج Fuster de Coulange » الذي كتب الدراسة الكلاسيكية « المدينة العتيقة The Ancient City » قد سبقه في تناول هذه الأفكار حيث يعتبر الأفكار الدينية ـ فوق كل شيء ـ هي الباعث الأساسي للتغير الاجتماعي . غير أن « كيد » قد ربط تأكيده للدين بالنظرية التطورية ـ فهو يذهب في مؤلفه التطور الاجتماعي ـ معارضا « كنت » صراحة ـ إلى أن العقل لا يمكن أن يكون السبب الأساسي في التقدم ، ذلك لأنه يكسب الإنسان نزعة فردية ، غير إجتماعية ، بينما التطور في جوهره اجتماعي ، يستهدف مزيدا من الترابط الإجتماعي . لذلك كانت القوة الوحيدة المؤثرة في التطور والتقدم هي الدين .

فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال و يحقق التكامل بين المجتمعات وينقذ الحضارات من الأخطار الكبرى . والدين فوق ذلك كله هو الذي منع حدوث تفكك إجتماعي كامل خلال القرون الأولى للمسيحية ، فقد نهضت حضارة العصور الوسطى على أسس دينية ، كما أن الدين الذي تفرع عنه المذهب البروستانتي هو الذي عمل على إنتشار الحريات السياسية والاقتصادية .

فالدين وحده هو الذي يسمح بوجود تقدم إجتماعي مستمر ، والواقع أن التأكيد على الدين باعتباره جوهر التقدم كان بمثابة الفكرة الرئيسية لعدد من الكتاب خلال كافة عصور التاريخ(١) .

---

(١) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمد علي محمد ، وآخرون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ، ص١٤٦ .

وفي هذا المعنى يقول « توينبي » إن نمو الحضارة يتعرض للتوقف في حالات الاخفاق حالة تفكك اجتماعي وتحلل .. والملاحظ أن خلال فترة تفكك الحضارة أن الثقافة لم تعد تنمو ككل ، وإنما تنمو بشكل غير منسق، وقد تؤدى إلى تطورات في الفن ، والدين ، والاقتصاد ... والسبيل الوحيد للخلاص في هذه المرحلة هو تغيير الشكل على أساس دينى . على أن انتشار اتجاه دينى جديد لن يؤدى إلى إنقاذ الحضارة المحتضرة ، ولكنه قد يمهد السبيل لظهور أسلوب جديد ناجح من أساليب الحياة(٢) .

والدين كوسيلة ضابطة له أثر قوى في تنظيم المجتمع ، فهو يضبط سلوك الأفراد والجماعات في نفس الوقت .

وتؤلف التعاليم الدينية بوجه عام مجموعة الأوامر والنواهى التى تحدد سلوك الفرد نحو العقيدة التى يؤمن بها . وتحث التعاليم الدينية على إتباع الأوامر والابتعاد عن النواهى ، وتهدف في النهاية إلى الابقاء على المجتمع والمحافظة عليه.

وقد وقفنا من قبل على رأى « دوركايم » الذى يؤكد أن الدين يمثل ضرورة إجتماعية هى إيجاد التماسك الاجتماعي والحفاظ على المجتمع ، ولهذا السبب أدى الدين ومازال يؤدى دورا كبيرا في تاريخ البشرية .

ويمكن القول عادة بأن الدين باق مابقى التماسك الاجتماعي. وقد يتغير شكل الدين لكن روحه تظل أبدية لاتنتهى . وليس معنى ذلك أن المجتمع قد أوجد الدين عن عمد لحفظ النظام فيه ذلك لان الدين ضرورة إجتماعية تتأتى من طبيعة الحياة الاجتماعية ذاتها وما يحس به الفرد من آلام، وما يتكون فى نفسه من آمال.

---

(١) علم الاجتماع القانونى ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

الفصل السابع

الدين واستدماج القيم

التوجيه الديني واستدماج القيم :

عرف مفهوم القيم منذ عهد بعيد ، ولكن القدامى عبروا عنه بأسماء مختلفة مثل الخير الاسمى والكمال أو المثل الأعلى والغـــاية والمعيار والمنفعه . وقد تفاوتت الآراء المتعلقة بموضوع القيم باختلاف المفكرين تفاوتا كبيرا ، فبينما يرى البعض فى موضوع القيم رأيا مايرى آخرون رأيا يناقضه تماما .

وفى هذا القـول « جون ديوى » John Dewey « ان الآراء حـــول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحيـــة بأن مايسمى « قيما » ليس فى الواقع سوى ارشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية وبين الاعتقاد فى الطرف المقابل بأن المعايير القبلية Apriori العقلية ضرورية ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق (١) .

وقد عالج أفلاطون موضوع القيم بطريقته الخاصة ، فقد اتضح له أن الناس لايعـون مصـادر الالزام فى حـياتهم ، ومع ذلك فهم يدركون مثلا عليـا ، ويتحدثون عن الحق وعن الجمال ، كما أنهم يتمسكون بالتزاماتهم الخلقية وهو يرى انه لابد أن يكون هناك مصدرا استقى منه الناس هذه المعتقدات التى تؤدى بهم الى هذا اللون من التفكير أو الحديث أو السلوك . وهو يستبعد أن تكون حياة الحس بما تحتويه من خلط واضطراب وقلاقل مستمرة ومتصلة ، مصدرا لمثل هذه الأحـاسيس والأفكار السامية ، أفكار الحق والجمال والالتزام الخلقى ويخرج « أفلاطون » ، من هذه المشكلة بالقـول بأنه لابد أن يكون مصدر هـذه

---

(1) John Dewey, « Theory of Valuation » International Encyclopedia of United Science, Vol. 11, No. 4, The University of Chicago Press, Illinois, 1939.

الاحساسات والافكار السامية عالما . آخر غير هذا العالم الذى نعيش فيه ، بل عالم آخر توجد فيـــه الأشياء كاملة كما يجب أن تكون ، هو عالم الحق والخير الجمـــال .

وقد أجمع المفكرون على أنه ما كان يقصده أفلاطون هو أن مصدر القيم الانسانية خارج عن الحياة الواقعية والخبرة الحية للانسان فى العـالم المتقلب وأن مصدر القيم هو عالم المثل وهو عالم أبدى ثابت مطلق .

ومع أهمية مفهوم القيم فقد ظل فترة كبيرة بمعزل عن اهتمام رجال العلم من الباحثين فى ميادين الدراسات الاجتماعية والعلاقات الانسانية والسلوك البشرى بصفة عامة . وربما كان السر فى اهمال هذا المفهوم من جانب العلماء فى هذه الميادين أن الفلسفات العقلية قد جعلت منه ركيزة من الركائز الأساسية التى يقوم عليها البناء العقلى والفكرى المجرد لتأملاتها وأفكارها ، فاحاطته بجو من الغيبية نفرت منه رجال العلم .

هناك طائفة من العلوم نطلق عليها مصطلح العـــلوم الثقافية ، وهى علوم تتخصص فى دراسة « كائنات ثقافية » مزورة بالمقدرة والارادة ولها اتجاهاتهـا الخاصة نحو العالم المحيط بنا ، كما أن هذه الكائنات لاتستطيع أن تجـل نفسها من تقويم ما يجرى حولها من ظواهر ووقائع ، ومن ثم يصبـح مفهوم الثقافة ذاتة مفهوما قيميا ، يصبح الواقع الموضعى بالنسبة لنا ثقافة لأننا نربطه دائما بمثاليات قيمية . ومثل هذا الجانب القيمى من الواقع الذى نعيشه هو وحده الذى ينطوى على أهمية ودلالة بالنسبة لنا ، وذلك راجـــع بالطبع الى أنه يكشف لنـا عن علاقات ذات معنى لأنها وثيقة الصلة بما نقبله من القيم . ومع ذلك يظل هناك فارق بين العلم والقيم ، فالعلم يستند الى الموضوعية والبرهان والمنطق ، على حين

إن القيم مصدرها الاختيار الحر والاعتقاد فى صدقها (١) .

وكان « ماكس فبر » يتبنى اتجاهين رئيسيين نحو مسألة القيم فهو كرجل سياسة أراد أن يكشف عن التناقضات التى تنطوى عليها انماط السلوك المختلفة ، وهو كعالم إجتماع يريد أن يتعرف على تأثير مختلف الإتجاهات الدينية والثقافية على سلوك الأفراد . ولهذا فإن « فيبر » يستند إلى رؤية أخلاقية واضحة للعـالم المحيط بنا ، وجوهر هذه الرؤية أن هناك أفراد يمارسون عملية اختيار للقيم ، ويسعون من أجل فرض المعانى الخاصة عندهم على ظواهر العالم الخارجى . ومهمة عالم الإجتماع تتلخص فى محاولته فهم هذه المعانى التى يسقطها الأفراد على الظواهر والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، لـكن عالم الاجتماع هو جزء من هذا العالم ، وخاضع لقوانينه ، ومن ثم فهو يفهم ويفسر الظواهر من وجهة نظره الخاصة ، وهنا بالذات تبدو أهمية القيم كشرط أولى لكافة ضروب المعـــرفة الإجتماعية الواقعية بالعالم (٢) .

ويرى « تالـكوت بارسونز Talcot Parsons » أن القيم عنصر مشترك فى تكوين كل من نظام الشخصية والبناء الإجتماعى وقد اتخذ موقفا توفيقيا بين علم النفس وعلم الاجتماع ، والتفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية . وقـــد « بارسونز » القيمة بأنها عنصر فى نظام (نسـق) رمزى مقبول من المجتمع ، ويؤدى وظيفته باعتباره معيارا أوقاعده للاختيار بين متقابلات التوجيه المنظمة

---

(١) محمد على محمد : تاريخ علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٣٠٦ .

(٢) محمد على محمد : نفس المرجع ، ص ٣٠٧ .

والمتيسره للمرء فى الموقف (١) .

ثم قدم « بارسونز » تعريفا آخر (٢) وصف فيـــه القيمة بأنها : « أحكام الاتجاهات نحو إدراك الاهداف الجماعية ، فالقيم تحدد وتضفى الشرعية على أهداف النظام ، وترشد الأشخاص الفاعلين فى أثناء أدائهم لأدوارهم وتفاعلهم فى الموقف ، وتحدد ولاء الشخص للدور إزاء الأدوار الاخرى ، وتساعد شرعية هذه القيم الموجودة فى المجتمع على إعطاء النظام صحة البقاء والاستمرار » .

ولكن أهم تعريف « لبارسونز » جاء فى كتابه : « الشخصية والبناء » أكمل فيه التعريفات السابقة للقيم حيث وصفها بما يلى :

« القيم تصورات توضيحية لتوجيه السلوك فى الموقف ، تحدد أحكام القبول أو الرفض وتنبع من التجربة الإجتماعية وتتوحد بها الشخصيه ، وهى عنصر مشترك فى تكوين البناء الإجتماعى والشخصية الفردية . فهى من مكونات الموقف الاجتماعى ، لأنها تتضمن نظام الجـــزاءات المرتبط بنظام الأدوار فى البناء الاجتماعى ، كما أنها تكون جزءاً من لب الشخصية الاجتماعية ، لأنها حصيلة أو نتاج عملية التنشئة الاجتماعية ، والقيم قد تكون واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا أو غامضة متشابهة تجعل الموقف متلبسا مختلطا » .

. والقيم لها أنماط وأصناف متعددة حتى أن دارسو القيم اتفقوا على صعوبة تصنيفها ، وعلى أنه لا يوجد تصنيف شامل لها ، ولذلك نكتفى بالإشارة إلى

1 — Talcot Parsons, « Towards of social Action », Combridge, Harvard Univ. Press, 1971, p. 12.

2 — T. Parsons; « structure and Process in Modern socie- ties, Illinois, Fress Pree of Glenco, 1960, p. 174.

تصنيف القيم على أساس أبعادها ، وسنكتفى بواحد منها وهو بعد المحتوى (١) .

وقد ذكر سبرنجر Spranger أنماطا ستة من القيم هى :

القيم النظرية وهى تعبر عن إهتمام الفرد الزائد وميله لاكتشاف الحقائق والمعارف من أجل تحقيق هذه القيم . ويتميز سلوك المؤمنين بهذه القيم بالاتجاه الفكرى والعقلى والنقدى والتجريبى . ويفضل هؤلاء دائما أن يكونوا محبين للفلسفة وعالمين فى مختلف العلوم .

والقيم الاقتصادية وهذه القيم تعبر عن الإهتمامات العلمية ذات الفائدة والنفع ، وتتوافق مع زيادة الاهتمام بالأشياء العلمية فى الصناعة والإنتاج والثروة ، ويهتم أصحابها بكل مايهم رجال المال والأعمال ، أى الانتاج والتسويق والاستهلاك ، واستثمار الاموال . ويرى هؤلاء أن القيم النظرية مضيعة للوقت ويحددون علاقات الناس على أساس المال والثروة .

والقيم الجمالية وتعنى هذه القيم بالشكل والتجانس وتعبر عن إهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من حيث الشكل وكمال التنسيق والانسجام . ويتمسك الاشخاص الذين تسود عندهم هـذه القيم بالفردية والاكتفاء الذاتى ، ويعارضون المؤمنين بالقيم الاقتصادية المادية ، ويرون فى عمليات التصنيع والتجارة والاعلان عمليات وأد للقيم الجمالية ، وقد يكون بعضهم فنانين خلاقين وآخرون ذواقين مستمتعين بالجمال ومحبين له .

والقيم السياسية وتهتم بالسلطة والقوة والسيطرة والعمل السياسى وحل

---

(١) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٧٣ - ١٠ .

مشكلات الجماهير . ويتميز أصحاب هذه القيم بالعلاقات الإجتماعية النفعية وبالقيادة والقدرة على توجيه الآخرين .

والقيم الاجتماعية تعبر عن هذه القيم إهتمام الفرد بحب الناس والتضحية من أجلهم ، وبذل الخدمات العامة ويتميز أصحابها بأنهم ليسوا أنانيين أو انفعاليين عاطفيين ، بل يرون فى العمل على أسعاد الآخرين غاية فى حد ذاتها .

هؤلاء يكونون عادة ضد القيم السياسية ، ويرون فى القوة الغاشمة تحطيم لتكامل الشخصية ، ويقتربون كثيرا من الدين والجماعة .

والقيم الدينية تؤكد وحدة كل الخبرات وإدراك الفرد للكون . ويعبر عنها الفرد وميله إلى معرفة ماوراء الطبيعة Metaphysics ، فهو يرغب فى معرفة أصل الإنسان ومصيره ويؤمن أن هناك قوة تسيطر على العالم الذى يعيش فيه ويحاول أن يربط نفسه بهذه القوة . ويتميز معظم هؤلاء بالتمسك بالتعاليم الدينيـة .

والباحث يعنى بالقيم الدينية - التى حاول تكوينها للأحداث المنحرفين - مجموعة القيم الاجتماعية الأخلاقية ذات الصفة الدينية التى عددها الباحث وقام بقياسها عن طريق مقياس نمو القيم الدينية الذى صممه الباحث .

والدين بما يشتمل عليه من قيم أخلاقية قادر على توجيه سلوك الأفراد ، توجيها سديدا فى مواقف الحياة المختلفة بما يدعم بناء شخصياتهم ويجعل كل شخصية منهم لبنة قوية ودعامة متينة من دعامات البناء الاجتماعى .

ويقدر وحدة القيم فى المجتمع يكون تماسكه ، وبقدر التناقض والتفاوت فى فى القيم يكون تفككه .

ولذلك عندما اختار الباحث موضوع دراسته وهو ممارسة التوجيه الدينى فى علاج الأحداث المنحرفين وضع فرضا أساسيا من فروض دراسته خاصا ببناء وتكوين القيم وصمم له مقياسا خاصا سماه مقياس نمو القيم الدينية طبقة فى الدراسة القبلية والبعدية وخرج منها بنتائج إيجابية فى تكوين القيم الدينية كبداية لتكوين نظام قيمى لدى الأحداث المنحرفين وذلك عن طريق ممارسة المتطلبات السبع اللازمة لبناء وتكوين أى نظام قيمى (وسيلى ذكرها) .

ويرى « بارسونز Parsons » وغيره من علماء الإجتماع والانثروبولوجيا أن القيمة تتكون من عناصر ثلاثة هى :

أ — المكون العقلى المعرفى (الاختيار) .

ب — المكون الوجدانى النفسى (التقدير) .

حـ — المكون السلوكى الخاق (الفعـل) .

وتسهم هذه العناصر الثلاثة فى تحديد القيمة وتحديد وظيفتها ومعناها .

ويتضمن العنصر الثالث العمليات التى تساعد العامل على تخصيص طاقاته وشحذها وتوجيهها بين مظاهر الفعل المختلفة ، وهو الأساس فى تكوين نظام القيم . وتؤكد المدرسة الإجتماعية المعاصرة أن هذه العناصر الثلاثة متداخلة ومتفاعلة فيما بينها بتأثير المجتمع والتفاعل الإجتماعى ، وتعكس ثقافته وتعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه .

والشكل التوضيحى التالى يساعد فى تمثيل هذه المكونات والعلاقات التى تربط بينها (١) .

---

1 — Sidney B. Simon & S.W. Aids, « Helping Your Child Learn Right From Wrong», Mc Graw Hilly Co , Paper Bock, 1977, pp. 31 — 36.

تعتبر مكونات القيم المتمثلة فى درجات السلم السبع معايير Criteria ينبغى أن تتوافر فى كل قيمة قبل أن يصبح من الممكن تصنيفها كذلك ، وهذا يعنى أن القيمة تنتج وتصبح واقعا بعد تحقيق هذه المتطلبات السبع التى أعاد سردها وترتيبها « سيمون وآخرون Sidney B Simon » كما يلى :

أولا : الاختيار المعرفى والادراكى Choosing (المستوى الأول)

أ — الاختيار الحر .

ب — البدائل .

ج — التفكير فى عواقب كل بديل .

ثانيا : تقدير القيمة والاعتزاز بها : (المكون الوجدانى النفسى) (المستوى الثانى) .

أ — الشعور بالسعادة لاختيار القيمة .

ب — الاستعداد لاعلان وتأكيد الاختيار على الملأ .

ثالثا : ممارسة القيمة : المكون السلوكى الفعلى Acting (المستوى الثالث)

أ — استعمال توظيف القيمة المختارة (ممارستها) .

ب — تكرار استعمالها فى الحياة اليومية .

وبعد ذلك تتراكم القيم عند الأفراد والجماعات لبناء النسق القيمى للفرد وللجماعة ، أى أن النسق القيمى يكون نتاجا لهذه العمليات أو الخطوات السبع التى يمر بها تكوين القيم .

وهذه الخطوات السبع قد حاول الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج

الإسلامي بممارستها وهو يحاول تكوين القيم الدينية للأحداث المنحرفين وما يترتب عليها من علاج السلوك المنحرف .

ومما يؤكد أهمية القيم الدينية فى الحياة الإجتماعية الدراسة التى قام بها « ماكس فيبر » والتى ضمنتها كتابه عن الأخلاق البروتستنتة وروح الرأسمالية والتى تم الاشارة اليها فى الجزء الخاص بالدين كنظام اجتماعى فالدين يساعد على تكامل شخصيات الأفراد ، ويزودهم باطار من القيم والمعايير التى تعتبر موجهات للسلوك ، وهو من ناحية أخرى يحدد القواعد الأخلاقية التى تسير عليها الجماعة ، ويزودها بمرجع واضح ثابت من القيم التى يجب أن يتمسك بها الأفراد .

وذهب فريق من الفلاسفة الأخلاقيين الى أن القيم الأخلاقية السامية تفرض سلطانها على العقل والحياة معا ، وتظفر باحترام جميع الأفراد ، وتوفق بين جمود القواعد الاخلاقية وانطلاق الحياة ، وتمزج بين موضوعية القواعد الصارمة وذاتية الحياة الفردية ، هذه القيم الأخلاقية من القيم المطلقة الأبدية المتمثلة فيما ألزمنا الله به من أوامر ونواه يتمثل فيها الخير والشر وعلينا أن نرجع إليها قبل الاقدام على أى فعل من الأفعال . وجاء فى كتاب « المواقف » للقاضى « عضد الدين الأيجى » (ص ١٣٥) القبيح عندنا ما نهى عنه شرعا نهى تحريم أو تنزيه والحسن بخلافه ، أى ما لم ينه عنه شرعا كالواجب والمندوب والمباح ولا حكم للعقل فى حسن الأشياء وقبحها ، فلا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشرع » .

وقد ذهب كثير من علماء الأخلاق فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة إلى هذا الرأى ، فالقيمة الأخلاقية لهذا الفعل أو ذاك تقاس عندهم بمقدار علاقتها بالقيمة الأزلية المطلقة وذهب فلاسفة آخرون إلى أن القيمة المطلقة التى تملى شروطها

على العقل والحياة معا والتي يتبعها جميع الأفراد دون مناقشة ليست شيئا آخر إلا المجتمع باعتباره المصدر الأول لجميع القيم(١) .

وبهذا المعنى تكون القيم الخلقية الضابطة للسلوك صادرة عن القواعد العامة التي ارتضاها المجتمع وصدى لما أقره الرأى العام من معايير توصف وفقا لها الأفعال والتصرفات بالخير والشر .

ويرى « دوركايم » أن الحالة الأخلاقية التي تحمل منذ وجودها تاريخيا وأينما كانت طابعا دينيا يستحيل تجريدها كليا من هذه الخاصية ، لأن تجريدها من هذه الخاصية ، يعني محوها هي نفسها من الوجود . معنى ذلك أن الأخلاق إذا فقدت ذلك الطابع الديني الذي تنطوى عليه فإنها لا تظل بعد ذلك كما هي في جوهر أخلاقيا . وهذا الطابع أمر واضح في الأخلاق لاخفاء فيه ، فالخوف مثلا الذي تشيعة الرذيلة في نفس مقترفيها في المجال الأخلاقي يشبه من كل الوجوه نظيره من الخوف الذي ينفثه انتهاك حرمة المقدسات في نفس المقدسات في نفس المتدين في المجال الديني ، وبالمثل كذلك هـــذا الاحترام الذي يقتضينا اياه السلوك الأخلاقي نحو إنسان ما أيضا لا يكاد يختلف عن ذلك الاحترام الذي يحمله المتدين للأمور المقدسة إلا نحو من الأخلاق في شيء من التفاصيل البعيدة(٢) .

ويعتبر « دوركايم » من الذين اهتموا بدراسة القواعد الأخلاقية ووضع

---

(١) يحيى هريدى : مقدمة في الفلسفة العامة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ ، الطبعة الخامسة ص ٣١٥ .

(٢) اميل دوركايم : علم الاجتماع وفلسفته ، ترجمة حسن أنيس ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٢٢ .

دعائم علم الاجتماع الأخلاقى وذلك فى كتابه « الأخلاق وعلم الطباع »(١) .

هذا وأن جميع الأديان تدعو إلى الالتزام بالقيم الخلقية سواء كانت هذه الأديان وضعية أو سماوية موحى بها . فالبوذية مثلا كديانة وضعية تقسم الحياة الأخلاقية كما ذكر مؤرخوا البوذية ومنهم « أولد نبرج » إلى ثلاث مراحل : الاستقامة ، التأمل ، والحكمة ...

وإذا أخذنا الاسلام أسمى الديانات المنزلة فهو يدعو إلى الأخلاق ويحث على الالتزام بها ويصف المتمسك بها بأنه ذو خلق كريم . وقد وصف الله رسوله محمد حيث قال : « وإنك لعلى خلق كريم » والرسول يقول عن نفسه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وتتم عملية إستدماج القيم عن طريق عمليـة التفاعل الاجتماعى Social Interaction التى تعتبر أساسا لعملية التنشئة الاجتماعيـة Socialization حيث يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التى تنظم العلاقات بين أفراد وجماعات المجتمع الواحد فى اطار القيم السائدة والثقافة والتقاليـد الاجتماعية المتعارف عليها .

ولقد أشار ورتشل وكوبر Worchel & Cooper الى وجود عدد من المراحل لعملية التفاعل الاجتماعى التى تحدث بين طرفين اجتماعيين كما يلى (١):

---

(٢) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثالث ، المدارس الاجتماعية المعاصرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٤ .

(1) S. Worchel & J B. Cooper, « Understanding Social Psychology (Revised ed.) The Dorsey Press, Homewood, Illinoise, 1979, P. 107.

المرحلة الأولى :

مرحلة التعارف (التصنيف والتقدير) وفى هذه المرحلة يتبادل الطرفان عبارات المجاملة والآراء العفوية (غير المخططة) ويقوم كل طرف بمحاولة سبر غور الطرف الآخر واكتشافه وتحديد قيمته وفائدته بالنسبة له ولأهدافه، مستندا إلى مبدأ، الكلفة والفائدة، وإلى مدى التشابه والتوافق بينهما.

المرحلة الثانية :

مرحلة التفاوض والمساومة، وفى هذه المرحلة يسعى كل طرف من خلال وسائط التفاعل المفضلة لديه، إلى تحديد نوع العلاقة التى يفكر فى التوصل إليها وإقامتها مع الطرف الآخر باحثا عن أفضل النتائج والمكاسب لهذه العلاقة لكى تشكل هذه النتائج الحافز والمشجع على تقويتها واستمرارها. وهنا يحاول كل طرف استدماج مزايا الطرف الآخر مبرزا ومقدرا التشابه والتوافق فى المزايا والاتجاهات والقيم والأهداف.

المرحلة الثالثة :

مرحلة التوافق والاتفاق والالتزام، وهنا يقتنع كل طرف بالطرف الآخر من حيث المزايا والقيمة، ويتوقف عن البحث عن بدائل أخرى مكتفيا بما توصل اليه من علاقة مع الطرف الآخر.

المرحلة الرابعة :

مرحلة الاعلان عن العلاقة وتعزيزها وتثبيتها، حيث تعلن القرارات التى تعبر عن الاقتناع والالتزام الذى توصل إليه الأطراف فى الخطوة السابقة كتأكيد على نمط العلاقة التى تم التوصل إليها وتحقيقها عن طريق التفاعل. والاخصائى

الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى عن طريق أساليب التربية الاسلامية الذاتية والبيئية الذى يتفاعل مع الأحداث المنحرفين بهدف علاجهم يحاول تطبيق تلك المراحل الأربعة ، فهو أولا يقوم بعملية التعارف بينة وبين كل واحد منهم موضحا لهم أهدافه والفوائد التى سوف تعود عليهم من ممارسة العلاج الاسلامى وفى هذه المرحلة يحاول الأحداث المنحرفون سبر غور الأخصائى الإجتماعى للتأكد من مقدرته على إفادتهم وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية حيث تظهر العلاقة المهنية المبنية على الثقة والاحترام والحب التى تكون بمثابة الحافز والمشجع لهم ، والتى نسميها علاقة المحبة والمودة التى يعتمد عليها الاخصائى الإجتماعى فى اقناعهم بالقيم الدينية التى يسعى إلى تكوينها لديهم ، وفى المرحلة الثالثة يتم تدعيم تلك العلاقة وتقويتها حتى يتم الاتفاق والالتزام بالقيم المستدرجة حتى نصل إلى المرحلة الرابعة التى يتم فيها الاقتناع والالتزام التى توصل إليها أطراف تلك العلاقة وبذلك تتم عملية التفاعل الإجتماعى بينهما والتى تعود بدورها إلى استكمال أو إعادة التنشئة الإجتماعية لهؤلاء الأحداث المنحرفين وبذلك يتم تقويم سلوكهم وعلاج انحرافهم .

وبذلك يتعلم الحدث المنحرف كيف يصبح كائنا إجتماعياً ، يعيش فى جماعة ، ويسلك سلوكا إجتماعياً مناسباً لكل موقف وكل ظرف ، ويتعلم كيف يلتزم بقيم معينة ، وعقائد معينة ، وعادات معينة ، وتقاليد معينة . إنها لاشك عملية إجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، هى تفاعل إجتماعى على أوسع نطاق ، يجرى بين الفرد من جهة ، وبين المجتمع من جهة أخرى ، ويسمى علماء الإجتماع ، وعلماء النفس ، وعلماء النفس الإجتماعى ، هذه العملية بالتنشئة الاجتماعية socialization تلك « العملية التى عن طريقها ينمى الفرد و تنمى شخصيته ،

وتنتقل الثقافة عن طريقها من جيل لآخـــر ، (١) وهى عملية طويلة تبدأ منذ الولادة ولا تنتهى إلا بنهاية الحياة الطبيعية للفرد ، وهى على مراحل متعاقبة ، لكل مرحلة طبيعتها وعناصر ثقافية تختص بها ، وعلى الفرد أن يستوعب فى سيرته الطويلة جميع متطلبات هذه المرحلة بصورة متواصلة وبدون انقطاع ، ولذلك فإن عملية التنشئة الإجتماعية ذات هدفين مزدوجين ، أولها بناء شخصية الفرد وإنمائها بصورة مستمرة ، والهدف الثانى ضبط سلوك الفرد وتوجيهه ، وفقا لمتطلبات الحياة الجمعية ، وكلا الهدفين يتضمن التوافق الشخصى والإجتماعى .

هذا ماتوصل إليه الباحث عندما مارس العلاج الإسلامى للأحداث المنحرفين فقد قام بدور هام وأساسى فى إعادة تنشئتهم عن طريق التربية الإسلامية التى تنمى لديهم القيم الدينية والتى يستدمجونها فى ضمائرهم بما يساعدهم على الوقاية والعلاج بالنسبة للسلوك المنحرف . وعملية تكوين الضمير ، وأن كانت دعامتها الأولى تتكون فى مرحلة الطفولة المبكرة ، فهى عملية مستمرة وهى ترتبط فى البداية بوعى الطفل بذاته وتكوين صورة عنها ثم تكوين صورة عن الذات كما يتمنى الفرد أن تكون ذاته وهذه العملية تتضمن تحولا من الالتزام بالأوامر الخارجية إلى التوجيه الذاتى وضبط النفس ، وتحولا من السلوك بدافع الخوف والخضوع للغير إلى « التفضيل » القائم على احترام الذات والاعتزاز بالنفس ، وتحولا من مجرد الرغبة فى التوافق مع الجماعة والسعى لإرضائها أو الحصول على رضاها ، إلى العمل وفق صورة الذات المثالية التى تعد أرقى المستويات فى نمو الضمير وهو المستوى الذى تهدف إليه التربية الإسلامية عن طريق استدماج القيم الدينيه .

---

(1) Bernard Philips, "Sociology" From Concepts to Practice, Mc Graw Hill, Book Co., 1979, p 508.

والعلاج الاسلامى كما يقترحه الباحث بأساليبه الذاتية والبيئة يهدف إلى تنشئة إجتماعية اسلامية حيث يجد فيها الحدث والوقاية والعلاج لأى سلوك منحرف

التوجيه الدينى والعلاج الذاتى والبيئى :

تعانى الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة ، إما بسبب المبالغة فى الاباحة والتدليل وإنعدام للضوابط فى معاملة الأطفال ، وإما بسبب الافراط فى الشهوات وإنعدام ضابط الغرائز ، انعداما اضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين . وأما بسبب الافراط فى ابتذال المرأة افراطا جعلها تخالط الرجال فى كل شىء فتفقد أنوثتها ، ومكانتها الأولى فى تربية الأطفال ، ومن كل ذلك نشأ تفكك بنيان الأسرة ، وضاعت الطفولة ، كما ضاعت الانوثة والرجولة معــــا وأصبحت الانسانية تعيش فى بؤس وتيه وشقاء(١) .

ولذلك زاد إنحراف الأحداث وزاد عددهم بدرجة خطيرة بالرغم من زيادة عدد المؤسسات التى تقدم لهم ألوان الرعاية الاجتماعية والنفسية ، إلا أن أعدادهم لم تنقص ولم تنجح خدمات تلك المؤسسات فى تعديل سلوكهم ، وصار (الحدث العائد) صفة تتكرر كثيرا فى تلك المؤسسات ، وهذا دليل على قصور الخدمات التى تقدم فى تلك المؤسسات ، بل والادهى من ذلك وأمر هو انتشار كثير من ألوان السلوك المنحرف داخل تلك المؤسسات التى من المفروض أنها مؤسسات علاجية ، إنشئت خصيصا لتقويم الانحراف وتديل السلوك المنحرف.

ولذلك بدأت الخدمة الاجتماعية تقيم خدماتها فى تلك المؤسسات واعترفت بقصورها ، وبدأت تبحث عن أساليب جديدة تخرجها من أساليبها التقليدية المستوردة من المجتمعات الغربية التى تختلف فى عاداتها وقيمها وإتجاهاتها عن مجتمعاتنا العربية اختلافا كبيرا .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى ، ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٩ ، ص١١ .

فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية : الفترة التى يصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه .. يتبدى واضحا إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة .

لقد تخبطت البشرية ما بين عبادة العقـل ، وعبادة الجسم ، وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الإقتصادية ، والحتمية الاجتماعية .. إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التى يعبدها الناس فى هذا الجيل ليهربوا بها من عبادة الله ! .. فكانت الشقوة التى تفسد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يمس الأفر ادوالجماعات ، وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية فى حماه ، وتجد التوجيه الراشد فى منهجه للحياة(١).

ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج المناسب للحياة بما فيه من توجيه واشاد ، وهو الذى يقدم العلاج الاسلامى الفعال لكل هذه المشكلات ، وفيـه النجاة والخلاص ، فهو المنهج الربانى لتقديم البشرية وتوجيهها ، لترشد وتتوازن ، وتسلك سلوكها المستقيم فى الحياة .

ولذلك لجأت الخدمة الاجتماعية إلى ممارسة العـلاج الإسلامى وتحمست لتطبيقه وتجريبه فى مؤسسات الأحداث المنحرفين بهدف تقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم ، لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريق العلاج الأمثل بعد أن ضاقت بها السبل وعجزت أساليبها العلاجية التقليدية عن علاج الأحداث المنحرفين.

---

(١) محمد قطب ، « منهج التربية الإسلامية » بيروت ، الطبعة الثانية ، دار النفائس ، ص ٥ .

واقعية الإسلام فى علاج النفس البشرية :

الدين الإسلامى يقول أنه من الممكن تبديل النفس البشرية وتغييرها جوهريا بامكانية اخراجها من الظلام إلى النور ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمال الخلق وذلك عن طريق المجاهدة والرياضة النفسية .

« والإسلام لا يغفل أبدا واقع الطبيعة البشرية وما ركب فيها من تنوع فى الطاقات والاتجاهات والمستويات .

لذلك لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة مصبوبة فى قالب لا تتعداه ، إنما هو يطلب إلى كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له هو بحسب إستعداداته وطاقاته وإتجاهاته .. وكل ما يفرضه هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص فى حدود الاطار المثالى العام(١) .

والعلاج الاسلامى بكل أساليبه المختلفة التالى ذكرها ، والتى سيحاول الاخصائى الاجتماعى ممارستها فى مؤسسات رعاية الأحداث بهدف تعديل سلوكهم ، سيحاول جاهدا التأثير فى تلك النفس البشرية محاولا تغييرها : من من نفس ضالة منحرفة إلى نفس مسلمة مؤمنة ، تؤدى واجبها فى الأرض متوكلة على الله فى السماء ، تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة تاركة النتيجة لله ، تسير مع الأقدار ، مؤمنة بأنه لن يصيبها إلا ما كتبه الله لها .

ومنهج العلاج الإسلامى الذى يقترحه الباحث « يرسم الصورة الصحيحة التى ينبغى » أن تكون ، والتى يرجع إليها دائما فى تصحيح الأوضاع وضبط المقاييس . وبغير هذه الصورة المتكاملة لا يمكن أن نعرف بالضبط كما قطعنا من

---

(١) محمد قطب ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

الشوط ، وكم بقى فى الطريق ، لنقيس الجهد الذى ينبغى أن يبذل ، ونقيس طاقاتنا إلى هذا الجهد المطلوب »(١) .

وهكذا يهتدى الاخصائى الاجتماعى بمنهج إسلامى واقعى نظيف ، ويحسب حساب الإنسان بفرديته من حيث طاقاته وقدراته وإستعداداته وصفاته ، ولذلك لا يكلفه بعمل المستحيل بل يطلب منه المحاولة الدائمة لبلوغ الكمال الذى تستطيعه هو ، وهو بفطرته يستطيع الكثير . . والإنسان فى نظر هذه الواقعية كائن ليس بالملاك ولا بالشيطان ، ولكنه قادر على الصعود إلى نظافة الملائكة ، وقادر على الهبوط إلى دنس الشيطان(٢) .

والطريق الواقعى لتربية الإنسان ومعالجته ، هو رسم الصورة المتكاملة أمامه ، وتدريبه دائما على الصعود إليها والدنو منها بكل أساليب العلاج الاسلامى ، وبكل جهد ممكن ومستطاع .

والاخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الاسلامى فى مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين بهدف تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، يبغى الوصول فى النهاية إلى اعداد الإنسان الصالح الذى يستمد من القرآن منهج حياته ، ومنهج سلوكه ، حيث يجد الوقاية ويجد العلاج .

والاخصائى الاجتماعى الاسلامى يعرف جيدا أنه طريق شاق وصعب ، لأنه طريق غير ممهد ، تحيط به ظروف وعوامل غير مساعدة ، وتعترضه عقبات كبيرة ، متمثلة فى ألوان التربية السائدة فى المجتمع ، التى ابتعدت كثيرا عن طريق الله ، وتاهت فى معترك الحياة .

---

(١) محمد قطب ، المصدر ، ص٢٩٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص٢٩٢ .

ولكن الإخصائى الإجتماعى سيستعين بالله أولا ، وبإيمانه واقتناعه بهذا المنهج ثانيا ، ثم بجهد شاق ومثابرة كبيرة ، سيوفقه الله ، ويهدى خطاه ، علما بأن هناك بعض العوامل المساعدة على النجاح منها : وجود الأحداث المنحرفين الذين يسعى لعلاجهم داخل مكان مغلق ، معزول عن المؤثرات الخارجية ، وهذا المكان هو المؤسسة التى يمارس فيها الأخصائى الإجتماعى العلاج الاسلامى السلوك المنحرف .

ولذلك إتجهت الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الاسلامى الذى جعل من التربية الاسلامية الوقاية والعلاج لكل المشكلات ، سواء كانت إجتماعية أو نفسية ، وفى الجزء التالى يعرض الباحث تصوره لأساليب العلاج الاسلامى الذى يستطيع الاخصائى الاجتماعى من خلاله تربية النفس ومجاهدتها حتى تستقيم على طريق الخير ، وتهجر طريق الشر ، وتبتعد عن معصية الله ، وتعود إلى فطرتها السليمة والتى ولدت بها ، والتى تقوم التربية الاسلامية بتكملتها وتدعيمها ، فليس هناك أعظم من التربية الإسلامية لعلاج النفس البشرية ، وتقويم انحرافها ، وتعديل سلوكهـــا .

وقد قسم الباحث العلاج الاسلامى إلى قسمين أساسيين هما :

١ ـ العلاج الذاتى الإسلامى .

٢ ـ العلاج البيئى الإسلامى .

وفيما يلى توضيحيا مفصلا منهما ، عسى أن يوفق الله الممارسين فى تطبيقها حتى نتوصل إلى أحسن الأساليب المناسبة لعلاج الأحداث المنحرفين .

الفصل الثامن

العلاج الاسلامي الذاتي

. أولا : العلاج الذاتي الاسلامي :

التربيـــة الاسـلامية :

التربية الاسلامية هي تنشئة الطفل وتكوينه انسانا متكاملا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادىء التي جاء بها الاسلام وفي ضوء وأساليب وطرق التربية التي تبينها (١) .

من هذا التعريف للتربية الاسلامية وغيره من التعريفات الاخرى ، نرى أن الاسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا تجد فيه الانسانية علاجا شافيا لمشكلاتها ، ينتشلها من طريق البؤس والتيه والشقاء ، وينتقل بها الى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف الى تربية النشء على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحـــده ، وهو الذي يربي الانسان على أن يحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لايجد حرجا فيما حـــكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعا لامر الله ورسوله . قال تعالى : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

ولما كان الاسلام هو المنهج الرباني المتكامل الموافق لفطرة الانسان ، والذي أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الانسانية حتى تصبح شخصيته متزنة كاملة ، لتصبح خير نموذجي على الأرض ، يحقق العدالة الإلهية في المجتمع الاسلامي ، وذلك عن طريق التربية الاسلامية التي تغرس في الانسان العزة والكرامة ، بل الاستمانة

---

(١) مقداد يالجن ، « التربية الاخلاقية الاسلامية » القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٧٣ ، ص ٥٤ .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

فى سبيلها ، مهما أحاطت به الشدائد ، أو أبعدته عنها المغريات : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) .

والاخصائى الإجتماعى الذى يسعى لتطبيق العلاج الاسلامى مع الأحداث المنحرفين فانه يهدف الى تعديل شخصياتهم وتنميتها عن طريق اكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الاسلامية تساعدهم على تعديل سلوكهم وتقويم انحرافهم وانتشالهم من الهوان والضياع بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التى كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ، ومن تدخين جماعى فى معسكرات الاطفال فى بعض دول أوربا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندى لها الجبين .

« ولنسأل أنفسنا أى ضياع للاطفال والطفولة يفوق هذا الضياع ؟ اللهم أن يكون ضياع الإطفال غير الشرعيين ، وهو بلاء آخر من ثمرات هذا العصر ، فقد بلغ عدد هؤلاء فى أوائل الخمسينات نصف مليون طفل فى انجلترا وحدها .. نصف مليون طفل غير شرعى من الناقين على الحياة وعلى المجتمع الذى تركهم قلقين تائهين ، لا يعرفون لهم أصلا ، ولا انتماء ، ولا أهـــلا .. (٢) .

لقد عقدت مقارنات مفيدة بين خصائص التربية الغربية وأهدافها وأساليبها ، وبين ما اتسمت به التربية الاسلامية من خصائص وأساليب وأهداف ، فاتضح التربية الاسلامية هى الطريق الوحيد للخلاص من هذا الضيـاع ، وهى المنقذ للطفولة الضائعة والبشرية المتردية .

---

(١) سورة المنافقون : ٨

(٢) عبد الرحمن النحلاوى ، مصدر سابق ص ٧

والخدمة الإجتماعية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ، بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة تسعفها فى علاج المشكلات الإجتماعية الى أن وجدت ضالتها المنشودة واقتنعت بالعلاج الاسلامى ، الذى يعتمد على التربية الاسلامية ، فهى الوسيلة الوحيدة القادرة على اعادة التوازن الى المجتمع الذى اضطرب واهتز . ولذلك اتجهت الخدمة الاجتماعية للعلاج الاسلامى لتنمى فكرة الانسان ، وتنظم سلوكه وتعدله وتحرك فى نفسه الأحاسيس والمشاعر ، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه الى السلوك الذى نظمت الشريعة الاسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل الى تنمية شخصية الانسان من جميع جوانبها فى انسجام وتكامل .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق التربية الاسلامية لعلاج المشكلات الإجتماعية فانها بذلك تستبدل العلاج الاجتماعى الغربى الذى لايناسب مجتمعاتنا الاسلامية ، بالعلاج الاسلامى الشرقى النابع من الدين الاسلامى متعمدة فى ذلك على مصدرين هامين هما القرآن والسنة وهما مصدرا الدين الاسلامى نفسه .

وحاولت الخدمة الإجتماعية أن تصنف أساليب العلاج الإسلامى الذى نقصد به التربية الإسلامية الى مجموعة أساليب علاجية مناسبة لشخصية الانسان بمكوناتها البنائية والوظيفية ، فاقترح الباحث الأساليب التالية :

١ - العلاج الاسلامى بتنمية العقيدة الدينية

٢ - العلاج الأسلامى بتنمية القيم الخلقية

٣ - العلاج الاسلامى بتنمية الفكر والعقل

٤ - العلاج الاسلامى بتنمية العلاقات والقيم الإجتماعية

٥ - العلاج الاسلامى بتنمية الجوانب والاتجاهات النفسيه

٦ - العلاج الاسلامى بتنمية الجوانب الصحية والجسميه

وفى الصفحات التالية يوضح الباحث بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة .

العلاج الاسلامى بتنمية العقيدة الدينيه

يقصد بتنمية العقيدة الدينيه التسامى بروح الانسان الى الأفق الاعلى من خلال القرآن والتوحيد والفقه والتفسير والسيرة النبوية والثقافية الاسلامية حتى تربى الأجيال على الاسلام ، وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله بكل ما فى هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ماتؤدى اليه من نتائج فى الحياة والعقيدة والعقل والتفكير . . العبودية لله هى التلقى من الله وحده فى أمر الدنيا والآخرة .. ثم هى الصلة الدائمة بالله فى هذا كله . وهذه الصلة فى الحقيقة هى منهج التربية كله ، تتفرع منه جميع التفريعات وتعود فى النهاية كلها اليه .. والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة .. والعبادة لاتقتصر على اللحظات القصيرة التى تشغلها مناسك التعبد . وما كان هذا هو القصد من الآية الكريمة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) . والا فما قيمة لحظات عابرة فى صفحة النفس وفى صفحة الكون ، لاتترك لها أثرا وتضيع فى الفضاء . انما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة ، قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه - فى كل لحظة - ما ينبغى ومالاينبغى أن يكون (٢) .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) محمد قطب . منهج التربية الاسلامية مصدر سابق ، ص ٣٨ .

وفيما يلى أساليب تنمية العقيدة الدينية التى تمثل القاعدة الرئيسية للعلاج الاسلامى :

١ — العلاج الاسلامى بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة اتقان تلاوته، وحسن فهمه ، وتطبيق تعاليمه، وهذا فيه العبودية والطاعة لله ، والاهتداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره، والخشوع له .

ويقول الامام الفخر الرازى(١) : « اعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، ذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة ، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد والارشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة ، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض. فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية . ويجب أن نوضح هنا أنه ليس معنى أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما أشبه ذلك شفاء أيضا كما يفهم ذلك بعض الجهال ، وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادىء التى تكفى لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا التزم بها الناس ظاهرا وباطنا »(٢) .

أى أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق

---

(١) تفسير الكبير . الامام الفخر الرازى . الطبعة البهية المصرية ، القاهرة ٢١/٢٤ .

(٢) د. مقداد يالجن ـ التربية الأخلاقية مصدر سابق . ص ١١١ .

الهدف الاسمى للعلاج الاسلامي(١) .

والاخصائي الاجتماعي الذى يطبق العلاج الاسلامي بالتربية القرآنية للأحداث المنحرفين يستطيع أن يحبب اليهم دراسة القرآن ، ويساعدهم على فهمه، عن طريق الانشطة والبرامج الدينية التى يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المتفقهين القادرين على أداء هذه المهمة الجليلة ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية ، بحيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث أن التربية بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامي لانحراف الأحداث ، وبذلك يهتدون إلى الطريق المستقيم، فيعبدون الله ويطيعونه ، ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له ، وينفذون أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج انحرافهم ويقوم سلوكهم، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون قوله تعالى : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»(٢). «وسيعرفون أن ارتكاب الفواحش، وهى الجرائم الإجتماعية، من شأنه أن يثير الاضطراب ويزيد الحقد فى العلاقات بين الأفراد والاضطراب والحقد فى العلاقات الإجتماعية من أشد العوامل فتكا فى تقويض المجتمع »(٣) .

٢ - العلاج الإسلامي باتباع الرسول ﷺ :

أما طريقة العلاج باتباع الرسول ﷺ ، فهى التى تعلم الأطفال القيام بالعبادات والمعاملات وكل شئون الحياة : على هدى هذا الرسول الذى أرسله ربه

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى: أصول التربية الاسلامية . مصدر سابق ص١١٥.

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١) .

(٣) د. محمد البهى ، « نحو القرآن » ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٩ ، ص ١١٣ .

ليطاع بإذن الله . فدروس الحديث والسيرة ، غايتها إتباع الرسول « ﷺ » لأنه مبين للقرآن ولتفاصيل شريعة الله عز وجل .

لقد كان رسول الله « ﷺ » أقدر الناس على تنمية العواطف الربانية والاعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ولذلك بعثه الله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج العلاجي الإسلامي ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (٢) .

والأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لتقويم إنحراف الأحداث فهو يحاول تغييرهم وعلاجهم من خلال أنشطة دينية تحتوي على دروس الحديث والسيرة النبوية التي يعدها لهم مستعينا في ذلك برجل من رجال الدين يساعده في تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التي تمكن الأحداث من فهم السيرة النبوية ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تعد خصيصا لذلك ، أو من خلال زيارات للمساجد في مواعيد الصلاة والدروس الدينية وبذلك يتيح لهم الفرصة للاستماع لتلك الدروس والأحاديث وهو معهم يشجعهم ويعاونهم ويبسط لهم بعض المعاني التي يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يدعم حب الرسول في قلوبهم فيهتدون بهديه ويتبعون تربيته بعد أن أحبوا الله واهتدوا بقرآنه .

٣ — العلاج الإسلامي بدروس التوحيد :

بعد أن يحقق العلاج الإسلامي باتباع الرسول أهدافه ، يأتي دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهي تبدأ من توضيح الهدف

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢١) .

الاسمى منها ، أى من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده ، وما هى الصفات الآلهية التى لا يجوز اسنادها لغير الله .

ومن خلال دروس التوحيد تربى العقيدة الإسلامية التى تتغلغل إلى أعماق الحدث ، وترتبط بكيانه وتكون مقوما ضروريا لطبيعته .. وليس فى مقدوره أن ينفصل بفكرة ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس ، .. وعندئذ يستشعر المرأ فى نفسه من الخضوع والاذعان لأوامرها والوقوع تحت تأثيرها بمقدار ما يتجلى له من حقيقتها وما ينكشف له من معانيها ، وأيضا بمقدار ما ينطبع عنها فى ذهنه من آثار ، وما يكون لها فى وجدانه من انفعال ، ثم ما يقوم لها فى قلبه من قداسة وإعتبار (١) .

ولكى تنجح دروس التوحيد فى تربية العقيدة الإسلامية للاحداث المنحرفين فلا بد أولا أن يستخدم الأخصائى الاجتماعى كل قدراته وأساليبه المهنية فى تكوين الرغبة فى الاعتقاد والاقتناع بكل جانب من جوانب العقيدة ، لأن الأحداث المنحرفين ان يؤثر فيهم ذكر أدلة الاعتقاد قبل أن تتكون لديهم ، الرغبة فى الاعتقاد والاقتناع الكامل بكل جوانبه .

ذلك أن من لا يرغب أولا فى الاعتقاد لا يعتقد ولو ذكرت له جميع الادلة العقلية والعلمية ، ولهذا لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا لا لعدم وجود الادلة وإنما لعدم رغبتهم فى الايمان(٢) . فقال تعالى : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا

---

(١) د. محمد بيصار ، « العقيدة والأخلاق وأثرها فى حياه الفرد والمجتمع » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، ص ١٤ .

(٢) التربية الأخلاقية الإسلامية : مصدر سابق ، ١٩١ .

ليؤمنوا » (١) ، كما قال سبحانه وتعالى : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها » (٢) وهذا ما يقرره الفيلسوف بسكال بقوله : (إن معرفة الإنسان لله تابعة لإرادة الإنسان لا لعقله) (٣) ويقول وليم جيمس مقررا ذلك أيضا : (فالرغبة فى نوع معين من الحقيقة هى التى توجد هنا ذلك النوع المعين منها) (٤) ذلك أن الأمر كما يرى وليم جيمس أن القوة الإرادية فوق القوة الإدراكية ولا تعمل إلا بمساعدة هذه القوة الإرادية (٥) ويقول وليم جيمس فى مكان آخر حول هذه الفكرة : (إن الرغبة فى شىء ما تخلق وجود ذلك الشىء وأن الرغبة فى حقيقة معينة معناها وجود لهذه الحقيقة والإعتقاد فى واقعة ما يساعد على خلق هذه الواقعة)(٦) .

والعقيدة الإسلامية هى اخلاص العبودية لله وحده ، فهى تعرف الإنسان بكل مقاصد العبادة والسلوك فى الحياة ، وتعرفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده .

هذا الجانب الاعتقادى من دروس الدين الإسلامى ، هو أهم وأول ما يجب الاهتمام به ، على أن تكون ثمراته ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة .

---

(١) سورة الأنعام : ١١١ .

(٢) سورة الأنعام : ٢٥ .

(٣) بسكال بقلم د. نجيب بدوى ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ص ١٥٥ .

(٤) العقل والدين . وليم جيمس ، ترجمة د محمود حسب الله ، عيسى البابلى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٤٩ ص ٢٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٠٧ .

(٦) وليم جيمس ، مرجع سابق ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٤٠ .

فيعرف الناشيء أنه يتعلم القرآن ويعظمه لأنه كلام الله . ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لتقويم السلوك المنحرف عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفقهين في الدين ، ليقدموا للأحداث المنحرفين دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم ، والأخصائي دائماً معهم في جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على استمرار الإستفادة منها ويبسط لهم ما يصعب عليهم فهمه وبذلك يستفيدون من هذه الفرص التي تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

٤ — تنمية العقيدة الدينية عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه فهي أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة الدينية ، فهي التي تربي السلوك الاسلامي الفردي والاجتماعي ، بما تقدمه للنشيء من قواعد تفصيلية ، مستقاة من القرآن والسنة ، لبيان أساليب العبادة والسلوك التي يرضاها الله في جميع شئون الحياة ، ولبيان نظم العلاقات الاجتماعية ، كما يأمرنا الله أن نحققها في كل إتصالاتنا بالآخرين . فيجب ربطها دائماً بهدفها الاسمي ، طاعة الله ، والاهتداء بهدى رسوله ، وتحقيق الخضوع والعبودية لله ، كما يريد الله .

ولكي تحقق دروس الفقه أهدافها العلاجية المطلوبة فإن الأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي لتقويم إنحراف الأحداث فانه يختار لهم من يقدم لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ويوصلها إليهم بطريقة محببة حتى يستفيدون منها أحسن استفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين في دروس الفقه فانه يخطط ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التي توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة مبسطة .

وهكذا تصبح العقيدة الدينية الأساس الذى تبنى عليه تربية حياة الناشىء المسلم من كل جوانبها ، لأنها تنمى عنده الحد الأدنى فى التصورات العقلية للاسلام عن الكون والحياة ، ومن العادات السلوكية ، والعواطف الاسلامية الربانية ، وعقيدة التوحيد ، وقواعد الشريعة ، وكلام الرسول « صلى الله عليه وسلم » وبذلك تتحقق الغاية النهائية للعلاج الإسلامى ، وهى انشاء جيل مسلم مطمئنا مقتنعا ، راغبا فى عبادة الله وحده وتوحيده شاعرا بعظمة شريعته وعدالتها الحقيقة التى لأعدال بدونها ولاسعادة بغيرها .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الاسلامى مع الأحداث المنحرفين فانها تسعى الى هدفين متكاملين فى آن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو تقويم سلوك الأحداث وعلاج انحرافهم ، والهدف الثانى على المدى الأبعد وهو بنـــاء الجيل المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للعلاج الإسلامى .

ومن الممكن ايجاز الأهداف التى يمكن للخدمة الاجتماعية تحقيقها عندما تطبق العلاج الإسلامى عن طريق تنمية العقيدة الدينية فيما يلى :

أيقاظ احساس الأحداث بقدرة الله خالق الكون كما يلى (١) :

أ - تشجيع ميلهم التلقائى الى استطلاع عجائب الكون التى تدل على عظمة الله وبديع خلقه .

---

(١) د عواطف ابراهيم محمد ، « وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال » طنطا ، دار سماح . طنطا القاهرة : ١٩٧٩ ، ص ٥٢ .

ب - بالاجابة عن أسئلتهم بصدق وامانة بأسلوب يتفق وسنهم .

جـ - بتشجيعهم على تربية الدواجن والحيوانات الأليفة حتى تتاح لهم فرص لملاحظتها وتتكاثر وتنمو وتموت .

د - كما يشجعهم على زراعة بعض النباتات ورعايتها لملاحظة تدرج نموها وتنوع محاصيلها .

والاخصائى الاجتماعى يتيح لهم هذه الفرص من خلال الأنشطة المختلفة التى يخططها ويصممها لهم لتحقيق هذا الهدف، وبذلك يكتسبون الكثير من الخبرات التى توقظ احساسهم بقدرة الله الخالق لهذا الكون .

تغذية النزعة الجمالية فى الأحداث كما يلى (١) :

أ - اتاحة الفرصة لاستمتاعهم بمشاهدات الطبيعة ومخلوقات الله التى تملأ قلوبهم ايمانا بالله خالق الجمال .

ب - بتذوقهم الفنون المختلفة التى تثير فيهم احساسا بالخالق ملهم البشر .

جـ - بتعبيرهم الحر (بالقصة والحركة والايقـــاع والرسم والتمثيل والأناشيد والادعية ، والتشكيل والموسيقى) عما يختلج فى نفوسهم من مشاعر ورغبـــات .

والاخصائى الإجتماعى عندما يطبق العلاج الاسلامى على الأحـــداث المنحرفين فانه يتعاون معهم فى وضع الانشطة والبرامج المختلفة التى تساعدهم فى ذلك ، فعن طريق برنامج الرحلات يستمتعون بعجائب خلق الله التى يلفت

(١) وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال مصدر سابق . ص ٥٣ .

الاخصائى الإجتماعى أنظارهم اليها أثناء هذا النشاط الحر ، وعن طريق البرامج الترفيهية يتخير لهم الأناشيد الدينية الممتعة ، ومن خلال التمثيليات المختارة يدعم الكثير من الاتجاهات الدينية ، ومن خلال المسابقات والمعارض المختلفة فى الرسم والتشكيل والموسيقى يغذى لديهم النزعة الجمالية ، فيحبون الجمال وتمتلىء قلوبهم ايمانا بخالق هذا الجمال . ومن خلال الاحتفالات والمناسبات الدينية تتفتح قلوبهم للعقيده الدينية .

تنمية الايمان بالله خالق الكون كما يلى . (١)

أ - بتعويدهم على دعاء الله كل صباح لشكره على نعمه عليهم .

ب - بتحفيظهم بعض السور الدينية التى تناسب أعمارهم وتفكيرهم .

جـ - بامتاعهم بقصص الأنبياء والرسل وبطولات المسلمين .

د - باحتفالهم بالمناسبات الدينية مثل غرة رمضان ، ليلة القدر ، العيدين ، هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، .. الخ .

والاخصائى الاجتماعى يستطيع تحقيق ذلك بالاتفاق مع المشرفين الموجودين بالمؤسسة سواء كانوا مشرفين ليليين أو نهاريين وكذلك بالاشتراك مع كل من ينفذ برامج المؤسسة وخاصة من لهم صلة بالبرامج والأنشطة الدينية .

استثارة عاطفة التراحم والشفقة نحو الفقراء والضعفاء كما يلى :

أ - باستماعهم الى قصص الرسل والانبياء وأبطال العرب التى تعطى العظمة العبرة .

---

(١) وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال . مصدر سابق ص ٥٣ .

ب - بزيارتهم لبعض المؤسسات الإجتماعية مثل المستشفيات والسجون ومؤسسات رعاية الطفولة المختلفة وتقديم الهدايا لنزلائها .

ج - بالتصديق بالمال والأطعمة والملابس فى المناسبات .

د - بمساعدة من يطلب منهم عونا يستطيعون أدائه ، واستضافة بعض نزلاء مؤسسات رعاية الطفولة للتعريف عليهم والاحساس بمشاعرهم (١) .

والخدمة الاجتماعية قادرة على تصميم البرامج والانشطة الكثيرة التى تحقق تلك الأهداف حيث أن الأخصائى الاجتماعى يتمتع باحترام وثقة العملاء الذين يسعى لعلاجهم ويحرص على تكوين علاقة الحب والمودة الصادقة بينهم والتى تجعلهم يستجيبون لكل توجيهاته ويحترمون تعليماته وارشاداته ، ويقبلون على تلك البرامج والانشطة بحماس كبير ورغبة صادقة ، فيقضون معه وقتا ممتعا يستغله الأخصائى الأجتماعى لتدعيم تلك الاتجاهات بعد أن أصبح الجو مهيئا للتأثير فيهم ، وعندئذ يصبح قادرا على تحقيق أهداف العلاج الاسلامى .

- والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى مع الأحداث المنحرفين يحاول اكسابهم خبرات تعليمية جديدة تهدف الى تدعيم القيم والمبادىء وتنمية المهارات وتكوين الاتجاهات السلوكية المرغوبة وبذلك يتمكن من احداث التغييرات المطلوبة فى سلوكهم .

٤ - وهكذا تحقق تنمية العقيدة الدينية الأهداف العلاجية المطلوبة حيث أنها تعتبر أهم أساليب العلاج الاسلامى .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥٣ .

العلاج الإسلامى بتنمية القيم الخلقية :

التنمية الخلقية هى التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد . . وهى المصباح الكاشف لمسالك الرشد والغى ، وهى المعيار الذى توزن به نوايا العاملين وبواعثهم ، وهى التوجيه المستمر لأعمال الإنسان على طريق الاستقامة .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التنمية الخلقية هى الوصول إلى المثل العالى من الخلق الكامل فى العادات ، والأحوال ، والآداب فى هذه الحيـــاه . . . وقد اتفق المربون والمصلحون أن سعادة الأمم لا تتوقف على كثرة دخلها ، ولا على قوة حصونها ، أو جمال مبانيها ، ولكنها تتوقف على عدد المهذبين من أبنائها ، وعلى رجال التربية والعلم والأخلاق فيها ، فهنا تكون سعادتها وقوتها ومقدرتها الحقة (١) .

والتنمية الخلقية كما جاءت فى الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الإنسان الخير الذى حدد الرسول « صلى الله عليه وسلم » شخصيته بأنه يصبح مفاتيح للخير مغاليق للشر»(٢) يتميز بالإنفتاح للخير عن حب للخير والاسراع إليه عن رغبة فيه والاجتناب للمعاصى عن كره لها لا إتباعا للعادة ولا خوفا من عقاب القوانين أو تعبير المجتمـــع ، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم كما جاء فى قوله تعالى « يحبون من

---

(١) محمد عطية الإبراشى : « روح الإسلام » دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٦٩ .

(٢) المقاصد الحسنة ، ص ١٢٩ رواه ابن ماجة والطليالسي .

هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، (١) ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون فى عمل الخيرات « أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » (٢)

من هذا كله يتبين لنا أن تكوين إنسان خير يتضمن من المعانى أكثر من مجرد تكوين إنسان كامل يراه بعض المربين (٣) ، أو الوصول بالإنسان إلى نبالة الخلق كما يراه البعض الآخر (٤) ، أو تكوين إنسان تام كما يراه آخرون(٥) ، لأن هذه الكلمات قد تفيد التخلق الظاهرى فحسب لا التخلق الباطنى أو روح التخلق ، كما تفيد كلمة الخير ، لأن الإنسان قد يتخلق بمظاهر الأخلاق ولا يتخلق بروح الأخلاق ، فالتخلق بروح الأخلاق مظاهرها معا هو الذى يجعل الإنسان خيرا ، أى يجعله يسعى للخير أينما كان ويفتح أبوابه إذا وجدها مقفولة ، ولا يكتفى بالكف عن الشرور وإنما يسعى باستمرار للحيلولة دون وقوع الشر ، كما يسعى لقفل أبوابها ونوافذها أينما وجدها مفتوحة (٦) .

- أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أرادها الإسلام فهى الوصول بالإنسانية الى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وقد أكد الرسول ﷺ صراحة أن حسن

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

(٢) سورة المؤمنون : ٦١ .

(٣) تهذيب الأخلاق ص ٤٠ . ابن مكسوية .

(٤) الأخلاق والسلوك فى الحياة ص ١٣٢ ، وليم مكدوجل ، ترجمة جبران سليم ابراهيم ، مكتبة مصر ، ١٩٦١ .

(٥) تهذيب الأخلاق ص ٥٦ وينسب إلى أبى زكريا يحيى بن عدى .

(٦) التربية الاخلاقية : مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

الأخلاق طريق سعادة الإنسان وسوء الاخلاق طريق شقائه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق » (١). تلك حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر فى حكمة الاخلاق الإسلامية والقيم تحملها ، وكذلك تجدها واضحة وصريحة فى كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية ، لما لها من قيم صحيـــة واقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية وفردية واجتماعية ، الأمر الذى يجعلنى أقول بكل تأكيد بأنه لا يمكن تحقيق السعـادة بدون اتخاذ هذه الأخلاق طريقا ومنهجا فى الحياة الفردية والإجتماعية معاً (٢) .

ويعلل الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة والأخلاق السيئة طريق الشقاوة بأن مبادىء الأخلاق الحسنة تحمل فى طياتها أسباب السعادة وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة فمن أسباب السعادة وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسيه والجسمية ، وإنعدام هذه الصحة يؤدى إلى التعاسة والشقاوة ، وهنالك علاقة بين الأمراض النفسية والجسمية . فإن كثيرا من الأمراض النفسية تؤدى مثلا إلى أمراض بيولوجية والعكس صحيح ، ويقـــرر ذلك كثير من العلماء الغربيين (٣) وإذا كان معظم الأمراض النفسية أسبابها الانحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلمـاء النفسيون ومنهم (هادفيك) الذى

---

(١) مسند الامام أحمد . الامام احمد بن حنبل ، المكتب الإسلامى للطباعة للنشر ، بيروت ، ٩ ١٩ ، ١٣٢/١ .

(٢) الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام . مقداد يالجن ، مصدر سابق مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠٧ ، ص ٣٥١ .

(٣) حامد عبد القادر) ، العلاج النفسى قديما وحديثا ، دار أحياء الكتب العربيه . القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٣٨ .

يقول فى هذا الصدد (كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى)[1] فان الاسلام قد قرر ذلك قبـل هؤلاء وبين العلاقة بين الانحراف الاخلاقى والامراض النفسية ثم بين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح فقال الرسول ﷺ « من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه »[2].

ولذلك فان العلاج الاسلامى الشافى لكل هذه الأمراض جاء واضحا صريحا فى القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التى لاشفاء بدونها فقال سبحانه وتعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا »[3].

وبعد أن عرفنا هدفى التنمية الخلقية البعيد والقريب فانه يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بين غايتها القريبة وغايتها البعيدة ، ذلك أنه اذا كانت غايتها القريبة تكوين انسان خير ، فان تكوين انسان خير هو الوسيلة الوحيدة للوصول بالانسانية الى السعادة . اذن فان هدف التنمية الأخلاقيـة الاسلامية القريبة طريق وحيد لتحقيق غايتها البعيدة وهى تحقيق السعادة للمجتمع الانسانى[4].

أن التربية الاسلامية توجب علينا أن نذكر دائما أننا لسنا فى حاجة الى العلم فحسب ولكننا فى حاجة الى التنمية الخلقية ، فى حاجة الى الأخلاق الفاضلة فقال الرسول « صلى الله عليه وسلم » « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقد خاطب

---

(١) توفيق الطويل « الفلسفة الخلقية » ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٤٦٨ .

(٢) منتخب كنز العمال فى هامش مسند الامام احمد ١ / ٢٥٨ .

(٣) سورة الاسراء : ٨٢ .

(٤) التربية الأخلاقية الاسلامية . مصدر سابق . ص ١٢٤ .

الله الرسول « صلى الله عليه وسلم » بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » (١) وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه للرسول الكريم : « لقد طفت العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما رأيت ولاسمعت مثلك أحدا ، فمن أدبك ؟ قال الرسول « صلى الله عليه وسلم » : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ان روح الاسلام هى الأخلاق الفاضلة الكاملة التى تستدعى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى كل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقى الله حق تقاته ، ويفكر دائما فى النواحى الانسانية ، والأغراض النبيلة الاسلامية ، ويبتغى كل عمل ارضاء لله ، ويدعو الى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعيش أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البرى والتقوى ، ولايتعاون على الاثم والعدوان ، ويخلص فى أفعاله وأقواله الاخلاص كله (٢) .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمين » (٣) .

أن روح الاسلام تتطلب الايمان الكامل بالله ، والاتجاه الى الله بالقلب واللسان ، والعمل الصالح ، وتطهير النفس ، وترك الأمور كلها لله ، والثقة التامة به ، فقال سبحانه وتعالى : « بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤) . كما قال سبحانه وتعالى : « من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل

---

(١) سورة القلم آية .
(٢) روح الاسلام . مصدر سابق . ص ٧١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ .
(٤) سورة البقرة : ١١٢ .

الصالحات من ذكر وانثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . ومن أحسن دينـا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، (١) .

وهكذا نرى أن الاسـلام يوجب علينا تربية الخلق ، وحسن السلوك ، وتهذيب الارادة ، وتمييز الغث من السمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يربى رجالا كرمى الأخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى أقوالهم وأفعـالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، صفاتهم الحكمة والفضيلة ، والأدب والاخلاص والطهارة .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى لعـلاج انحراف الاحداث الذين انحرفت أخلاقهم ، وفسدت طباعهم ، يحاول اصلاح مافسد ، وتقويم ما انحرف عن طريق التنمية الخلقية التى تسعى الى تثبيت القيم الاخلاقية الاصيلة التى توارثتها الأمة الاسلامية جيلا بعد جيل ، مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذى بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، وازالة ماتراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى ، قديما وحديثا ، فالسخاء والإيثار ، والحياء ، والصبر على المكاره ، والثبات فى الشدائد والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والاحسان الى الجار ، واكرام الضعيف ، واغاثة الملهوف ، والصدق فى القول ، والأمانة فى العمل . والعدل فى الحكم ، والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، واعطاء كل ذى حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال فى كل شىء . . الى غير ذلك من فضائلنـا العظيمة الاصيلة يجب أن تسود وتبقى وتعمق جـذورها وتمتد

فروعها (١) .

والخدمة الإجتماعية تسعى لتحقيق ذلك من خلال تطبيقها العلاج الإسلامى عن طريق القدوة الصالحة التى يلمسها الأحداث المنحرفين فى الأخصائى الإجتماعى الذى يحاول علاجهم ويحرص على إكتساب ثقتهم ومحبتهم ، ويخطط ويصمم لهم البرامج والأنشطة التى تدعم تلك الفضائل ، كما يهىء لهم الفرص للاشتراك فى بعض الندوات وحضور بعض المحاضرات ، وأداء بعض التمثيليات أو مشاهدتها ومن خلال القصص والحكايات يستطيع الأخصائى الإجتماعى ابراز تلك القيم الأخلاقية واكسابها لهؤلاء الاحداث وبذلك يحى قلوبهم ، ويوقظ ضمائرهم ، وهى أعظم رادع عن الشر ، وأكبر حافز على الخير وأقوى مدد لمكارم الأخلاق .

ويرى الباحث أن التنمية الأخلاقية كأهم أسلوب من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يقترحها الباحث كما يلى :

١ ـ التنمية الخلقية بتكوين العادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة تكرار الفعل والمواظبة عليه . ولعل ذلك هو الملاحظ عند هؤلاء الذين عرفوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يراد تحويل الإنسان من خلق ذميم إلى خلق آخر حميد ، أو يراد تكوين خلق معين له لم يكن موجودا من قبل ، يحمل الإنسان على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار ، مع استعمال وسائل الاغراء والترغيب ، التى من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد ، والاقبال على ممارسته برغبة صادقة وميل

---

(١) يوسف القرضاوى . الحل الإسلامى فريضة وضرورة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧ ، ص ٤٧ .

أكيد واستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرته منه وابتعاده عنه ميلا ورغبة ، بل طبيعة وخلقا . وبالمواظبة على هذا التكرار ، والمداومة على هذا الفعل الجيد ، يصبح إتيانه وممارسته عادة لازمة ، وطبعا دائما . أى يصير خلقا له (١) .

ويصدر عنه تلقائيا من غير أن يسبقه تفكير وتقدير ، بحيث يكون انطباعا من انطباعات النفس ، وحالاتها ، تحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية (٢) .

والاسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية ، فيحول الخير كله إلى إلى عادة ، تقوم بها النفس بغير جهد ، وبغير كد ، وبغير مقاومة (٣) .

ويتضح ذلك من قول الامام الغزالى فى تعريف الخلق : (هيئة للنفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر أو روية) (٤) كما عرفها ابن مسكوية بأنها (حال للنفس داعية لها إلى افعالها من غير فكر ولا روية) (٥) .

وقد بدأ الاسلام - وهو ينشأ فى الجاهلية - بإزالة العادات السيئة التى وجدها سائدة فى البيئة العربية . واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل ، وإما التدرج البطىء حسب نوع العادة التى يعالجها ، وطريقة تمكنها من النفس (٦) .

---

(١) العقيدة والأخلاق . مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .
(٢) العقيدة والأخلاق . مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .
(٣) منهج التربية الإسلامية . مصدر سابق ، ص ٤٢٦ .
(٤) احياء علوم الدين . الامام الغزالى . جـ ٣ ص ٢٩ .
(٥) تهذيب الأخلاق . مصدر سابق ، ص ٢٥ .
(٦) منهج التربية الاسلامية مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .

فالقطع الحاسم استخدمه الاسلام بالنسبة للعادات التى تتصل بالعقيـــدة والارتباط المباشر بالله مثـل الشرك بكل عاداته لأنه لايمكن أن يستقيم إيمان وشرك وعبادة لله وعبادة لغيره من الكائنات ، وكذلك بالنسبة لو أد البنات ، أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر .. الخ من مثل هذه الأمور التى تشبه الأورام الخبيثة التى لاعلاج إلا بالحسم والبتر من أول لحظة ، بضربة قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدرج البطىء فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الإجتماعية التى لم تكن عادات فردية بقدر ما كانت عادات منتشرة فى المجتمع ومن أمثلتها : الخمر والزنا والميسر والرق والربا .. الخ وكلها عادات لايمكن منعها دفعة واحدة ولا تستطيع أى نفس أن تحسم موقفها منها فى لحظة .

لذلك إستخدم الإسلام معها التدرج على مراحل ودرجات أو تأخر تحريمها حتى يكتمل نمو المجتمع الإسلامى ، وقد إتضح لنا ذلك جليا عندما عالج القرآن عادة شرب الخمر التى كانت من أكثر عادات الجاهلية إنتشار وتمكنا من نفوس العرب ، ولم يكن من الممكن إستخدام الحسم القاطع معها ، والتدبر قول الله سبحانه وتعالى وتدرجه فى الآيات التالية : «تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا»(١). (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما »(٢) ، « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »(٣) « إنما الخمر والميسر الأنصاب والأزلام رجس من عمـــل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

---

(١) سورة النحل : ٦٧ . (٢) سورة البقرة : ٢١٩ .
(٣) سورة النساء : ٤٣ .

تفلحون »(١) .

من هذه الآيات الكريمة نرى كيف تدرج الإسلام فى علاج هـذه المشكلة الإجتماعية الخطيرة، فبدأ باشارة ذكية لتحريم الخمر فصل فيها بين السكر والرزق الحسن ، ثم كانت مرحلة التفاعل الوجدانى والإقتناع العقلى التى تزحزح النفس عما تحبه ، وتحولها عما تألفه من عادات ، ثم جاءت المرحلة الثالثة التى حرمت السكر فى أوقات الصلاة ، وأخيرا كانت المرحلة الحاسمة التى تحتاج إلى التحريم القاطع بعد أن تم تهيئة العقول وإقتناعها وتنقية النفـوس وتنظيفها واستحياء القلوب وتطهيرها .

وبنفس الطريقة تم علاج الزنا ، حيث بدأ بالنصيحة ثم تدرج إلى التهديد بالعقوبة ثم تطور تقرير عقوبة مجملة وأخيرا قرر عقوبة مفصلة محددة .

كما تدرج من عدم اكراه الفتيات على البغاء إلى إباحة زواج المتعة ، إلى تحريم البغاء وتحريم زواج المتعة كليهما ، والخلوص إلى إغلاق كل الطرق فيما عدا الزواج المؤبد الدائم المعقود باسم الله وبنية الدوام(٢) .

أما بذر العادات الصالحة فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل . فمثلا بالنسبة للعادات النفسية كالصدق ، والوفاء ، والمحبة ، والعطف ، والبـذل والايثار .. فقد لجأ الاسلام فى ذلك أولا إلى اثارة الوجدان وإنشاء الرغبة فى العمـل . ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعى ذى صورة محددة واضحة السمات ، فيلتقى الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكاتفان : رغبة وسلوكا . ثم يحول الرغبة والعمل فى مسألة

(١) سورة المائدة : ٩٠ .
(٢) منهج التربية الإسلامية نفس المصدر ، ص ٢٤٩ .

فردية إلى رباط إجتماعي[1] .

هكذا بعد أن رأينا كيف تدرج الإسلام فى منع العادات المذمومة نرى كيف يتدرج فى تكوين العادات الصالحة كوسيلة من وسائل العلاج الإسلامى التى تبدأ بإثارة الوجدان وتحريك المشاعر ، بهزات وجدانية محببة ، تهز النفس وتنقلها من شعور إلى شعور ومن حالة إلى حالة بحيث تصبح على إستعداد للتغيير وعندئذ يعمل الإسلام على إنشاء الرغبة فى العمل التى يسارع إلى تحويلها إلى عمل فعلى واقعى يرتبط فيه الإنسان بواقعه الاجتماعى ، ثم تصبح عادة من عادات الإسلام .

فالصلاة رغبة فى الإتصال بالله والدعاء اليه وطلب المعونة منه فيحول هذه الرغبة إلى عمل محدد ذى مراسم وحدود ثم يطمها فى أوقات محددة . ثم يدعو إلى الجماعة ويحبب إليها .

والزكاة رغبة فى التحرر من الشح ، والعطف على المحتاج والتعاون مع الجماعة . فتتحول الرغبة إلى عمل ظاهر محدد . ذى نسبة معينة فى المال وأوقات معينة فى الأداء . ثم يحول العمل الفردى إلى نظام تقوم عليه الدولة والمجتمع[2] .

والأخصائى الإجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى تعديل سلوك الأحداث المنحرفين يسعى جاهدا لتنمية إخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ويحرك وجدانهم ويوجد الرغبة لديهم ثم يحول هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلا عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصا لذلك فمثلا إذا أراد أن يكون عادة الأمانة

---

(١) منهج التربية الإسلامية . مصدر سابق ص ٢٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥١ .

لحدث منحرف فإنه يساعده على ممارستها من خلال بعض الأدوار فى تمثيلية معينة رسم فيها دور الأمين بصورة متقنة، ويحاول تكرارها يوميا، ثم بعدذلك يعطيه مكانة معينة بين زملائه يكون من صفاتها الأمانة مثل أمين صندوق جماعة من جماعات النشاط، ويصبح أمينا على أموالها أو يقف بجانبهالأخصائى الإجتماعى مشجعا تارة ومعلما تارة أخرى حتى تصبح الأمانة عادة من عاداته تكونت بالممارسة والاعتياد، وبكثرة التكرار، والمداومة على هذا الفعل الحميد، إلى أن تصير الأمانة خلقا له يصدر عنه تلقائيا من غير أن يسبقه تفكير وتقدير.

كما أن الأخصائى الإجتماعى قد يطلب من أحدهم أن يلقى كلمة عن الصدق فى برنامج ثقافى بالمؤسسة بين مجموعة من زملائه ثم يجعله يكررها باستمرار بين المجموعات الأخرى أو يلقيها كل صباح بين زملائه .. ثم يعطيه بعد ذلك دورا فى تمثيلية مختارة يكون فيها الصادق الذى لا يكذب، ويكرر هذا الدور بصفة مستمرة أثناء الاعداد ثم أثناء الاحتفال .. ثم يختار له بعض القصص التى تهدف إلى تدعيم الصدق والترغيب فيه وهكذا يطبق الأخصائى الإجتماعى تكوين العادة على الفضائل الأخلاقية كلها بنفس الطريقة وبذلك يصل إلى هدف التنمية الأخلاقية وهو تكوين العادات الأخلاقية الصالحة.

٢ - التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

إن القدوة الحسنة تعتبر من الأساليب الهامة للعلاج الاسلامى التى تهدف إلى إزالة الخلق السيء [1] ويرى الامام الغزالى أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك

---

(١) الأخلاق عند الغزالى . د زكى مبارك ، المكتبة الرحمانية بمصر ، بدون، ص ١٦٥ .

تعليقا على قوله علية الصلاة والسلام : « حسنوا أخلاقكم » لو لم يكن ممكنا لما أمرنا الرسول «ﷺ» به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب ، فان الأفعال نتائج الأخلاق .

والعلاج الإسلامي بالقدوة الحسنة هي التي غرست أخلاق الإسلام في النفوس عندما إقتدوا برسول الله « ﷺ » ، « وكم فشل فلاسفة ومفكرون تخيلوا مناهج للتربية وخططوا مدنا فاضلة ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالا هائما ، وتصورا عقليا ، لم يتحول إلى واقع أبدا .. وحين أنزل الله كتابه لم ير أن يكون نظرية تحفظ ، وانما أراد أن يكون سلوكا يترجم في واقع الحياة فاختار من بين الناس محمدا ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظمة للانسانية كلها »(١)

لقد اختار الله الرسول « ﷺ » عن علم كما قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »(٢) واختاره بعـــد أن رباه وأدبه .. « أدبني ربي وأحسن تأديبي »(٣) . ولذلك كانت حياته مشرقة مضيئة لا يخفى منها شيء حتى يكون الاقتداء به على أتم وجه وأكمله . « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٤) .

يقول سليمان الندى في كتابه الرسالة المحمدية « إذا كانت غنيا مثريا فاقتد

(١) عبد الفتاح عاشور ، « منهج القرآن في تربية المجتمع » مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩ ، ص ٢٣٧ .
(٢) الأنعام : ١٢٥ .
(٣) رواه ابن السمعاني في أدب الإسلام عن ابن مسعود رضي الله عنه .
(٤) سورة الأحزاب : ٢١ .

بالرسول « ﷺ » عندما كان تاجرا يسير بسلعته بين الحجاز والشام وحين ملك خزائن البحرين .. وإذا كانت فقيرا معدما فلتكن لك أسوة به وهو محصور فى شعب أبى طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا ..

وإذا كانت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك العرب وغلب على آحادهم ، ودان لطاعته عظماؤهم .. وإذا كنت رعية ضعيفا فلك فى رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوما بمكة فى نظام المشركين .. وإن كنت فاتحا غالبا فلك فى حياته نصيب أيام ظفره بعدوه فى بدر وحنين ومكة .. وإن كنت مهزوما لا قدر الله ذلك فاعتبر به فى يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفاقه المثخنين بالجراح .. وإن كنت معلما فانظر إليه وهو يعلم أصحابه فى المسجد .. وإن كنت تلميذا متعلما فتصور مقعدة بين يدى الروح الأمين جاثيا مسترشدا .. وإن كنت واعظا ناصحا ومرشد أمينا فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوى .. وإن أردت أن تقيم الحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف لا ناصر ينصره ولا معين يعينه ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلن به .. (١) .

« وأيا ما كنت وفى أى شأن كان شأنك فانك مهما أصبحت وأمسيت على أى حال بت أو أضحيت فلك فى حياة محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة ، تضىء لك بنورها دياجى الحياة ويتجلى لك بضوئها ظلام العيش (٢) .

هذا المثل الرفيع الذى تمثل فيه كتاب الله وهديه شع نورا فى القلوب

---

(١) سليمان الندى . الرسالة المحمدية ، ص ٩٢ ، ص ٩٥ .

(٢) سليمان الندى . نفس المصدر ، ص ٩٥ .

فارتبطت به ، وأحبته من كل نفسها وضحت بما تملك فداء لرسالته مما يبين أثر القدوة الحسنة فى النفوس ، وكيف كانت دعامة قوية فى تربية المجتمع على مبادىء الإسلام حتى صار المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

إن أسلوب التربية الخلقية بالقدوة الحسنة كأسلوب هام من أساليب العلاج الاسلامى هو الذى عالج أمة كادت تموت فأحياها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بروح القرآن فإذا هى تبعث من جـــديد ، تنفض غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير زاد وأجمل طريق وأروع مسلك . وصدق قول الله فى رسوله الحبيب « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »(١) .

« لقد زكاهم هذا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الوهدة الهابطة والضياع القاتل إلى القمة العالية ، فإذا بالأمة الأمية رائدة وقائدة تفيض حكمة نابعة من الكتاب الخالد . . الذى بعثها وأحياها وقد كانوا من قبل فى ضلال مبين »(٢) .

هذا العلاج الإسلامى الذى تحاول الخدمة الاجتماعية تطبيقه فى علاج الأحداث المنحرفين بهدف تعديل سلوكهم وتقويم إنحرافهم عن طريق التنمية الخلقية بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة بالقدوة الحسنة تارة أخرى ، لا يستطيع تطبيقه إلا الأخصائى الإجتماعى الذى يعرف الآثار والأسس التربوية للقدوة الحسنة وعندئذ يعرف جيدا أن حياة الأخصائى الإجتماعى المسلم -

---

(١) سورة الجمعة : ٢ .

(٢) منهج القرآن فى تربية المجتمع مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

الذى يطبق العلاج الاسلامى لحل مشكلات المجتمع — هى حياة الداعية إلى الله بحيث يكون فى قدوة أمام عملائه ، فيتحلى بأفضل الأخلاق ، يستلهمها من القرآن ومن سيرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ويصبر على تطبيقها والتحلى بها ، وقد جعلها الاسلام القدوة الدائمة لجميع الاخصائيين الإجتماعيين قدوة متجددة على مر الأجيال ، متجددة فى واقع الناس ، والاسلام لا يعرض هذه القدوة للاعجاب السالب والتأمل التجريدى فى سبحات الخيال ، بل يعرضها عليهم ليحققوها فى ذوات أنفسهم : كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس ، وكل بقدر ما يستطيع أن يطبق وكل بقدر ما يصبر على الصعود (١) .

وبذلك يصبح الأخصائى الإجتماعى بما تعلمه من أخلاق الرسول قدوة أمام الأحداث الذين يحاول علاجهم ، فإن كان صادقا فيستعملون الصدق ، وإن كان مؤمنا صالحا سيتعلمون الصلاح والإيمان ، فالأخصائى الاجتماعى المسلم يجب أن يكون خلقه القرآن وغذاءه الآذان ، وصفاته التقوى والإيمان .

والأخصائى الإجتماعى المسلم عندما يقتدى بالرسول « صلى الله عليه وسلم » ويصبح مثلا طيبا وقــدوة صالحة أمام عملائه سيصبح من الداعين إلى الله « والدعون إلى الله أينما كانوا محفوظون ـ كما وعد الله ـ برعايته وعنايته ، فليعتصموا بحبله ، وليثقوا بنصره (٢) ، والله غالب على أمره » .

---

(١) أصول التربية الاسلامية . مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

(٢) الامام محمود شلتوت . من توجيهات الاسلام ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ٣٤ .

٣ ـ التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترغيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية في دعوتها ، فرغبت بالثواب الجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار ، « والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع في الثواب المؤجل ، أرقى من الخوف والطمع في الأشياء العاجلة لأنه يعتمد على مبادىء عقلية وفضائل نفسية وخصائص إنسانية ، فالعاقل لا يبيع الحاضر بالغائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة ، إلا إذا فكر في عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة في العاقبة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما في يده ، وكان له من قوة الضمير ، وضبط النفس ما يدفع عنه منتظر المغريات (١) .

« إن القدوة الصالحة قد لا ترتقي إليها بعض النفوس ، فتظل غافلة جاهلة لا تتأدب بأدب ، ولا تنتهي عند فكر .. فهل من محــرك يثير هذه النفوس الراكدة ، ويدفعها إلى التخلق بأجمل الصفات ؟ هنا تأتي الموعظة التي تطرق القلب وتشد رغائب الانسان ، وترتقي به إلى أعلى منزلة ، وتهديه إلى الخير ، وتبين له مزاياه ، وتفرغ مشاعره ، وتضعه في موقف الخوف والرهبة وتصهره بكل ألوان التعذيب والتضييق والتنكيل ، وتذكره بما ينتظره في يوم آت قريب ، إذا ما وقع في الشر وأصر عليه ، فتطابق القدوة بما ترسمه في شخص القائد من الالتزام بالخير ، والبعد عن الشر ، وما يدعو عليه من شارات الهداية والنور ، مع التربية بالمواعظ والتذكير ، واستثارة العزائم ودفعها بالخوف والرجاء ، وبالقدوة والموعظة يتربى الإنسان على الأخلاق الفــاضلة » (٢) . وكتاب الله حافل بهذا

---

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية . مصدر سابق . ص ٧٢ .

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٤٩ -

اللون من التنمية الخلقية فقد قال تعالى : « وهدى وموعظة للمتقين » (١) ، « هدى وذكرى لأولى الألباب (٢) ». والرسول - صلى الله عليه وسلم - مأمور بهذا التذكير فقد قال تعالى : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (٣) ، وقال تعالى « فذكر إنما أنت مذكر » (٤) . لذلك لا تجد خلقا حميدا إلا وحث عليه القرآن ، ولا تلقى خلقا سيئا إلا نهى عنه ، وفى كل ذلك لا ينسى قاعدته الكبرى التى قام عليها كل أوامره ونواهيه ألا وهى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وبين الجنات ، والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والنعاسة فى الآخرة ، والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشقاء فى الدنيا ، والتعاسة فى الآخرة .. وبين هذا وذاك يضرب القرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ومن هناك بالرجاء ، فتصدر عنه أنغاما متناسقة ليس فيها نغمة نشاز ، إنما هو الأحكام فى كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر (٥) .

إن التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب قد تنجح فى تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع العلاج أثرا ، وأسرعها تقلبا ، وأقلها ثباتا وأبعدها عن القيم الإنسانية .

ولذلك فإن هذا الأسلوب العلاجى لا يستخدم إلا بعد محاولات متكررة بشتى الأساليب الأخرى وعندئذ يصبح هذا الأسلوب مناسبا لتلك الفئة التى لم

---

(١) آل عمران : ١٣٨ .
(٢) سورة غافر : ٥٥ .
(٣) الذاريات : ٥٥ .
(٤) الغاشية : ٢١ .
(٥) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

تستجب لأساليب التنمية الخلقية الاخرى لأن هناك درجات متفاوتة لدرجات من الناس ، فمن الناس من تكفيه الاشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف . ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح . ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ . ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم (١) .

والإسلام يتبع جميع الوسائل العلاجية فلا يترك منفذا فى النفس لا يصل إليه أنه يستخدم القدوة الموعظة ، والترغيب والثواب ، ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ .

فهو مرة يهدد بعدم رضاء الله ، وذلك أيسر التهديد وإن كان له فعله الشديد فى نفوس المؤمنين : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » (٢) .

ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء فى حديث الافك) وتلك درجة أشد : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين (٣) .

(١) منهج التربية الاسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦ .
(٢) سورة الحديد : ١٦ .
(٣) سورة النور : (١٤ - ١٦) .

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (١).

ومرة يهدد بعقاب الآخرة : «والذين لايدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا » (٢) .

ثم يهدد بالعقاب فى الدنيا : « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » (٣) . « وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما » (٤) ، « وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة » (٥) « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » (٦) . ثم يوقع الله العقاب « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (٧) ، « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا » (٨) .

وهكذا يعالج الإسلام بالعقاب فى الحالات التى لا تعالج الا بالعقاب ، والقرآن قد اوضح لنا الخطة المحكمة للتنمية الاخلاقية حتى تتكون العادات الخلقية الصالحة .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لتعديل سلوك الاحداث

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩ . (٢) سورة الفرقان : ٦٨ - ٦٩ .
(٣) سورة التوبة : ٣٩ . (٤) سورة الفتح : ١٦ .
(٥) سورة التوبة : ٧٤ .
(٦) سورة التوبة : ٥٥ .
(٧) سورة النور : ٥٢ .
(٨) سورة المائدة : ٣٨ .

المنحرفين قد يلجأ أحيانا إلى هذا الأسلوب كمحاوله أخيرة لتقويم الانحراف وتنمية الاخلاق ، وخاصة وأن هناك صنف منهم لاينصلح حالة إلا عن طريق الرغبة حينا والرهبة احيانا أخرى ، وأنه لابد فى اصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب . والأخصائى الإجتماعى عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج الاحداث المنحرفين فانه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية ويعرف قدراتهم وإمكانياتهم ومدى استعدادهم وطرق التربية التى شبوا عليها ، وعندئذ يختار الأسلوب العلاجى المناسب لكل فرد منهم . فليس من الضرورى ان يطبق كل اساليب التنمية الخلقية على الجميع وليس من الضرورى ان يطبق كل اساليب العلاج الاسلامى عليهم ، بل يختار منها ما يراه مناسبا للتأثير فى كل فرد على حده حتى ينجح فى تغييرهم ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم إنحرافهم ثم يعمـــل على تكوين العادات الأخلاقية الصالحة .

والتنمية الخلقيـة ما هى إلا أحد أساليب العـلاج الإسلامى . والترغيب والترهيب ما هى إلا أحد أساليب التنمية الخلقية ، وكل هذه الأساليب تتعاون وتتفاعل وتتكامل لتحقيق أهداف العلاج الإسلامى .

والخدمة الإجتماعية ستحاول تطبيق كل هذه الأساليب فى علاج الأحداث المنحرفين حيث أنها اقتنعت بالعلاج الإسلامى فقد يكون فيه الأمل والرجاء ليصبح أسلوب الخدمة الاجتماعية فى عـلاج المشكلات الإجتماعية وستكون المحاولة الأولى فى مؤسسات الاحداث المنحرفين فى محاولة لتقـويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

٤ ـ التنمية الأخلاقية بالأضداد :

إن طريق التنمية الاخلاقية وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية هو أحد أساليب العلاج الإسلامى لكثير من الانحرافات والمفاسد الخلقية . وقد نجح هذا الأسلوب فى علاج الاجسام عندما تعالج الحـــرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة .. الخ .

فإن الاخلاق تنمى وتهذب أيضا بأسلوب الأضداد . وقد أشار الى هـذا الأسلوب العلاجى الأمام الغزالى عندما قال : «وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لاتعالج الا بضدها ، فان كانت من حرارة فبالبرودة ، وان كانت من برودة فبالحرارة . فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب ، علاجها بضدها : فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخى ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا . وكما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر ولمداواة مرض القلب بل أولى ، لأن مرض البدن يخلص المرء منه بالموت، بخلاف مرض القلب فانه يدوم ، وكما أن كل مبرد لايصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولا بد من معيار يعرف به مقدار النافع منه ، فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد . فكذلك الاضداد التى تعالج بها الأخـــلاق لابد لها من معيار »(١) . وكما أن الطبيب البشرى لايستطيع ان يعالج المريض بالسخونة الا اذا عرف درجة حرارته ويفحص سائر بدنه ، كما أن عليه أن يعرف بيئته وعمله .. فربما ارتفاع حرارته أو

---

(١) احياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ص٦٤ ، ٦٠ .

انخفاضها راجع الى طبيعة صناعية ، أو مناخ بيئية ، أو نواح اخرى اجتماعية ، فبالمثل بالنسبة للعلاج الإسلامى فلا يقتصر على نمط واحد من الرياضة النفسية ، يعمم على كل طالبي العلاج .. فلربما اتبع المعالج طريقا معينا كان من أسبابه تلف نفسية طالب العلاج ، وماتت فى نفسه الرغبة فى العلاج ، وذلك من كثرة الاوامر والنواهى اذ يجب ان ينظر المعالج الى حال المريض وسنه ومزاجه وعمله وما يمكن ان يحتمله وما لايحتمله من تجارب ، وهذا رهن بقدراته واستعداداته قبل أن يبدأ فى العلاج » (١) .

والنفس طبيعة لاتصدق فى طلبها ، وإنما غايتها أن تحقق ما فيـــه لذتها ، وما يستجلب — فى زعمها — منافعها .. لذلك فان العمل بضدها هو الطريق الى الصحة النفسية .

والحب من خصائص النفس البشرية ، وربما تحب شيئا وفيه شرها ، وربما تكره شيئا وفيه خيرها ، وما أحبت النفس شيئا الا كان صاحبها عبدا له ، ينقاد اليه ، ويعمل لارضائه ، الا أن الله تعالى لايحب ان يحب غيره ، ولا يرضى عن الغافل عنـــه ، الذى غرته الامانى ، وغره بالله الغرور ، وفى ذلك يقول (الجنيد) : « انك لن تكون على الحقيقة عبد الله .. وفيك شيء مازال مسترق (عابد) لغيره ، وانك لن تصل الى الحرية ، وعليك حقوق الله فى عبوديتك ، فالمدين مدينا مابقى عليه درهم . ومحبة الشيء تلزمه العبودية له . فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى لعـلاج الأحـداث المنحرفين عن طريق تربية الاخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية ، فانه

(١) عبد المجيد الشرنوبى ، شرح الحكم العطائية ، ص ٨٢ .

يسعى إلى تعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم ، ورد انحرافاتهم عن طريق هـذا الأسلوب. فالحدث المتهم بالسرقة يعالجه بالأمانة وذلك بأن يطلب منه الاحتفاظ له ببعض الأشياء ويأتمنه عليها ، ثم يحمله مسئولية امانة صندوق احدى جماعات الأنشطة بالمؤسسة أو يحمله مسئولية الانفاق على رحلة من الرحلات والتصرف فى ميزانيتها أو يؤمنه على بعض عهدة المؤسسة ويكلفه برعايتها أو يشركه فى بعض الأنشطة الفنية مثل التمثيل إن كان لديه استعداد لذلك ويسند اليه دور الأمين الذى يثق فيه الناس فى تمثيلية مختارة رسم أدوارها بدقة وعناية ، وكل ذلك والأخصائى الإجتماعى بجانبه يساعده تارة ويشجعه أخـــرى ، حتى تصبح الأمانة عادة خلقية وباستمرارها تصير جزء من تكوينه وصفه من صفات شخصيته .

وهكذا يعالج الأخصائى الإجتماعى مفاسد الاخلاق بأضدادها ، فالحدث الجبان الخائف يعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة ، والحدث الكاذب يعالج بالصدق ، والحدث الذى يشعر بالإضطهاد والظلم فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة من خلال علاقة المحبة الصادقة التى تكونت بينه وبين الأخصائى الإجتماعى ومن خلال المحبة التى يساعده الأخصائى الإجتماعى على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة، وبذلك يستبدل الخوف بالأمن، والكراهية بالحب، والسلبية بالإيجابية ، والشر بالخير ، والالحاد بالايمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتهذب ويصبح الحدث المنحرف حسن الطباع طيب الاخلاق ويعود إلى فطرته السليمة التى خلقه الله بها ، وينجح العلاج الإسلامى فى الاخذ بين المنحرفين الأحداث وتوجيههم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهدى والحب والايمان .

العلاج الإسلامى بالتنمية العقليـة :

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامى ، وحيث ان العقل البشرى طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه « قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ماتشكرون »(١) (والفؤاد) يستخدم فى القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية فى الانسان أو القوة المدركة على وجه العموم »(٢) . ولذلك كرم الله الانسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة منها القدرة على التعلم ، تثقيفا لهـذا العقـل وتسـديدا لتفكيره وأحكامه ، ولهذا جاء الاسلام يحض على النظر العقلى والتفكير حتى جعل التفكير والتعلم فريضتين اسلاميتين (٣) ، ولذلك كان الدين الإسلامى دين علم ونور ، لادين جهالة وظلمة، فأول آية نزل بها الوحى، فيها أمر الرسول بالقراءة وتكرير لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم الذى تم اسناده إلى الله : اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم »(٤) .

الاسلام دين الفطرة الذى يحترم الطاقات البشرية كلها ، ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية ويشجعها ، ويربيها لتتجه فى طريق الخير ، ويبدأ الاسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبات التى لاسبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها . وهو يعطى الانسان نصيبه من هـذه

---

(١) سورة الملك : ٢٣ .
(٢) منهج التربية الاسلامية ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .
(٣) الحل الاسلامى ضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، ص٥٠ .
(٤) سورة العلق : ١ - ٥ .

الغيبيات ، بالقدر الذى يلبى ميله للمجهول . ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح، فهى القادرة على ذلك ، المزودة بوسائل الوصول . إما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق ، هى تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل ، ومن ثم يحدد الاسلام مجاله بهذا النطاق ، ولا يتركه يغرق فى التيـــه الذى غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات . ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة : فيتخذ إلى ذلك وسيلتين ، الوسيلة الأولى هى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى . والوسيلة الثانية هى تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط (١) .

وبعد أن أعطى الاسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية اهتم ايضا بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم فى نظر الرسول - ﷺ - قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » كما دعا الرسول إلى التعليم وأوجبه فقال : « علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ولم يقف عند الدعوة إلى نشر للتعليم فحسب ، بل دعا إلى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم والبحث والاطلاع فقال : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال تعالى: هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢) .

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٢) سورة الجمعة : ٢ .

فالعلم خير أنيس لمن كان وحيـــدا ، وأحسن صديق فى الوحـدة ، يعود الانسان الصبر على الســـراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسعادة والشقاء ، ويساعده على نيل مايريد ، ويجعل البعيد قريبا ، والغريب صديقا ، يحيى القلوب وينير الابصار . وقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » وكفى العلم رفعة قول الله جلت حكمته : « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » (١) . والتعليم الحق يؤدى الى رجاحة فى العقل ، واضـاءة فى الفكر وتفهم حقائق الامور ، والأخـذ بأحسن الاعمـال ، والعادات ، والتحلى بأكمل الاخلاق ، ويعود المتعلم التفكير العميق ، ويقوده الى الابتكار والاختراع والنظر فى الكائنات والمخلوقات « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، الى الأرض كيف سطحت » (٢) .

وقد أوضـح النمرى القرطبى فوائد العـــلم فى قـوله : « اطلب العـلم ، فانه عون فى الدين ، وفرك للقريحة ، وصاحب لدى الخدمـة ، ومفيـد للمجالس وجالب للمال » .

أما فوائد العلم فى النظر اخوان الصفا : « العلم يكسب صاحبة عشر خصال محمودة : أولها الشرف وان كان دنيا ، والعز وان كان مهينا ، والغنى وان كان فقيرا والقوة وان كان ضعيفا ، والنبل وان كان حقيرا ، والقرب وان كان بعيدا ،

---

(١) سورة القصص : ٨٠ .

(٢) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

والجود وان كان بخيلا ، والحياء وأن كان صلفا ، والمهابة وان كان وضيعا ، والسلامة وان كان سفيها » .

واهتمام العلاج الاسلامى هذا الاهتمام الكبير بالتنمية العقلية يرجع الى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر فى تكوين العقيدة هو العقل، فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائما على أوثق وجه ، كان لابد من ارجاع العقيدة فى تكوينها وتكيفها وأوجه التأثير فيها الى عامل العقل (١) . والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الافراد والجماعات احتلت المكانة الاولى فى دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة اذا كانت راسخة ثابتة تقوم على ادراك واضح وعلم يقينى ثابت .

واهتمام العلاج الاسلامى بالتنمية العقلية يرجع لما لها من تأثير كبير فى تكوين شخصية الفرد وذلك عن طريق العناية بقيادته الفكرية (العقل) وصيانتها من كل مايلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيرا ولو طفيفا فى قدرتها على التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب، أو الضار والنافع ، فى التصرفات ، قولية كانت أو فعلية .

ولهذا كله جاءت الخدمة الإجتماعية الى العلاج الاسلامى لتقويم انحراف الاحداث وتعديل سلوكهم متبعة فى ذلك كل أساليب العلاج الاسلامى ومنها التنمية العقلية ، حيث أن هؤلاء الاحداث المنحرفين ، قد اضطرب تفكيرهم ، وعجزت عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات، والخطأ والصواب ولذلك انحرفوا ، وعندئذ ظهرت الحاجة الملحة الى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

---

(١) العقيدة والاخلاق ، مصدر سابق ، ص ٥٦ .

ولذلك يحاول الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى مساعدة هؤلاء الاحـداث المنحرفين على الاستفادة من الفرص التعليمية ان كانت موجودة بأكبر قدر ممكن ، أو يحثهم على استكمال تعليمهم ان كانوا توقفوا عن التعلم ، مستعينا فى اقناعهم بعلاقة الحب والمودة التى كونها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج والأنشطة لمحو أمية الامين منهم والاستعانة ببعض الخبرات التى تعينه فى ذلك ، لأنه عن طريق التعلم يساعدهم على اكتساب الخبرات الكثيرة التى تساعد على تعديل السلوك المنحرف .

ولكى يحقق الاخصائى الإجتماعى الهدف من التنميه العقلية فى عــلاج الاحداث المنحرفين فانه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية ، وخاصة وان العميل العربى يحتاج لهذا النوع من العـلاج لاميته وهو فى حاجة الى المعرفة والوعى، ولذلك فان الاخصائى الإجتماعى يتحمل مسئولية تزويد هؤلاء العملاء ببعض الخبرات التى تؤدى الى تعديل السلوك بطريقة مباشرة بحيث تنصهر تلك الخبرات فى (ذات) العميل فتتعدل عاداته ، والا أصبح التعلم مجرد تلقين سطحى لايلبث العميل ان يتجاهله عند زوال الموقف .

وأساليب الاخصائى الاجتماعى لتعليم هؤلاء الاحداث المنحرفين يمكن حصرها فيما يلى : (١)

١ — أسلوب التنبيه :

والتنبيه هو الاسلوب الذى يمارسه الاخصائى الإجتماعى لايجاد الدافع للتعلم، فوجود الدافع شرط اساسى لتحرير طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة.

---

(١) مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ .

ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها : توضيح فوائد التعلم ثم توضيح أخطار عدم التعلم ثم اتاحة فرصة التعلم. وتتم هذه العمليات تصريحا او تلميحا حسب درجة نضج العميل ودرجة فاعليته » (١) .

٢ - أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه حيث يتطلع العميل الى الخبرة والمعرفة تلقائيا ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالاخصائي الإجتماعي أو بالموقف، أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الإجتماعية وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هي : تزويد العميل بمعلومات جديدة كتعريف الحديث طريقة الاستفاده من خدمات المؤسسة أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو كتوضيح اسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل، أو كتصحيح معلومات الحدث وتفهيمه بأن اخلاء سبيله ليس رهنا بقضاء مدة العقوبة، بل بتحسن سلوكه حسب تقدير المؤسسة او كتوضيح مايغمض عليه من اساليب التنبيه السابقة التي قد يصعب على الحدث فهمها وتكون سببا في مقاومة عملية التعلم .

٣ - أسلوب الاقناع :

الاقناع هو تأثير عقل على عقل آخر ، وهذا الاسلوب يمارسه الاخصائي الإجتماعي عندما تلقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة ان يكون هذا التأثير معتمدا على المنطق والواقعية وحسن التقدير. وهذا الاسلوب يتطلب

---

(١) خدمة الفرد في المجتمع النامي ، د عبد الفتاح عثمان ، ص ٢٧٩ .

من الاخصائي الإجتماعي رحابة الصدر واللباقة عند مناقشة العميل في المعتقدات الخاطئة ونواحي عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذي يتمتع بقدر مناسب من الذكاء وتكامل الشخصية .

٤ — أسلوب التدعيم :

أن استجابة العميل لأساليب التوضيح والاقناع يتحدد بناء على ما يعقبها من تدعيم أو ما يعقبها من تثبيط . والمقصود بالتدعيم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذي يعقب الاستجابة .

٥ — أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسئولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة في موقف معين الى غيره من المواقف المتشابهة ، والاخصائي الإجتماعي لايهدف الى اكساب العميل عادات معينة فحسب بل يطلع الى انتقال أثر السلوك الى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به (١) .

والاخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الاسلامي للأحداث المنحرفين بالتنمية العقلية يحاول مساعدتهم على دراسة القرآن الكريم ، والاحاديث ، والاخبار ، وحفظ الشعر ، وهي وجهة نظر الامام الغزالي في التنمية العقلية للطفل ، والاخصائي الاجتماعي يستخدم في ذلك أساليب التعلم السابق ذكرها ، فعن طريق (التنبيه) يحاول ايجاد الدوافع الى دراسة القرآن والأحاديث

---

(١) خدمة الفرد في المجتمع النامي ، نفس المرجع ، ص ٣٨١ .

وذلك (بتوضيح) فوائد تعلم هذه الأمور ، بعد توضيح خطورة عدم التعلم ثم يتيح لهم الفرص المناسبة للتعلم ، من خلال الأنشطة المختلفة التي يخططها و ينفذها، مستعينا فى ذلك بالخبراء والمختصين فى تعليم هذه الأمور الهامة ، وبذلك يحرر طاقة هؤلاء الاحداث، ويوجهها الوجهة التى تثقف عقولهم، وتوسع مداركهم ، وتسدد أحكامهم وأفكارهم ، وبذلك يتعدل سلوكهم ، ويقوم انحرافهم .

وبعد أن تتم عملية (التنبيه) يقوم الاخصائى الاجتماعى بتوضيح وتبسيط كل ما يراه الاحداث غامضا ، سواء بالنسبة للمؤسسة ، أو بالنسبة للموقف ، أو بالنسبة للجوانب المرتبطة بالتنشئة الإجتماعية ، وبذلك يزودهم بكثير من المعلومات الجديدة التى يحتاجون إليها ، أو يصحح لهم بعض الافكار والمعلومات الخاطئة وبذلك يساعدهم على إكتساب خبرات جديدة ، تساعدهم على تعديل السلوك المنحرف .

وبعد أن تتم عملية التوضيح يقوم الاخصائى الاجتماعى بعملية الاقناع ، مستغلا ثقتهم فيه ، ومحبتهم له ، ويحاول التأثير فى عقولهم حتى لا يقاوموا تلك الخبرات الجديدة ، وخاصة إذا كانت متصلة بتصحيح معتقدات خاطئة أو بتدعيم المعتقدات الدينية أوفى تكوين اتجاهات جديدة ، وهوكل ذلك معتمدا فى إقناعه على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهكذا ينجح فى تنمية عقولهم وتثقيفها ، وعندئذ يسهل تقويم الانحراف وتعديل السلوك .

وبعد أن يقوم الاخصائى الاجتماعى بعمليات التنبيه والتوضيح والاقناع ، يقوم بالعمليات التدعيمية اللازمة التى من خلالها يكافىء من يستحق المكافأة ، عن طريق التشجيع والتقدير أو بعض المكافآت المادية عندما يلاحظ أى تقدم فى العملية التعليمية ، ثم بعد ذلك تتم العملية الأخيرة وهى التعميم الذى عن طريقه

يساعد الأخصائي الإجتماعي كل حدث على الاستفادة من الخبرات الجديدة ونقلها وتعميمها إلى المواقف المتشابهة ، وعنـــدما ينتقل أثر السلوك إلى العديد من المواقف المتشابهة التي تواجـه الحدث سواء في المؤسسة أو في البيئة ، سيصبح قادرا على التوافق مع المجتمع بعد أن تم علاجه ونمت شخصيته .

وبذلك يتضح لنا أن التنميـــة العقلية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية الخلقية وكلاهما مرتبط بدرجة كبيرة بتنمية العقيدة الدينيـه ، وكلها أساليب هامة من أساليب العلاج الإسلامي الذي تستعين به الخدمة الإجتماعية في علاج المشكلات الفردية والمجتمعية .

العلاج الإسلامي تنميه القيم الاجتماعية :

بجانب ما للدين من وظائف نفسية فردية تجعل منه غذاء ضروريا لقوى النفس ، وعصارة مقوية لحيويتها ، توجد له وظائف إجتماعية لايكون موضوعها الفرد وحده وإنما يكون موضوعها المجتمع ككل . ويكون لهـا شأن كبير وأثر خطير في حيـاة الجماعة ، لا يقـــل عن أثرها النفسي على الفرد ذاته أن لم يفقه (١) .

والإسلام كما اهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية أهتم أيضـا بالتنمية الإجتماعية إهتماما كبيرا لما لها من أثر كبير على كل من الفرد والمجتمع ، وقـد أوضح لنا الاسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التي عن طريقها يتم العلاج بالتنمية الاجتماعية نوردها فيما يلي :

---

(١) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

١ — العلاج الإسلامى بالحب :

تبنى التنمية الاجتماعيه على أساس عواطف إجتماعية أهمها المحبة كاحتياج أساسى لكل إنسان ، لابد من اشباعه وبذلك يصبح الإنسان على استعداد لمحبة الآخرين ، والضيق منهم ، والتبرم والسخط عليهم ، وعندئذ يصير عدوانيا ، يصب عدوانه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه فى احيان كثيرة ، فيعوج سلوكه ويصبح إنسانا منحرفاً .

ولذلك إهتم العلاج الاسلامى بإشباع تلك العاطفة السامية التى إن صلحت صلح كل شىء وإن طلحت فسد كل شىء ، فبدأ بالتأكيد على محبة الوالدين لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعا لا ينضب من ينابيع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذى أنعم علينا ، والذى يرحمنا فى المحن ، عندما نلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء . وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه الولاء لله ومحبة الله وطاعته ، والانقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا ما يسمى بالحب فى الله . وله فى النفس أثر عظيم وسعادة نفسية كبيرة ، قال فيها بعض الزهاد «لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه» . وهذا اقتباس لطيف وتصديق واقعى لما رواه أنس رضى الله عنه عن النبى (صلى الله عليه وسلم) إنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منـــه كما يكره أن يقذف فى النـار » (١) .

---

(١) الإمام يحي ابن شرف النووى ، رياض الصالحين ، ص ٨٧ ، جـ ٢ .

وقد جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبـــه قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الايمان ، وبغضهم من علامات النفاق . عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى (صلى الله عليه وسلم) انه قال فى الانصـــار : « لايحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق . من احبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »(١) . كما جعل مصير الانسان يوم القيامة مرتبطا بمصير من يحبهم ويتعلق بهم ، ويرتبط بهم برباط اجتماعى فى الدنيا ويعمل بعملهم ويبذل من اجلهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ان من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم لعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام لا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لايخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم قرأ ، ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) ، رواه النسائى وابن حيان فى صحيحه .

وعن أنس رضى الله عنه ان رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « متى الساعة ؟، قال « وما أعددت لها ؟، قال : لاشىء الا انى أحب الله ورسوله قال : « أنت مع من أحببت » ورواه البخارى ومسلم (٣) .

ان الحب فى الاسلام يستمد وجوده من الحب الالهى ، فاذا تحققت منه لذة فهى وسيلة لغاية مرادة لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، انما هى ثمرة لاتباع

---

(١) نفس المرجع ، ص ٧٨ ، ج ٣ .

(٢) سورة يونس : ٦٢ . (٣) الترغيب والترهيب ، ج ٣ ص ٢٦٢ .

أمر الله ، كما أنه اذا بغض شيئا ، فانما يبغضه بأمر الله ، لأن فيه اسراف أو افساد أو خيانه او أثم او اعتداء او ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله وينهى عن فعله ، كما ورد فى كتابه الكريم ، والحق ان الانسان اذا تجنب الآفات من غرور ونفاق وعدوان وشهوات ، واعتدل مزاجه واستقامت حياته وصف نفسه وسمت وروحه ، فيصبح كالنبع الصافى ، يستمد من حوله منه النضرة والحياه ، وبدون المحبة تصبح النفس ظالمة ظلومة ، تفسد أخلاقها ، وتزداد أحقادها ، وتصاب بالأمراض والاوجاع ويتصدع بناؤها . لذلك كان الطريق الذى رسمه الله تعالى للصحة النفسية يتحقق بالمحبة التى غايتها الاعراض عن السيئات ، واتباع الحسنات ، وفعل الطيبات من أمر بمعروف ونهى عن منكر (١) « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » (٢) ولن يتحقق ذلك كما اشار الرسول . صلى الله عليه وسلم ـ الا بأن يصل الانسان من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى مع الاحداث المنحرفين عن طريق التربية الإجتماعية بالحب ، فانه يبدأ بنفسه أولا ، فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباطا وثيقا بحبه لهم وحبهم له ، فهو يحبهم فى الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم ، ويبذل الجهد ويضحى بالوقت فى سبيل علاج مشكلاتهم وهو لا ينتظر من وراء ذلك جزاء او شكورا ، فأجره على الله وجزاؤه من الله ، وحبه فى الله ولله .

وعندما ينجح الاخصائى الإجتماعى فى اكتساب حبهم فسيصبح القدوة

---

(١) نحو علم نفسى اسلامى ، مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) سورة الاعراف : ١٩٩ .

الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويبدأون بحبه ثم يحبون بعضهم البعض ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفو قلوبهم وتتطهر نفوسهم ويقوم انحرافهم ويتعدل سلوكهم .

فالغاية من المحبة تحقيق صحة الانسان النفسية فى الدنيا والآخرة ، وذلك برد الكراهية بالمودة ، ومقابلة الاعتداء بالصفح الجميل ، ومجابهة الظلم بالعفو ، واذا وصل الانسان الى هذه الدرجة من السمو الاخلاقى ، والصفا النفسى ، يستطيع ان يحيل الظلام نورا ، والشر خيرا ، لأن الحب قوة سحرية تمزق غيوم الاحقاد ، فتزال الغمة عن القلوب ، ويهتدى الانسان الى سبيل الخير والرحمة ، فيعين الضعيف ، ويعود المريض ، ويزكى نفسه بأعمال البر والمعروف ، فيبتعد عن غواية الشيطان ، ويأمن من مكائده ودسائسه ، ويغالب اهـواء النفس الامارة ، وهنا يرضى عنه الله ويحبه .. « يحبهم ويحبونه » (١) « رضى الله عنهم ورضوا عنه » (٢) .

فالمحبة اذن ارتفاع عن الشهوة ، وارتقاء فوق الحاجات المادية ، المحبة نقلة من الحب الضيق المقيد الى حب أثمر وأينع وأشمل ، وهو حب الله ، ومن الله وبالله . ولله (٣) .

٢ ــ العلاج الاسلامى بالتعاون :

من المقرر أن الحياة فى أى جماعة من الجماعات لاتقوم دون ان يتحقق التعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لابد من أن ينظم وتوضع له الروابط والضوابط

(١) سورة المائدة : ٥٤ . (٢) سورة المائدة : ١١٩ .
(٣) نحو علم نفس اسلامى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

التى تجعل منه عملا نافعا مثمرا ، وتقيمه على أساس من العدل والمحبة والاخاء (١) .

قال الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » فالله يأمر بالتعاون على البر وعمل الخير ومعاونة المعوزين والعاجزين والمساكين ، كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح وينهى عن التعاون على الاثم والشر والعدوان .

وقال سبحانه وتعالى « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فمن تمسك بالايمان وفعل الخير ، والتزم بالحق ، والصبر ، نجح فى حياته وعمله ولن تهلك أمة يتواصى افرادها بالايمان،ويتناهون عن الباطل . وكثيرا ماسقطت الأمم لأن ابناءها كانوا لايجدون من يرشدهم الى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التى يرتكبونها ، والآثام التى يقترفونها .

وقد صح عن رسول الله - ﷺ أنه قال : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

أن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لايمكن أن يستقل به انسان ، ينفرد بنفسه ويكون فى معزل عن الناس . فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية ان يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كل يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم ، بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يحب بعضهم بعضا ، وبدون تلك المحبة ينفرط عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات (٢) .

---

(١) العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٢) العقيدة والاخلاق ، نفس المرجع ، ص ٢٤٩ .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحمــــل عدة الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد ، وعلو الكلمة ونفوذ السلطان ، ولكنها لم تجعل هذه العدة منحة تنزل عليهم من السماء لمجرد أن يقولوا ربنا الله ، أو لمجرد أنهم ينتسبون إلى دين أو كتاب أو رسول ، وإنما جعلها لمن عرف واجب الإيمان فى حق نفسه ، وحق جماعته ، ثم اخلص فى القيام بهذا الواجب ، فزكى نفسه ، وعاون جماعته بما رسم الله فى كتابه ، وعندئذ يكون قد أوفى بعهده لله فيوفى الله بعهده له (١) « أوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (٢) وهكذا يكون النصر حليف التعاون .

وقد سمعنا وقرأنا كثيرا كيف أثمرت التنمية الإجتماعية بالتعاون فى صـدر الإسلام عندما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فقد كانوا متعاونين متحابين ولذلك لم يقف فى طريقهم شيء واندفعوا رافعين راية الإسلام حتى صاروا خير أمة اخرجت للناس .

وقد ربط الله واجب الإيمان فى النفس والجماعة بأسس من واقع الانسان وهو : أن للإنسان شخصيتين : شخصية انفرادية بها يخاطب ، وبها يكلف ، وبها يتصرف فى شئونه الخاصة فى دائرة أحكام الله وإرشاده ، وبها يسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله فيم أنفق ؟ وعن عمره فيما أفناه ؟ وشخصية إجتماعية ، بها يكون لبنة فى بناء المجتمع ، وإذا ما أدى الانسان واجب الايمان بإعتبار شخصيته الانفرادية ، فقويت عقيدته فى الله ، وزكت نفسه بالخلق الفاضل ، وأعدت لتكون عنصرا إيجابيا فى الشخصية

---

(١) من توجيهات الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

(٢) سورة البقرة : ٤٠ .

الاجتماعية ساهم مع أخوانه بدافع العقيدة والخلق فى بناء المجتمع ، ثم تشييده وتقويته والاعلاء من كلمته وسلطانه (١) .

والأخصائى الإجتماعى الذى يعالج الأحداث المنحرفين عن طريق التعاون فإنه يبدأ بتدريبهم على ممارسة التعاون فيما بينهم عن طريق بعض الألعاب الرياضية التى تتطلب روح الفريق والتى لابد أن يتعاون فيها العضو مع بقية أعضاء الفريق وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدربه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسئوليات الجماعية مثل مسئولية الإعداد لرحلة بعد تقسيم المسئوليات ومعرفة كل عضو لمسئوليته التى تكمل المسئولية الجماعية ، أو توزع مسئوليات الاشتراك فى حفلة والاعداد لها ، وفى كل ذلك يوضح لهم الأخصائى الاجتماعى قيمة التعاون وآثاره الايجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة . وبعد ذلك يتدرج معهم الاخصائى فى اسناد بعض المسئوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكملة لمسئوليات أخرى فى مكان آخر وعندئذ يعرف الحدث قيمة التعاون خارج المؤسسة كما عرضها داخل المؤسسة وبالتالى يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يقلع عن السلوك المنحرف ويبتعد عنه ، ويتجه إلى البناء بدلا من الهدم ، والنماء بدلا من الضياع ، والايجابية بدلا من السلبية ، ويصبح إنسانا صالحا متعاونا فى حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات بناء المجتمع .

وهكذا نرى كيف يهتم العلاج الإسلامى ببناء الشخصية الاجتماعية للانسان التى تجعله يتبادل والجماعة الحقوق والواجبات ، خاصة كانت تلك الجماعة كالأسرة وبيئة العمل ، أم عامة كالمجتمع الوطنى والانسانى ، وفى سبيل تنمية الشخصية الإجتماعية للانسان قرر الإسلام العدل ، والمساواة ، والتعاون ، والتواصى بالحق

---

(١) من توجيهات الاسلام ، نفس المرجع ، ص ٢٩٥ .

والنواصى بالصبر ، وقرر فى كل ذلك مسئولية الجماعة عن الفرد ، ومسئولية الفرد من الجماعة[١] .

٣ ــ العلاج الإسلامى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

بعد أن أكد الإسلام أهمية التعاون كأسلوب هام من أساليب تنمية الشخصية الإجتماعية ، الذى يهدف إلى ضبط السلوك الإجتماعى وتعديله ، أكد على أسلوب آخر وهو أسلوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف وسيلة اصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهى عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكرا ان يجد من ينهاه عنه ، ويرشده إلى الصواب ، ويأمره بالمعروف ، فيعتدل ويفيق إلى الحق . وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية الرذائل ، ومنع الناس من أدائها . وقد ورد الحديث الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره » . وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء وافسد المجتمع . فقد قال الرسول - ﷺ - « ما أقر قوم المنكر بين اظهرهم إلا عمهم الله بعذاب محتضر » وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) يشترك فى أدائه الأفراد فى المجتمع فى المجال الفردى ، والهيئة الحاكمة فى المجال الجماعى .

وقال الرسول - ﷺ - « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »[٢] .

وقال الله سبحانه وتعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

(١) من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .
(٢) روح الاسلام ، مصدر سابق ص ٢٥٤ .

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »(١) فالله أمر بالدعوة إلى الاسلام وفعل الخير من صدقه ، وايثار ، وترابط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما استحسنه الشرع : كالتواصى بالحق والرحمة والاحسان والصبر ، ونهى عن المنكر ، وهو ما استقبحه الشرع : كالظلم ، وعدم اخراج الزكاة ، وكالخيانة والغدر والكذب .

٤ - العلاج الإسلامى بتطبيق الحدود الشرعية :

المرحلة الإجتماعية الأخيرة فى ضبط السلوك وعلاج الانحرافات هى الحدود الشرعية . فمن الناس من لا ينفع معه وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولا وازع الترهيب ولا وازع الكفارات والمحاسبة الشخصية على الاخطاء المستوردة ، وكان سلوكه معوجا حتى احتاج إلى من ينهاه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع ، واصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلا بد هنا من حدود وقائية وعلاجية تشرع لا كراهه بالقوة إلى إتخاذ المسالك الحسنة فيقام عليه الحد ، وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأعطى الله السلطان تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »(٢) فمن قتل يقتل ، ومن سرق يقطع يده ، ومن كان متزوجا وزنى يرجم ، ومن شرب الخمر يجلد .. وهكذا باقى الحدود . فالحدود تطهير للشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ للمجتمع من الفساد والرذيلة . إذ أن الحدود جوابر ، أى تجبر ما حصل من الإنسان وتكون داعية للاعتبار بها ، إى زواجر للناس . فمن فضل الله أنها

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٢) سوره البقرة : ١١٩ .

جوابر لمن يرتكبها ، وزواجر لمن يفكر الاتيان بها ، وبذلك يحفظ المجتمع من الفساد والافساد ، وهكذا يصبح الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع ، ويصبح المجتمع رقيبا على الأفراد (١) .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج الاحداث المنحرفين يجد فى تنمية الشخصية الاجتماعية أسلوبا مؤثرا فى العلاج ، فأسلوب التنمية الإجتماعية بالتعاون يستطيع الاخصائى من خلاله تربية الحدث على تحقيق الخير ، والبر ، والعدل ، دون تعصب ، وقضاء حاجات الناس ، والتفريج عنهم ، وستر عيوبهم ، ونصحهم على انفراد ، إن كانت من العيوب التى يمكن تركها ، وهكذا يتربى الأحداث فى مجتمع قائم على الايثار ، بعيدا عن الاثرة ، مبنى على مساعدة الآخرين ، من أجل الحق والخير ، والاخصائى الاجتماعى هو القدوة والمثل الأعلى الموجود أمامهم ، فيتقمصون منه هذه الصفات .

أما اسلوب التنمية الإجتماعية عن طريق الحب ، فالأخصائى الإجتماعى يعتمد فى عمله كله على العلاقة الطيبة التى يكونها بينه وبين هؤلاء الأحداث وهى علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتى يلمسها الأحداث ويحسون بها بل ويعيشونها ، وعندئذ يعممون الحب على الآخرين الذين يتعاملون معهم ، بعد أن افتقدوا الحب وحرموا من المودة ، وكان ذلك من أسباب انحرافهم . ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته وهى المحبة الصادقة لكل الناس ، تقربا إلى الله واكتسابا لمحبته .

ويستطيع الأخصائى الإجتماعى تحقيق ذلك عن طريق بعض الأنشطة والبرامج المختلفة التى تحقق هذه الأهداف ، فمثلا يصطحب الاخصائى مجموعة

(١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

من الأحداث لزيادة أخ لهم فى الله ، أو عيادة مريض ، أو إجتماع على ذكر الله ، أو طلب العلم .. والأخصائى يخطط العديد من الأنشطة التى تدور حول هذا المعنى ، وتحقق تلك الأهداف . وبهذا يربى عند الأحداث عاطفة الحب فى الله ، فيجدون لذتها ، ويستمتعون بممارستها ، ولا يستطيعون تركها ، والحب الصادق ، والمودة الخالصة ، لله والناس ، من أنسب الأساليب العلاجية وأنجحها لتقويم الإنحراف ، وتعديل السلوك ، وتنمية الشخصية .

أما التربية الإجتماعية عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن الأخصائى يمارس هذا الأسلوب معهم ، ويستغله ليعيد الأحداث المنحرفين إلى فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، وارتكاب الأخطاء ، والتى تقيهم من الإنحراف ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأخصائى الإجتماعى يستغل هذا الأسلوب ، ليغرس فى قلوب الأحداث معانى الايمان بشتى الطرق وفى مختلف المناسبات ، فهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون ، الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته وبعد ذلك يوجـــه سلوكهم بآداب الإسلام ، ويعلمهم كيف يعبدون الله وكيف يتقربون إليه ، وينصحهم بالإرتباط بالمساجد ويوجههم إلى الفوائد العظيمة التى تعود عليهم من ذلك .

والأخصائى الإجتماعى يستطيع ذلك من خلال الأنشطة والبرامج الدينية التى يعدها لهم ، مثل الندوات والمحاضرات الدينية التى يدعـــو إليها الخبراء والمختصين من رجال الدين الذين يوضحون لهم ويشرحون لهم تلك الأمور والجوانب الدينية ، ثم عن طريق التمثيليات الدينية الهادفة ، والأمثال الدينية والقصص القرآنية التى يستخلصون منها الدروس والمواعظ ، بالإضافة إلى اصطحابهم إلى الصلاة فى المسجد وخاصة صلاة الجمعة والاستماع إلى خطبها

ومناقشتهم فى موضوعها وتفسيرها وتبسيطها لهم . ثم يحذرهم وينهاهم عن جليس السوء ، ورفقاء الانحراف ، ويختار لهم مجالس الصالحين والرفقة المؤمنة ، والأتراب والأنداد الذين ربوا تربية صالحة ، مع اشغال مجالسهم ومجتمعاتهم بما يرضى الله ، وبذلك يزكى نفوسهم ، ويحذرهم مما يدنسها أو مما يضيع أوقاتهم فى غير ما طاعة أو فائدة علمية ، أو كسب دنيوى حلال ، عمـــلا بقوله تعالى : « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(١) .

أما عن التنمية الإجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فان الاخصائى الإجتماعى ما هو إلا ممثلا للمجتمع ، يطبق آدابه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع الى أمر الله ، ويحكم شريعته فى تنظيم المجتمع ، حيث أن ذلك يعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الإجتماعية ، لأنه يهدف إلى تنمية الأفراد وتأديبهم بطلب مرضاة الله ، فإذا إنحرف الفرد عن هذا الهدف أدانه المجتمع وأصبح من حق الأخصائى الإجتماعى أن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيرة للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تجد معه كل هذه الأساليب ، أصبح من حق الإخصائى الإجتماعى تسليمه للسلطة التى تنفذ أوامر الله لتطبيق عليه أى نوع من أنواع الحدود الشرعيه ، حتى يعود الأفراد إلى حظيرة الإيمان والتوبة والنـــدم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وآدابها .

والأخصائى الإجتماعى وهو يطبق هذا الأسلوب فإنه يهدف إلى الوقاية والعلاج فى آن واحد ، وذلك عن طريق اصطحاب مجموعة من الأحداث المنحرفين لمشاهدة بعض الأفراد الذين أدانهم المجتمع ويطبق عليهم حدا من

(١) سورة النساء : ١١٣ .

حدود الشريعة الإسلامية ، أو يقص عليهم قصص من طبقت عليهم حدود الله أو يريهم بعض الأفلام السينمائية أو بعض التمثيليات التي يشاهدون فيها تطبيق حدود الله ، وبذلك يوضح لهم الدروس والعظات المستفادة من هذه الأنشطة حتى يعالج عن طريقها من انحرف سلوكه ، ويجعل منها وقاية لمن لديه استعداد للانحراف .

وهكذا يحاول الأخصائي الإجتماعي حماية المجتمع من الفساد عن طريق تطبيق العلاج الإسلامي على الأحداث المنحرفين ، بشتى أساليبه المتنوعة وعلى رأسها التنمية الإجتماعية عن طريق التعاون تارة وعن طريق الحب تارة أخرى ثم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة أخرى أو عن طريق تطبيق حدود الله بحيث يختار الأخصائي الإجتماعي من هذه الأساليب ما يناسب فردية كل حدث حيث أن بعض هـذه الأساليب يفيد مع بعض الأحداث المنحرفين وقد لا يفيد مع البعض الآخر منهم . وكل ذلك يعتمد كل مهارة الأخصائي الإجتماعي في تطبيق العلاج الإسلامي بعد أن يدرس مشكلة كل حدث ويوضح أسبابها بدقة ثم بعد ذلك يختار لها أنجح هذه الأساليب العلاجية حيث أن العلاج الإسلامي بأساليبه المتعددة فيه الدواء لكل داء وفيه الهداية وفيه الشفاء ، والله متم أمره كيف شاء وعندما يشاء :

العلاج الإسلامي بالتنمية النفسية:

من نظر في تعاليم الدين الإسلامي وتأمل مقاصده ، ليدرك أنه يرمي إلى غرض واحد هو توفير الكمال النفسي للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له في دنياه وآخرته متمثلا في تنظيم سلوكه وضبطه » (١) .

---

(١) السلوك الإجتماعي بين علم النفس والدين - مصدر سابق - ص ٨ .

وقد قرر الاسلام بصراحة ان حسن الأخلاق طريق سعادة الانسان وسوء الأخلاق طريق شقاوته ، فقال رسول الله (ﷺ) : من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق ، (١)

وإذا كان معظم الأمراض النفسية أسبابها الانحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلماء النفسيون ومنهم (هادفيلد) الذى يقول : (كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى) (٢) فان الاسلام قد قرر ذلك قبل هؤلاء وبين العلاقة بين الانحراف الأخلاقى والأمراض النفسية ثم بين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) و من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ، (٣) .

ثم ان المرض النفسى قد يكون أشد تعذيبا للانسان من المرض الجسمى وخاصة الأمراض الناشئة أساسا من سوء الأخـــلاق (أما عذاب الوجدان (العَذاب النفسى) أو وخز الضمير وتأنيبه فهو ألم معنوى .. انه هو الذكرى التى تعض قلب المجرم ولا تفارقه ليل نهار) (٤) .

ولذلك اهتم الاسلام بعلاج مثل هذه الأمراض النفسية كما جاء فى القرآن الكريم ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظـــالمين الاخسارا ، (٥) .

---

(١) منتخب كنز العمال فى هامش مسند الامام أحمد ١٣٢/١ .
(٢) توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ، ص ٤٦٨ . مصدر سابق .
(٣) منتخب كنز العمال فى هامش مسند الامام أحمد ٢٥٨/٠ .
(٤) د. عادل العوا . الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ، بدون ، ص ٥٧ .
(٥) سورة الإسراء ٨٢ .

ويقول الامام الفخر الرازى (اعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية كما هو شفاء أيضا من الأمراض الجسمية . أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر وذلك لأن الامراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والعادات المذمومة . . وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها ، وتعريف ما فيها من المفاسد والارشاد الى الأخلاق الفاضلة الكاملة ، والأعمال المحمودة ، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض . فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية) (١) .

وإذا كان الجسم يتخلص من سمومه بطريقة ما ويمرض اذا تراكمت السموم بداخله . فان النفس كذلك ينبغى لها أن تطرد سمومها . وليس شيء يزيل سموم النفس كما يزيلها الحب الحب على نطاقه الواسع . الحب لكل شيء ولكل موجود وهذا الذى يصنعه الاسلام ، ويصنعه القرآن ... ان العبادة الدائمة لله ، والحياة الدائمة فى كنفه ، والتطلع الدائم الى رضاه . تحدث هذا الشعور الوثيق بالحب لبقى الانسان (٢) .

ان الاسلام يقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس ، وما العبادات فى الاسلام الا وسائل ربانية لتربية النفس وتنظيم طاقتها ، وهو اذ يحصنها بهذه العبادات ، لا يقتل حيويتها ولا يضعف منها أبدا ، حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية ، لا يقف منها موقف العداء ، وانما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك الى طاقة بناءة الحياة .

---

(١) تفسير الفخر الرازى . مصدر سابق . ص ٢١ / ٣٤ .

(٢) نحو القرآن . مصدر سابق . ص ١٤٩ .

أن القرآن أسلوبا رائعا للتنمية النفسية ، فهو يربى المرء على الايمان بوحدانية الله وباليوم الآخر . ويقول محمد اقبال فى كتابة اعادة بناء الفكر الاسلامى « .. ما يأتى به الدين من علم ، والايمان به هو تجربة نفسية تخضع الدارسة الداخلية الانسان ، أى تخضع لجهاد النفس ، وترويضها ، فكلما جاهد الانسان شهوات نفسه ، ووقف فى سبيل هواها كلما زاد ادراكه وضوحا وعمقا للطريق السوى فى الحياة . وكلما زاد ايمانه قوة بالله وبرسالته . ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى فى الصفاء النفسى ..»(١) .

أن أسلوب القرآن فى تربية النفس ، يفرض الاقناع العقلى مقترنا باثارة العواطف والانفعالات النفسية ، فهو بذلك يربى العقل والعاطفة معا ، متمشيا مع فطرة الانسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .

يبدأ القرآن من المحسوس والمشهود المسلم به : كالمطر ، كالمطر ، والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق . . . ثم ينتقل الى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته وسائر صفات الله ـ مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحيانا ، اما للتقريع واما للتنبيه واما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحو ذلك ، مما يثير فى النفس الانفعالات الربانية : كالخضوع ، والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له . ثم تأتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقا عمليا للاخلاق الربانية (٢) .

ان الدين الإسلامى يعتمد فى اصلاحه على تهذيب النفس الانسانية ويكرس جهودا ضخمة للتغلغل فى أعماقها وغرس التعاليم الدينية فى جوهرها فالنفس

---

(١) نحو القرآن . مصدر سابق . ص ١٤٩

(٢) التربية الإسلامية . مصدر سابق . ص ٢٤ .

الانسانية هي موضوع عمله ومحور نشاطه . لأن الإسلام دين الفطرة . قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١).

والنفس المنحرفة تثير الفوضى في أحكم النظم وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة . والنفس الكريمة ترقع الفتوق وتحسن التصرف في الأمور وتسير وسط الزوابع والأعاصير(٢) .

وأسلوب القرآن في تربية النفس عن طريق اثارة الإنفعالات الربانية كالخضوع والشكر ومحبة الله .. هي أفضل طريقه اهتدى إليها علم النفس لتربية العاطفة ، انهـا تكرار اثارة الإنفعالات ، مع تجارب سلوكية مشحونة بهذه الإنفعالات، مصحوبة بموضوع معين ، حتى يصبح عند المرأة استعداد لاستيقاظ هذه الانفعالات كلما أثير هذا الموضوع .

وهل العاطفة إلا ذلك الاستعداد الوجداني الانفعالي ؟ فإذا ربي مع العاطفة سلوك مثالي تتطلبه تلك العاطفـة فقـد بلغت التربية الإسلامية ذروتها في تربية النفس واستنفاد طاقاتها في خـير الإنسانية ولعل أوضح مثال على ذلك عمليا فيجب تحلية النفس بالأوصاف المحمودة ، وتخليتهـا من الأوصاف المذمومة ، والمنطلق الذي تنطلق منه مناهج التربية يقوم على ركيزة مستقاة من القرآن الكريم وهي أن الإنسان فطر على الحق ثم ينساه ، فإذا لم يذكر بصفة

---

(١) سورة الروم (٣٠) .

(٢) السلوك الإجتماعي بين علم النفس والدين . مصدر سابق – ص ٧٩ .

مستمرة ، انحـــرف عن جادة الصواب ، وركن إلى الخمول والبلادة ، فيقتله الشيطان ، ويوسوس له ، ويحسن له باطل عمله ، وبذلك تميـــل النفس عن طبيعتها ، فتنحرف إلى الأهواء والأماني الكاذبة ، وتندفع إلى الغفلة والضياع ومن هنا كانت أهمية الرياضة النفسية لتقوية العزيمة ، والعزيمة باب الصحة النفسية (١) .

والتنمية النفسية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامي يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :

العلاج الاسلامى بتنمية الإرادة :

وردت كلمة الإرادة فى كتب الامام الغزالى لأغراض متعددة : فتارة يريد بها السلوك فى طريق الله ، وتارة يريد بها ما يبعث عن المعرفة ويسخر القدرة ، نراه حينا يسميها القوة العاملة ، ونراه حينا آخر يسميها النيـة . ثم نراه يقول « أن النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفه للقلب ، ويكتنفها أمران : علم وعمل . . وكل عمل لايتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة ، وقدرة لأنه لا يريد الانسان مالا يعلمه ، فلا بد وأن يعلم ، ولا يعمل ما لم يرد فلابد من الارادة ، والعلم يهيج الارادة . والارادة باعثة للقـــدرة والقدرة خادمة للارادة (٢) . . ومعنى الارادة إنبعاث القلب إلى ما يراه موافقا هذا الأسلوب التربوى القرآنى يتضح فى سورة الرحمن حيث يذكرنا الله جل

---

(١) نحو علم نفس إسلامى . مصدر سابق . ص ٢٧١ .

(٢) الإمام الغزالى ، « الأربعين فى أصول الدين » ، القاهرة ، مكتبة الجندى، ١٩٧٥ .

جلاله بنعمه ودلائل قدرته ، بادئا من الإنسان ، وقدرته على التعليم ، إلى ما سخر الله له من الشمس والقمر والنجم والشجر ، والفاكهة والثمر ، وما خلق من السماء والأرض . . وعند كل آية عدة آيات علامات استفهام يضع الانسان فيها أمام الحس والوجدان وصوت القلب والضمير ، فلا يستطيع أن ينكر ما يحس به ويستجيب له عقله وقلبه ، وقد تكرر هذا الاستفهام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إحدى وثلاثين مرة فى هذه السورة ، وفى كل مرة يثير انفعالا يختلف بحسب الآية التى تسبقه .

وهكذا يستطيع العلاج الإسلامى تربية النفس البشرية وتهذيبها ، وأن الله تعالى أقسم إحدى عشر قسما لقرر أن النفس الانسانية قابلة للتغيير والتزكية والتسامى (١) .

والعلاج الإسلامى لكى يصل إلى تحقيق أهدافه فى التربية النفسية ، فإنما ينطلق من محركين أساسيين ، محرك ترغيب . . . ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة وتركن إلى تحقيق ذلك ركونا عظيما ، بما أودع فى جبلتها من صفات مذمومة . . يمكن أن تحدث لها العطب والفساد والانحراف . . لذلك وجب تحريك محرك الترهيب للقضاء على هذه الآفات أول بأول حتى لا تعتاد عليها النفس . . كما تقوم التربية الاسلامية على محرك الترغيب فيما يتعلق بالأفعال المحمودة والعلوم النافعة ، والقدوة الحسنة ، حتى يتحلى بها باطن الانسان فتصبح هذه الأفعال غاية سلوكية . . ولكى يتم

---

(١) أنظر سورة (الشمس وضحاها . .) إلى قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها .

للغرض إما فى الحال وإما فى المآل (١) .

أما وجهة نظر علماء النفس فى طبيعة الإرادة ، فقال بعضهم الارادة هى : العملية النفسية التى ترمى إلى تكييف الاستجابة التى كانت قد أدى الصراع القائم بين مجموعتين من الميول إلى أرجائها وذلك بترجيح كفة الميول التى تبدو فى نظر الشخص أنها أسمى من غيرها (٢) .

وأهم ما يميز الاتجاه السيكلوجى فى فهم طبيعة الارادة أن الارادة سابقة على فكرة وأن منبع الارادة هو الميول المتنازعة ، وتنشأ الارادة عندما يتغلب ميل واحد منها على الميول الأخرى (٣) .

وارادة عند الإمام القشيرى هى « نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه » (٤) ويقول الجنيد « الارادة أن يعتقد الانسان الشىء ثم يعزم عليه ثم يريده ، والارادة بعد صدق النية » (٥) .

ويقول الواسطى « أول مقام المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته » (٦) .

---

(١) الامام الغزالى ، « إحياء علوم الدين » ، مرجع سابق ذكره .

(٢) يوسف مراد ، « مبادىء علم النفس » ، مرجع سابق ذكره .

(٣) عبد الكريم عثمان « الدراسات النفسية عند المسلمين » القاهرة ، مكتبة وهبه ، مرجع سابق ذكره .

(٤) الإمام القشيرى ، « الرسالة القشيرية » القاهرة ، مطبعة صبيح ، ١٩٦٦ ، ص ١٥٧ .

(٥) التهانوى ، « كشف إصطلاحات الفنون » .

(٦) الرسالة القشيرية ، ص ١٥٩ .

والارادة الحقيقية من وجهة نظر المتصوفين بصفة عامة هى الارادة المتجردة من البواعث النفسية والميول الطبيعية وتخضع لارادة الحق .

ويقول الفارابى « النزوع إلى ما أدركه الانسان بالجملة هو الارادة (١) » ، ولا ريب أن الارادة العاقلة هى أثمن شىء فى وجودنا ، فهى التى نتميز بها ، أنها الملكة القادرة على أن تركزنا فى ذواتنا ، وعلى حين أن الحواس والغرائز تبعثرنا خارجها ، فهى إذن مخصصة ليمنحها الخالق حق السيادة ودور المبدأ الأعظم (٢) .

ويرى الإمام الغزالى « أن تربية الارادة بتكرار طاعة الميل المحمود وتكرار مجاهدة الميل المذموم ، والإمام الغزالى لا يرى للعمل قيمة بغير النية وإن شئت الارادة وإن كانت النية هى التى تقوم العمل فمن الخير أن تكون قوية ، ولأنه كما تكون الرغبة فى عمل طيب ، أو النفرة من عمل خبيث يكون جزاء العامل فيكثر أجره أن قوى حبه للخير ، وقد نص فى عدة مواطن من كتبه بأنه المعول على القلوب ، حتى لنجده يذكر أن الصغيرة تنقلب إلى كبيرة بالاصرار والمواظبة أو بالاستهانة بما لها من خطر ، وأن الكبيرة إذا وقعت بغتة واستعظمها المرء وأن يعود إليها كانت مرجوة العفو » (٣) .

وفى ذلك يقول الامام الغزالى : (فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه

---

(١) الفارابى ، « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، القاهرة ، صبيح وأولاده ، ص ٦٠ .

(٢) عبد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق فى القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، ص ٤٠٥ ، ١٩٧٣ .

(٣) الأخلاق عند الغزالى ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

صغر عند الله ، وكلما استصغره كبر عند الله ، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه ، وكراهيته له ، وبذلك النفور يمنع من شدة تأثره . واستصغاره يصدر عن الالف له وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحظور تسويده بالسيئات »(١) .

ونحن محاسبون على النية والقصد من سلوكنا وأفعالنا ، والنتيجة الطبيعية للإيمان أن يكون الباعث على سلوك المؤمنين هو الطمع فى ثواب الله والخوف من عقابه . والعزيمة والإرادة هى وسيلة التنفيذ وهى سر من أسرار التوصل إلى السعادة فى الدنيا والآخرة . ومن ضعفت إرادته أو عجزت فهو والحيوان سواء بل هو أضل من الحيوان لأنه أصبح غافلا . قال تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٢) .

لقد أوضح الإسلام المنهج العملى لتنمية الإرادة (٣) وتدريبها على الالتزام بمواقف الحكمة والهدى والثبات أمام تيار الهوى كما يلى :

أ ـ تنمية الإرادة بالتحكم فى المشاعر (كظم الغيظ والحد من الغضب)

إن ظاهرة الغضب ظاهرة مزدوجة فسيولوجية وسيكولوجية ، أعنى أنها ،

---

(١) احياء علوم الدين ج١ ص٣٢ . مصدر سابق .
(٢) سورة الأعراف (١٧٩) .
(٣) دراسات إسلامية فى العلاقات الإجتماعية والدولية . مصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٩٠ .

عضوية نفسية فى وقت واحد ، ألسنا نرى الإنفعال النفسى فيها تصحبه ثورة دموية تغلى منها مراجل الصدر ، وترتفع بها حرارة الجسم ، وقد تتقلص منها عضلات الوجه فى أعراض تشبهها ، ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجهر بالقول ، والبطش باليد . إلى غير ذلك .. وهنا يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، مادمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا . ذلك أن قصارى الثورة الغضبية ـ حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول والفعل معا ـ أن تكون كالشحنة الكهربائية التى لابد لها متى اندفعت أن أن تفرغ ، فلا سبيل إلى كبت حركتها ، ولكن لنا سبيلا إلى اختيار المجال الذى تفرغ فيه وذلك بوضع جهاز مانعة الصواعق فى مكان ما ، وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل يستقبله ويتلقاه ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول(١).

وبالمثل نستطيع أن نتصرف فى مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمع الى شىء من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، ففى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة ننفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا . ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الإنفعال

---

(١) رواه أبو داوود فى كتابه الأدب .

وهى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدور، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الإنفجار؟

فاذا ما دعتنا حدة الغضب إلى شىء أكثر من القول، وإنبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوى يساير هذه الحركة الطبيعية أيضا فى مبدئها ، ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيدا عن هدفها ، ولنستمع إليه (ﷺ) حين يقول إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضجع »(١) .

هل نجد أيسر وأسرع وأدق وأنجع من هذا العلاج الروحى البدنى معا ،

وللغضب أنواع متعددة من العلاج (٢):

أولها : كظم الغيظ الذى يرد الغضب ويسكنه فانه أعظم وسيلة لرده وأعظم علاج لدفعه . قال الرسول (ﷺ) « إذا غضبت فأسكت » وقال (ﷺ) « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » ، وقال الله تعالى فى معرض المدح لهم « والكاظمين الغيظ » .

ثانيهما : هو الحلم عند الغضب ، وقد أجمع العلماء على أن أفضل الأحلام الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال الرسول (ﷺ) « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه » ، وقال الرسول (ﷺ) : « ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا وما هى يا رسول الله قال : « تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم على من جهل عليك » وعلى

---

(١) دراسات إسلامية . مصدر سابق ، ص٥٠ .

(٢) السلوك الإجتماعى بين علم النفس والدين . مصدر سابق ص١٣٢ .

ذلك يكون الحلم أفضل من الكظم لأن للحلم درجة بينما للكظم مثوبه وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات .

ثالثها : هو العفو والصفح وهى درجة لا يقدر عليها إلا من إتصفوا بالإيمان واليقين وتيضح عظيم درجتها من قوله تعالى « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وقال « وقال « وإن تعفوا أقرب للتقوى » وقال » وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » .

رابعها : وإذا لم يستطع الإنسان أن يكظم غيظه أو يحلم أن يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخرى التى أشار بها الرسول (ﷺ) وهى تغيير الوضع أو القيام للوضوء فقد قال الرسول (ﷺ) إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار » .

أما أساليب علاج الغضب السابقة فتحتاج إلى قوة ضبط نفسية مبنية على فكر سليم وإيمان ويقين . وهى دروس عملية على تربية الإرادة فمن يتدرب على التحكم فى مشاعره وخاصة السلبية منها كالغضب سيجد صعوبة فى البداية ولكن مع تكرار ممارستها . والاصرار على التدرب عليها ستصبح عملية سهلة بعد أن قويت الإرادة وأصبحت قادرة على التحكم فى نزعات النفس ومنعها بل قادرة على رياضة النفس ومجاهدتها . وعندئذ ينجح العلاج الإسلامى فى تنمية الإرادة عن طريق التحكم فى المشاعر .

ب — تنمية الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان وليدة أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا البعض الآخر ، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الارواح أو تنافرها ، أو

إلى تقارب الأرواق والآراء أو تباعدها أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأما ما كان منها من صنع الله مقلب القلوب وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التي لا تنكر قرة عين ، واشراق جبين . وانفساح صدر ، وراحة ونعيم في لقاء من تحب ومناجاته . وأضداد ذلك في لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة التي رفعت عنها الأقلام ، ولكننا في غالب الأمر نضيف إليها آثارا من صنعنا ، إذ نفرق في المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا نسوى بينهما في الحكم ، بل نكيل لهما بكيلين ونزن بميزانين ، فنحابي من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ، ونغطى على حسناته وهذا هو الجور الذي نهانا الله عنه إذ يقول عز شأنه « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (١) ويقول « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » (٢) هكذا يحملنا الإسلام مسئولية عملنا ، وعافانا من كسبنا ، فلم يكلفنا اقتلاع الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا في ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم فقد كان الرسول (ﷺ) يعدل حق العدل بين زوجاته ثم يقول « اللهم هذا جهدي فيما أملك ، ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك »(٣) .

وبذلك يعلمنا الإسلام كيف ندرب إرادتنا على أن لا نفرق بين ما نحب ومن لا نحب بل نمارس الحب مع الجميع ونتسامى ونعلو به إلى أن يصل إلى حب الله هادي النفوس ومقلب القلوب ، وهل يستطيع ممارسة الحب إلا من

---

(١) سورة الانعام (١٥٣) .
(٢) سورة المائدة الآية (٨) .
(٣) دراسات إسلامية . مصدر سابق . ص ٣٧ .

تملك إرادة قادرة .. ولن تكون الإرادة قادرة إلا بتربيتها وتدريبها بالتحكم فى المشاعر تارة وبممارسة الحب تارة أخرى حتى تصل إلى درجة التوازن النفسى الذى يعدل فى التعامل مع الناس مقتدين بصاحب الخلق العظيم والأسوة الحسنة محمد الرسول الكريم (ﷺ) .

جـ — تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر

ترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون إندفعوا فى هلع هالع ، وجزع خالع ، اعتذروا بشدة الصدمة الأولى وبعجزهم عن الصبر والتحمل كلا انها حجة داحضة ولله الحجة البالغة . فان للحزن أثر طبيعيا لاجناح فيه ، وإنما التبديل على قول الهجر وفعل النكر الذى تبرأ منه الفطرة .

هاهنا أيضا تجد فى مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففى أثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى (ﷺ) دخل على إبنه ابراهيم وهو يعالج سكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله .. فقال يا ابن عوف انها رحمة ، ثم قال : « انها العين تدمع ، والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضى ربنا . وأننا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون» . هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض عملنا ، واقعة تحت مسئوليتنا (١) .

وهكذا نتعلم من الرسول (ﷺ) الصبر عند الشدائد يأتى بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب فى كثير من المواقف حتى يصبح الصبر عادة للانسان وصفة من صفاته ولن يتحقق ذلك إلا بتربية الإرادة .

---

(١) دراسات اسلامية مصدر سابق ص ٤٨ .

كما تعلمنا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) كيف نعبر عن مشاعرنا وكيف تنفس عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس وتنمية للارادة وقد وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه خير ، خير للانسان ، وخير للمجتمع الذى يحيط به،ولكن يصاحب هذا التنفيس التحكم فى أقوالنا وأفعالنا المصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لا نفعل ما يغضب الله أو نتلفظ بما لا يرضيه ، وأى تربية للارادة بعد ذلك . ان الشريعة الباهرة وضحت لنـــا مسئولياتنا وحدود سلوكنا فى مثل هذه المواقف بما يؤدى الى تنمية الارادة . .

د ــ تنمية الارادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز أو وقف سيرها :

واليك مثالا آخر من هذه الطبائع ، المستعصية علينا فى نفسها ، الخاضعة لارادتنا فى توابعها ولواحقها ، تلك هى غريزة التشوف والتطلع ، التى أودعها الله فى فطرة الانسان لحكمة بالغة ، فهى التى تحفزه الى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية ، فليس من الصواب مكافحتها ، بل ليس فى الطاقة اقتلاعها ، فان الطبع غلاب كل غالب . ولكنا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها من طريقين : اما بتحويل اتجاهها ، واما بوقف آثارها (١) .

ومعنى تحويل الاتجاه أن نستبدل بالهدف الأول الذى اتجهت اليه رغبتنا بادىء ذى بدء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ويعوضنا منه ، بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة، فالسياسة الرشيدة فى هذا الحال لا تعمد الى كبت ارادة الطفل كبتا كليا ، بل تقـــدم له

---

(١) دراسات اسلامية . مصدر سابق . ص ٤٨ – ٥٠ .

لعبة أخرى تشبهها أو تفضلها ، غير أنهـــا تكون عديمة الخطر ، وكلما كان الاستبدال لما هو أنفس قيمة وأجزل نفعا ، دق ذلك على حصافة عقـل المربى وكمال رشده (١) .

وهكذا علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام الحاح رغباتنا الجامحة ، فطورا يأذن لنا أن تشبع رغباتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحرام بالحـــلال ، والخبيث بالطيب ، وطورا يوجهها نحو معالى الامور وأسماها شـأنا وأرفعـها قدرا ، وهذه هى رتبة الصفوة الخاصة . ولـكنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى اطلاقا ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى ، فلنستمع له حين يقول « ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض » ثم يقول : « واسألوا الله من فضله » (٢) ..

وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه اذ قال : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى » .

وما أجمل الوصية الذهبية التى يقول فيها الرسول (ﷺ) خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبة الله شاكرا ولا صابرا . من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دنياه الى من دونه فحمد الله على مافضله به عليه فكتبة الله شاكرا صابرا . ومن نظر فى دينه الى من هو دونه ، ونظر فى دنياه الى من هو فوقه ، فأسف على مافاته منها ، لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا ، هذه هى سياسة تحويل الاتجاه .

---

(١) بنفس المصدر .
(٢) سورة النساء ، آية (٣٢) .

أما سياسة وقف السير فانهـــا تنبع من ظروف خاصة كأنها استثناء من القاعدة ، وحتى فى هذه الحالات الخاصـة ليس المطلوب منـا أن نسكت صوت رغباتنا وأن نحملها قسرا على الجود والخمود فإنه أرحم بنا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به .

انما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ولا نقدم له المادة التى يطلبها ، وتلك هى السياسة التى مارستها شريعة الصـوم ، فطـالما لنـا من المشتهيات اطلاقا فى أوقات معلومة ، وتلك هى سياسة قمع الهوى التى يقول فيها الكتاب المجيد « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنـة هى المأوى » (١) .

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لا يطلب منا أن نكبت غرائزنا ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجههـا ، ونضبط سلطانها ، وننظم آثارها العملية حتى لا نصبح عبدا لغرائزنا ، وضعافا أمام مشتهياتها ورغباتها ، وبدلا من ذلك علمنا كيف نغير اتجاهها ونحوله الى مسار آخر ان استطعنا ، أو نوقف سيرها فى الظروف التى تتطلب ذلك .

هـ ـ تنمية الارادة بالايحاء .

كثيرا ما ينصح رجال التربية باستخدام الايحاء عامة والايحاء الذاتى خاصة فى تربية الارادة . ويعرفه بعضهم « بأنه فكرة أو تنبيه عقلى ينادى المشاعر أكثر مما ينادى العقول » (٢) .

ويعرفـون الايحـاء الذاتى بأنه « هـو ايحـــاء توجهـه الى أنفسنا

(١) سورة النازعات ، آية (٤٢) .
(٢) سلسلة كتب علم النفس العلمى ـ القاهرة .

ويشترطون (١) لتأثير ايحاء فى أى ميدان من الميادين بوجود رغبة فى عمل ما قبل الايحاء ، كما يجب أن تكون الرغبات والعادات الشعورية مهيأة لقبول تلك الأفكار الموحى بها . كذلك يجب الا تتعارض تلك الايحاءات الجديده مع الايحاءات الأخرى العميقة التى ثبت الاقتناع بها قبل الايحاء الجديد (٢) والشرط الأخير الهـــام لتأثير الإيحاء الايمان فان هذا الإيحاء أو ذاك يمكن تحقيق الرغبات به عمليا (٣) .

وأهم خطوات الإيحاء الذاتى للرياضة الارادية يمكن تلخيصها فى الخطوات التـاليـة :

١ — يجب أن تتخيل بعقلك ما تريد عمله أو ما تريد أن تكونه وأن تعبر عنه بصفة ايجابية مبسطة فى ورقة تعبيرا دقيقا ثم عليك بالتأمل فى ذلك التعبير ليترسخ فى ذهنك تماما .

٢ — يجب أن تفكر بعنـاية كاملة فى أسباب عدم امكان تحقيق ما تريد تحقيقه حتى هذه اللحظة ، وما هى المشاعر التى تحـول دون السير فى طريق تحقيق رغبتك (٤) .

٣ — استشعر فى نفسك أنك قوى وأنك تستطيع أن تعمل ما تريد عمله وكرر ذلك التعبير المحدد الذى عبرت فيه عن رغبتك بعد الاستيقاظ من النوم

(١) كيف تمارس الايحاء الذاتى . ص ١٧ .
(٢) نفس المصدر ص ١٩ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٠ .
(٤) كيف تمارس الايحاء ، ص ٦١

لمدة عشر دقائق وأعمل ذلك أيضا قبل النوم مساء ، ثم ضع نفسك فى تخيلك موضع ذلك الشخص القوى الذى ينفذ إرادته دائما حتى يزول من نفسك الشعور بالضعف (١) .

أما تنمية الإرادة بالايحاء كما جاءت فى التربية الاسلامية فإنها تشبه الوسائل الايحائية لدى علماء النفس غير أن نظرة الاسلام تختلف من حيث المصادر التى يستوحى الانسان منها القوة أو المصادر التى يجب أن يستوحى منها الانسان الشعور بقوة الأرادة فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة عامة بالايحاء الذاتى ، فإن الاسلام ينصح بهذا الايحاء على أساس استمداده من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، ولهذا قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس عندما كان صغيرا . ياغلام إنى معلمك كلمات : احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو إجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك (٢) .

ومن مصادر الايحاء الذاتى بالقوة الاعتزاز بالإيمان بالله ، يقول تعالى « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور (٣) . وأن من حق المؤمن أن يعتز بإيمانه بالله وباتباعه الطريق السوى طريق الهدى والصلاح وهو طريق الاسلام ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين

---

(١) نفس المصدر ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) مسند الامام احمد ٢٩٣/١ .

(٣) سورة فاطر ١٠ .

لا يعلمون » (١) ولهذا أمر الاسلام أن يكون المؤمن قوياً لأن المؤمن القوى أحب إلى الله وخير من المؤمن الضعيف ، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المومن الضعيف » (٢) . ولهذا كان الرسول : (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ من الضعف والعجـــز أو الشعور بالضعف والعجز وكان يقول « اللهم أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل » (٣) .

وإذا كان من أسباب ضعف الارادة القلق والاضطراب إذن فإن الإيمان والاتصال بالله القوى العزيز إنقاذ للارادة من هذا الاضطراب والانهيار أمام المشكلات ولهذا شبه الرسول المؤمن بالنبتة التى تنحنى أمام الرياح الشـــديدة ولا تنكسر ، وإذا ذهبت الرياح استقامت ، وكذلك إرادة المؤمن لا تنكسر لا تنهار أمام المشكلات كما تنكسر إرادة الفاسقين والفجار أمام الفتن وتنهار أمام المشكلات (٤) .

تنمية الإرادة بالزهد فى متع الدنيا :

إن الزهد فى متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة فى المأكل والمشرب والملبس مثل الافراط والشره والطمع والحرص على جمع المال يجعل الإرادة

---

(١) سورة المنافقون ٨ .

(٢) الامام أبى الحسن مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . دار احياء الكتب العربية .

(٣) الجامع الصغير ، للامام السيوطى ، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفى ، القاهرة .

(٤) التربية الأخلاقية الإسلامية مصدر سابق .

الإنسانية تخضع لصوت العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية ، وهذا يقتضى تدريبها أولا لإخضاعها لهذه الأمور وتربيتها بالسير فى ضوء الحكمة والأخلاق ، لأن الارادة إذا أصبحت حرة بدون قيد أو شرط قد تستقيم وقد تنحرف ولا ضمان للاستقامة المستمرة ما لم تتدرب على التقيد بالقيود العقلية والعلمية والأخلاقية .

ومن ألوان تنمية الارادة التى قررها الاسلام فى هذا الميدان الصوم عن الأكل والشرب والجنس كل سنة فى شهر معين وفى ساعات معينة شريطة ألا يكون صوما وصالا لأنه ضار بالصحة ، ولهذا منع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الصوم الوصال ونهى الذين عزموا على ذلك فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعبد الله ابن عمرو بن العاص « يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يارسول الله ، قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وأن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها » (١) .

وقد اهتم المتصوفون كثيرا تنمية الإرادة بالزهد لأنها خطوة أساسية لكل تصوف . ويقول د. محمد كمال جعفر معبرا عن رأيهم «يعتبر الزهد فى متع الحياة الذاهبة والرفاهية خطوة أساسية فى كل تصوف » ثم يعرف قول الجنيد « ما أخذنا التصوف بالقيل والقال لكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات (٢) .

---

(١) فتح البارى الشرح البخارى . كتاب الصوم ١٢١/٥ .
(٢) التصوف طريقة وتجربة . د. محمد كمال جعفر ، ص ١٠١ .

ومن هذا اللون أيضا الالتزام ببعض المبادىء الأخلاقية مثل محاولة التغلب على السلوك الفطرى، كالتغلب على الغضب وكظم الغيظ ودفع الاساءة بالاحسان للتغلب على روح الإنتقام أو الثأر الذى هو سلوك فطرى فى الإنسان (١) . فقال الرسول (ﷺ) فيما يتعلق بمغالبة الغضب « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (٢) .

فإن لم يدرب الإنسان إرادته على مغالبـــة تلك الدوافع البيولوجية والسيكلوجية سيكون مغلوبا على أمره ولا يمكن أن يكون صاحب خلق ، لأن كثيرا من مبادىء الأخلاق لا تتكون إلا عن ذلك الطريق أى بمخالفة الدوافع الطبيعية (٣) .

ز ـ تنمية الإرادة بالتأمل والتفكر

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكر وذلك عن طريق أعمال الفكر بالإرادة مدة معينة فى كل ساعة أو فى كل يوم فى موضوعات معينة لأن التفكير والتأمل المركز على ذلك النحو يقوى الإرادة من ناحيتين :

١ ـ العمل العقلى كالعمل العضوى فيما ينفق فيه من بذل الجهد وتوجيهه إلى موضوعات معينة بارادة ، فكلاهما رياضة بالنسبة للارادة ولهذا نجد بعض علماء النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة (٤) .

---

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص٦٣١ .
(٢) هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى ٢/١٠٧ ، وصحيح مسلم ٤/١٤ . كتاب البر والآداب .
(٣) التربية الأخلاقية ، مصدر سابق ، ص٦٣٣ .
(٤) بنى حاجى ، الفلسفة العملية للحياة ، ترجمة . على نور ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ م ص١٨٢ .

٢ ـ إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للارادة إليها ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجيه التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها ، ولإدراك ما يترتب عليها من خير أو شر وخاصة إذا كان ذلك التفكير والتأمل الإراديين بالمنطق الحقيقي والمنهج العلمي الموضوعي ، ولذلك نجد (بني حاجي) يقرر دور التفكير المنطقي في تقوية الإرادة قائلا : (فإذا ما كلل الإرادة منطق وطيد استطاعت أن تبسط مملكتها في كل مكان وتصل بصولجانها إلى أمد بعيد »[١] .

ولهذا نجد الإسلام يدعو باستمرار إلى التأمل والتفكر في الموضوعات المختلفة وفي المناظر المثيرة والمدهشة في الكون وفي المبادىء التي جاء بها فيقول تعالى مثلا « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة »[٢] .

ويبين الله أن من يتفكر في دلائل الله وآياته يهتدى إلى الحق فقال : « إن في في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »[٣] .

وقال أيضا « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك

---

(١) الفلسفة العملية للحياة : المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) سورة سبأ : ٤٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٦٤ .

التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى التفكر والتأمل فى شتى الأمور وتبين أن من يتفكر فى ذلك تفكيرا سليما يهتد إلى الحقائق لامحالة ثم إن الإسلام أمر المؤمن ألا يبدأ بعمل ولا يسلك مسلكا إلا بعد دراسته واحاطته علما لأن العلم بشيء يقوى عزمه عليه ولهذا قال تعالى « ولا تقف ماليس لك به علم » (٢) .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين عن طريق تنمية الإرادة كأسلوب هام من أساليب التنمية النفسية يعرف جيدا أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية والتي ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية) المؤلمة التي جعلتهم يندفعون وراء أهواء الشيطان وأهوائهم ، وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف ، مما يجعلهم فى مسيس الحاجة إلى من يقف بجانبهم ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلمة سواء كانت بيئية أو نفسية وهنا يظهر دور الاخصائى الإجتماعى الذى يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولا على التحكم فى مشاعرهم وخاصة السلبية منها مثل كظم الغيظ والحد من الغضب لأن الغيظ يؤدى إلى الحقـــد والكراهية مما يدفع بهم إلى العدوان والانتقام بارتكاب شتى الوان السلوك المنحرف ، كما أن الغضب يجعل النفس في حالة ضيق وقلق ويصبح الإنسان متوترا ثائرا لا يستريح الا بعد أن يفرغ هذه الشحنة من المشاعر السلبية فى إنحرافاته المختلفة .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) سورة الاسراء : ٣٦ .

ولكن الأخصائي الاجتماعي يحاول مساعدة الأحداث في إفراغ هذه الشحنات الإنفعالية بصورة إيجابية بدلا من افراغها بصورتها السلبية ، فهو يعلمهم أولا كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق الوصفة النبوية الشريفة وهي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم بعد ذلك يتيح لهم الفرص التي تسمح لهم بالحركة والنشاط الذي يغير من وضعهم الذي كانوا فيه عند ثورة الغضب ثم يطلب منهم الوضوء ، لأن الماء يطفىء نار الغضب وثورته كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، ثم يخطط لهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التي تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الإنفعالات ، مثل بعض الأنشطة الرياضية كالمصارعة والملاكمة لإمتصاص طاقات العدوان وافراغها ، ثم يتيح لهم فرص التعبير عنها لفظيا ، وعندئذ يعبرون عن وجدانهم ، وتخف ضغوطهم النفسية ، فترتاح نفوسهم ، وتخف توتراتهم ، مهتدين في ذلك بما فعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما توفى ولده ابراهيم فقد أدمعت عيناه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ولكنه تحكم في هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعبيرات لفظية ولكن بما يرضى الله ولا يغضبه والتربية الإسلامية لاتمنعنا من التألم والتعبير عن المشاعر وفي نفس الوقت تعلمنا كيف نتحكم فيها ونغير من نتائجها بما يعود على النفس بالراحة والطمأنينة دون إنحراف ودون أي معصية لله .

ثم يلجأ الاخصائي الاجتماعي لتنمية إرادة الاحداث بالاسلوب الثاني وهو الحب وذلك عندما ينشط إرادتهم بالعلم الذي يمنحها القدرة على العمل ، فيعلمهم كيف يتحاب الناس وكيف يتساوون جميعا في الحقوق والواجبات ، جاعلا من نفسه القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يتعلمون منه ويقلدونه ، فهو

يحبهم جميعا كما خلقهم الله ، لا كما يحب أن يكونوا ، فكلهم عنده سواسية لا يفرق بين أحد منهم ، ولا يتأثر بأى فوارق بينهم ويتقبلهم جميعا بغض النظـر عن عيوبهم ، وبالرغم من إنحرافهم واعوجاج سلوكهم إلا أنه يحترمهم ويحبهم ، وإن إحترامه لهم وحبهم لم تتأثر بالرغم من كل ذلك ، وهو فى كل هذا لا ينتظر منهم جزاء أو شكورا وفى نفس الوقت يظهر لهم عدم رضاه على هذا السلوك المنحرف ولكن بصورة طيبة لا تؤذى مشاعرهم ولا تجرح أحاسيسهم .

وليس معنى ذلك أنه يحب ولا يكره ولا ينفعل ، لا فهو كبقية البشر يحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ولكن بالصورة التى يتحكم فيها فى مشاعره وإنفعالاته ، لأن التربية الإسلامية علمته كيف يتحكم فى تلك المشاعر ، وليس معنى ذلك أنه يكبت المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ويعبر عنها بالإنفعالات والكلمات التى لا تؤذى أحد ولا تغضب الله وفى نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويعها لصالح العلاج ، فهو يستغل نتائج الحب فى اكتساب ثقة ومحبة هؤلاء الأحداث المنحرفين ويساعدهم على التخلص من مشاعر الكراهية ويعلمهم كيف يفرغونها فى إتجاهات أخرى حتى لا تنعكس على المجتمع فى صورة سلوك منحرف . وهكذا يدرب إرادتهم ويقويها عن طريق ممارسة الحب ونبذ الكراهية والبغض وتعميم هذا الحب وتوسيع رقعته حتى يعم كل الناس وينتشر فى أنحاء المجتمع وبذلك ينجح فى تقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

وعندما يظهر الأخصائى الإجتماعى بهـــذه الصورة أمام هؤلاء الأحداث المنحرفين ، سيتعلمون منه الحب ، ويتأثرون بإرادته القوية ، فتقوى إرادتهم ، ويصبحون قادرون على التحكم فى مشاعر البغض والكراهية حتى لا تنصرف

بارتكاب السلوك المنحرف ، بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التي تعود عليهم بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الإتجاه وهو الأسلوب الثالث من أساليب تربية الإرادة ، أما بعض الغرائز التي لا يمكن اشباعها عن طريق تحويل الاتجاه ولا يمكن التحكم فيها فان الأخصائي الإجتماعي يساعدهم على وقف سيرها ، ويمنعها عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل الصوم والصلاة والزكاة .

وهكذا يعلمهم الأخصائي الإجتماعي أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لنا سبيلا على غرائزنا من ناحية تكوينها وانبعاثاتها الطبيعية ولكن جعل لنا سلطانا عليها في ضبطها وتوجيهها وتنظيم آثارها العملية .

كما يمكن للاخصائي الإجتماعي تقوية الارادة وتربيتها عن طريق الايحاء الذي يستمد من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، والايمان به والاعتزاز بقدرته وقوته ، باتباع الطريق السوي ، طريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الاسلام ، وكثيرا ما ينجح الايحاء في المواقف التي لا يصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر ، وعندما يحاول الأخصائي تطبيق الايحاء في تقوية إرادة الأحداث المنحرفين ، فانه يساعدهم على أن يتخيلوا بعقولهم ما يريدون عمله ويعبروا عنه تعبيرا دقيقا ، ثم يساعدهم على أن يفكروا بدقة وعناية في العقبات والأسباب التي تمنع تحقيق ما يريدون ، وما هي المشاعر التي تحول دون السير في خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلا منهم على أن يستشعر في نفسه القوة والقدرة ، على ممارسة تلك الأساليب العلاجية ، وعندئذ تقوى إرادته ويصبح على إستعداد لممارسة الأساليب العلاجية التي يقترحها عليه الاخصائي الإجتماعي ، وبذلك يتم تقويم الإنحراف وتعديل السلوك .

أما أسلوب الترك والمنع والزهد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الارادة وتقويتها ، لأن الحدث المنحرف لو كان قادرا من البداية على منع نفسه من تحقيق أهوائها ، لما سار فى طريق الإنحراف ولما اتجه إلى الانحرافات السلوكية التى قام بارتكابها .

ولذلك فان الأخصائى يقف بجانبه يشجعه ويوجهه ، يساعده ويعينه ، مستعينا بالحب والمودة والثقة فى مساعدته على رياضة النفس ومجاهدتها عن طريق كفها ومنعها عما تحبه وتشتهيه ، ويدربه على ذلك بالصبر والتدريب أن يصبح قادرا على الاستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكما فى كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائى الإجتماعى فى ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل الصوم والزكاة والصلاة ، فالصلاة تمنع عن الفحشاء والمنكر ، وتساعد على كف الغرائز ومنع الشهوات ، والزكاة تساعد على حب الخير وكف النفس ومنعها عن الشح والبخل ، والصوم يساعد على كف النفس ومنعها عن الشره فى الأكل والشرب والجنس ، وعندما تقوى الإرادة ويتم تنميتها يستطيع الأخصائى الإجتماعى تقيم السلوك وعلاج الإنحراف .

وعندما تقوى الإرادة تنضج الشخصية وتنمو ، ونمو الشخصية ونضجها هو هدف العلاج الإسلامى ، حيث إن الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الإنحراف والابتعاد عن السلوك المنحرف وتصبح شخصية متوافقة تلتزم بآداب التربية الإسلامية .

هناك أسلوب آخر لتقوية الارادة وتربيتها وهو التأمل والتفكر فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية ، كانت أكثر جاذبية للارادة . ودافعة إلى

العمل بموجبها ، ولهذا دعا الاسلام إلى استمرار التأمل والتفكر فى دلائل الله وآياته فهى التى تهدى إلى الحق وتوجه إلى طريق الهدى والخير ، والاخصائى الاجتماعى يساعد الاحداث المنحرفين على تحقيق ذلك من خلال المناسبات والرحلات والمشاهدات المختلفة التى يوضح لهم فيها قدرة الله وعظمته التى توحى لهم بالخير واتباع طريق الهداية ، فتقوى الإرادة وينجح العلاج الاسلامى فى تنمية النفس البشرية :

وبهذا الأسلوب الاسلامى فى تنمية الارادة يستطيع الاخصائى الاجتماعى مساعدة الأحداث المنحرفين وتنمية شخصياتهم وتربية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ويصبحون قادرون على آداء أدوارهم الاجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذى وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

٢ — تنمية الضمير :

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور ، آمرا بالخير أو ناهياً عن الشر وإن لم ترج مثوبة ، أو تخشى عقوبة .

والإمام الغزالى يرى أن الانسان ليس مسئولا عن مراقبة ضميره إذ هو لا يعرفه ، وإنما يسأل عن مراقبة ربه وخشيته فى السر والعلانية ، فليس هناك جارحة باطنية تدرك الخير والشر ، وإن لم تتعرض لها الشرائع ، وإنما هناك رباً يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، والمرء عن خشيته مسئول (١) .

---

(١) د. زكى مبارك ، الأخلاق عند الغزالى ، المكتبة الرحمانية بمصر ، مصدر سابق ، ص ١٤٨ .

أما ابن مكسوية فحين يتكلم فى كتابه تهذيب الأخلاق عن النفس وقواها ، يذكر أن من بين هذه القوى قوة باطنية عاقلة ، هى قبس النور ، قذف بها الخالق إلى النفس البشرية ليكون لها هادياً ومرشداً .

وخلاصة ما يمكن استخلاصه من تعريفات الضمير هو الرأى المختار الذى يأخذ من كل الآراء المتقدمة بطرف ، ويطرح منها ما كان مثارا للنقـــد والاعتراض ، وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية فى كل إنسان .. وإن كان للتربية العقلية والأدبية دخلا فى نموها وتحقيق كمالها . ولعل هذا ما أراده الإمام الغزالى عندما سماه أولا (نوراً إلهيــــاً) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية ، وثانياً (معرفة) مما يبيح لنا القول بانه قابل كذلك للتأثر فى نمو ، وكمال حقيقته بعوامل التربية (١) .

إن التربية القرآنية إهتمت بتربية الضمير وتهذيب الشعور الأخلاقى ، ومن أمثلة هذه التربية قوله فى التنفير عن الغيبة « ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » (٢). وبذلك صور هذه الجريمة فى أبشع صورة تتقزز منها النفوس ، وفى النهى عن الكبر والعجب والخيلاء « ولا تمشى فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا »(٣).

ومن التحذير فى التسرع فى الحكم على الآخرين قوله تعالى . « فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٤) .

---

(١) العمدة والأخلاق . مصدر سابق . ص ٢٢ .
(٢) سورة الحجرات : (١٢) .
(٣) سورة الاسراء : (٣٧) .
(٤) سورة الحجرات : (٦) .

فانظروا كيف حذرنا مقدما من عمل ما قد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه .

ثم أنظر كيف نفرنا القرآن من جريمة الزنا « ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا »(١) وفى الحث على غض البصر وطهارة الذيل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم »(٢) .

هذه قطرات من بحر ، ففى القرآن الكريم أكثر من ألف موضع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو ، وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط ، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقى ، هذا هو تقدير الاعمال بقيمتها الذاتية وذلك كله إيقاظا لضمائرنا وإنارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية حتى إذا قمنا بأى عمل بعد ذلك أستطعنا أن نحكم عليه وعلى أنفسنا (٣) . فإذا جاء طبق هذه الخطوط المرسومة المستقيمة ، محققا لهذه المثل العليا شعرنا بالرضا والطمأنينة ، وقرت أعيننا بهذا التوفيق « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية »(٤) وإن جاء منحرفا عن هذا الطريق المستقيم ، نازلا من هذه الدرجة الرفيعة ، شعرنا بالندم ، وقاسينا الوخز الداخلى ، والتأنيب القلبى « فأثابكم غما بغم »(٥) ، « ولا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »(٦) .

---

(١) سورة الاسراء : (٣٢) .
(٢) سورة الشورة : (٣٠) .
(٣) دراسات اسلامية . مرجع سابق ص ٧٣ .
(٤) سورة الغاشية : (٩) .
(٥) سورة آل عمران : (١٥٣) .
(٦) سورة القيامة : (٢) .

وفى التحريض على مجازاة السيئة بالحسنة « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (١) .

فى كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يزود محكمة الضمير بالمصابيح التى تبرز أمامها كل عمل من أعمالنا ، وتصور ما فى طبيعته من حسن وجمال، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ، ثم رأيناه يعرض علينا عمل هذه المحكمة فى تحضير قضاياها وفى إصدار أحكامها (٢) .

وبذلك يصبح الضمير رقيبا وحسيبا على كل أفعالنا بعد أن رباه القرآن أحسن تربية وكونه الإسلام أحسن تكوين ، مستخدما فى ذلك التنمية الخلقية التى تعمل فى تربية الضمير أسلوبا علاجيا فعالا من أساليب التنمية النفسية . وعندما تهتم التربية الإسلامية بالنفس البشرية ، فانها تهدف إلى تعديل السلوك ، وتقويم الإنحراف . وعندما يتم تنمية الضمير ينعكس ذلك على تنمية الارادة ، ويصبح الإنسان ذا إرادة قوية وضمير حى ، والإرادة القوية والضمير الحى هما سبيل الصحة النفسية .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الاسلامى فى علاج إنحراف الأحداث يعرف جيدا أن القانون الأخلاقى قد طبع فى النفس الانسانية منذ نشأتها « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها »(١) ، غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو مصالح مباشرة أو عادة من العادات المؤثرة ،

---

(١) سورة فصلت : (٣٤) .
(٢) دراسات إسلامية : مصدر سابق ، ص٧٤ .
(٣) سورة الشمس : (٤) .

وكلها تلقى أنواعا من الظلال على نور البصيرة الفطرى ، كما أن الضمير فى بعض الأحيان قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة، وعندئذ يقوم الأخصائى الاجتماعى بمحاولة ايقاظ تلك الضمائر، وإزالة الغشاوة عن النور الفطرى الذى أودعه الله فى الناس جميعا ، وبذلك يظهر النور الفطرى وينتشر، ويملأ جوانب النفس ، وهنا ينتهز الأخصائى الاجتماعى تلك الفرصة الطيبة ليدعمها بتعاليم الدين الاسلامى ويقويها بوحى النور الالهى « نور على نور » وعندئذ تصفوا النفس البشرية وتصبح قادرة على التمييز بين أنواع السلوك المختلفة ، فتميز بين الشر والخير ، والنافع والضار ، مثل تمييزها بين الجميل والقبيح ، كما تميز بين الفعل الحسن والفعل القبيح الذى يثير فيها مشاعر جديدة مختلفة ، تجعلها تمتدح بعض أنواع السلوك وتستهجن البعض الآخر .

وهكذا يستطيع الأخصائى الاجتماعى تقويم إنحراف الأحداث وتعديل سلوكهم بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأنار البصيرة المظلمة وأصبح للارادة قوة وفعالية تحفزها للعمل . والأخصائى الاجتماعى يستعين فى ذلك بشتى أساليب العلاج الاسلامى السابق ذكرها لتحقيق هـذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الاخصائى يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث أن الكمال لله وحده ، ولـكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التى تضع الضمير الانسانى فى وضع متوسط بين (المثالى) و (الواقعى) وتجعله يدمج بينهما . وهذا الدمج يؤدى إلى تغيير مزدوج فى كليهما بحيث يخفف من علياء المثالية ويرتفع بشأن الواقعية ليصبح ضمير الانسان متفاعلا مع الواقع بما يساعده على تحقيق وظائفه الاجتماعية ، وعندئذ يعيش الانسان سعيدا ، مستريح النفس ، قوى الارادة ، متزن الضمير .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق الصلاح الاسلامي عن طريق التنمية النفسية فإنه يسترشد بالتربية القرآنية في تنمية الضمير وتدريب الارادة وتقويتها وذلك عن طريق العبادات المختلفة مثل تنمية الارادة بالصوم والصلاة والزكاة .. الخ من بقية العبادات .

فمثلا تنمية الارادة بالصوم الذي يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات (أذق نفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشراب والطعام خلال ساعات محدودة) ، إنه أولا وقبل كل شيء نوع من التدريب المفروض على الارادة الانسانية حتى تحصل منها على قدر من الانتظام والثبات في خضوعها للارادة الالهية ولما كانت إرادتنا سيدة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، ولكنها نائبة الرئيس ان صح هذا التعبير – أمام الخالق فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين باتباع أحدهما للاخر . وخيرها يكمن في التزامها بدور الوسيط الذي يعرف قدر نفسه ، وشرها في أن تقلب هذا النظام الأصلي ، فتتردى إلى أسفل وتكون مسترقة للشهوات .

وهكذا تلتقى نائبة الرئيس (أي الارادة) بمناسبة عمل أحد أمرين متعارضين ، في كل يوم مرتين : أحدهما بأن تكف ، والآخر بأن تعمل ، فإذا ماحرصت ارادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين في مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر ؟ فياله من ترويض لتلك الارادة ، (١) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائي الاجتماعي تحقيقه بتعليم الأحداث المنحرفين الصلاة وتعويدهم عليها ووجوده معهم باستمرار أثناءها وخاصة بالمسجد ، ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها ، حتى يتوجهوا إلى الله

---

(١) الدستور الأخلاقي مصدر سابق ، ص٦٣٨ .

بفكر خالص ، اليس فى توجه الانسان المؤمن الى الله بفكر خالص راحة كبرى لنفسه ؟ ويتم ذلك بلغة خاصة ومناجاة مخلصة ، تنير ذلك الفكر وتوقظ ذلك الضمير الى راحة النفس . ثم خشوع البدن الذى تتجسد فيه الفكرة كاطار لتلك الفكرة وهو فى الوقت نفسه مجسد لها ، فيتعلم ، الحدث أنه لا يصل الى مكان المناجاة الخاصة الا بعد اتخاذ عدة اجراءات شبيهة بما يتخذه المرء قبل زيارة شخصية وقيمة ، فاننا بذلك نؤكد تأكيدا مضاعفا شعورنا بالاحترام لهذا الاستقبال .

وعندما يتعلم الحدث الصلاة ويخلص فى أدائها ، سيستيقظ ضميره ، وتقوى ارادته ، وينجح الأخصائى الاجتماعى فى تقويم انحرافه وتعديل سلوكه .

لقد اهتم العلاج الاسلامى بالتنمية النفسية لما لها من تأثير بالغ على نفوس البشر ، ولقد قدمت الشريعة الاسلامية الكثير من الأساليب والوسائل العلاجية والوقائية فى آن واحد حتى تحقق التربية الاسلامية اهدافها .

لقد وضع الله نظما للوقاية والعلاج من الانحرافات النفسية التى تصيب الانسان بصفته فردا قائما بذاته أو باعتباره عضوا فى المجتمع .

فقد وضع فى كل انسان عقلا يفكر به وتكون مهمته التمييز بين الطيب والخبيث . والاسلام يطلب من كل منا أن يحكم عقله ويراجع نفسه فى التكاليف والأوامر والنواهى وتكاد لا تخلو سورة بل صفحة من القرآن الا ويطالبنا فيها القرآن بتحكيم العقل أو يلومنا على عدم تحكيمه ويصفنا بالعمى والصمم ويشبهنا بالدواب لعدم تحكيم العقل ولا سيما بعد ذكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على الحق . وتعبيرات الكتاب الكريم تنطق بأن وظيفة العقل هى هداية الانسان الى الايمان بالله عن طريق التفكير فى آياته ومخلوقاته والانتفاع

بكل ما وهبه الله للانسان من قوى فى تجسيم هـذا الإيمان ، وتحويله من مجرد تصديق نفسى الى صورة حية ناطقة ، أى أعمال طيبة تعود عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه بالخير » (١) .

ومن يتقصى أثر الايمان فى النفس البشرية يتعجب لما يراه من صنع هذا الايمان . فالايمان يطهر النفس وينمى معانى الخير فيها ، ويعالج ما يعتريها من حال أو يلم بها من تغيير .. والايمان ذخيرة حية نابضة لاتنفذ فى مدها الانسان بالقوة والصبر والطمأنينة والأمل فى معركة الحياة المليئة بالحركة والصراع بين الخـير والشر وبين الحق والباطل ، والايمـان نور وضاء اذا ابتعدت النفس عنه أو ابتعد عن النفس عاشت فى ظلام وانقطع عنها المدد الذى يمـدها بالأمن والأمان فتشل فيها قوى الخـير وبالتالى تنعدم فيها عناصر الاستقرار فتكون النفس فريسة سهلة للقلق والاضطراب . وقد يمزقه اليأس وتتحكم فيـه ردود الأفعال (٢) فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب . قال الله تعـالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خـير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » (٣) .

ومن يحيا فى رحاب الايمان يعيش حياته فى رؤية واضحة فيدرك سنة الله فى خلقه وقضاء الله وقدرته فتطمئن بذلك نفسه لأن يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فلا يتسرب الى نفسه الشك أو القلق بل يسير فى دنياه سعيدا مطمئنا (٤) .

---

(١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ص ٢٠١ .
(٢) نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٣) سورة الحج : (١١) .
(٤) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ١٩١ .

ومن ذلك يتضح لنا أن الايمان فيه الوقاية والعلاج للنفس البشرية ، فهو الذى يطرها ويزكيها ويبعث فيها الآمن والطمأنينة ، والراحة والهناء ، والنور والضياء ، فيجعلها نفس آمنة مطمئنة ، راضية مرضية تعيش فى سعادة وهناء .

٣ – رياضة النفس ومجاهدتها هى محاولة السيطرة عليها والتحكم فيها بفطمها عن العادات المألوفة والشهوات المرذولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ما تهواه فى كل وقت وحين ، فاذا انهمكت النفس فى الشهوات وجب احكام لجامها بالتقوى والخوف من الله . وإذا توقفت عن القيام بالطاعات ساق الانسان نفسه بسياج الخوف ، فخالف هواها ومنع عنها حظوظها »(١) .

ورياضة النفس ومجاهدتها بالمراقبة والمحاسبة . لأن الانسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ويلتزم طريق الحق ، فيتعدل السلوك ويقوم الانحراف .

والنفس اذا تركت دونما تهذيب وتربية وتأديب ، انحرفت على الاستقامة وسارت فى طريق الغواية ، واندفعت الى النقائص ، وابتعدت عن السواء ، واغترت بشيطانها فتزاحمت عليها الخواطر المذمومة ، واستبد بها الكبرياء والتعاظم ، وغلبها الرياء والنفاق ، فتدور فى فلك الأهواء ، وتتقاذفها أعاصير القلق والاضطراب ، وأحالها الرعب والفزع إلى الحقد والحسد ، والعدوان والاسفاف . وبذلك تجنح سفينة النفس فى بحر متلاطمة أمواجه ، لا شاطىء له ، فلا تنتشل من ضياعها إلا برحمة الله (٢) .

---

(١) عبد القادر الجيلانى ، « الغنية » ص١٨٣ .

(٢) د. حسن محمد الشرقاوى ، نحو علم نفس إسلامى ، مصدر سابق ، ص ٢٥٠

هذه الحالة السيئة للنفس البشرية وما ترتب عليها فى شحنات المشاعر السلبية التى ظهرت فى صورة القلق والاضطراب والرعب والفزع والحقد والحسد والعدوان من الاعراض التى يعانيها الأحداث المنحرفين وتجعلهم فى مسيس الحاجة إلى العون والعلاج . وعندئذ يتقدم الاخصائى بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلى :

أ ـ تفريغ الطاقة النفسية

« من وسائل الاسلام فى تربية الانسان وفى علاجه كذلك، تفريغ الشحنات المتجمعة فى نفسه وجسمه أولا بأول، وعدم اختزانها إلا ريثما تتجمع للانطلاق وبذلك يقى النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة فى علم النفس ، فلا تنشأ فيها تلك العقد المدمرة ، والاضطرابات التى تبدد طاقاتها ويعالجها كذلك بنفس الطريقة اذا حدث ـ لسبب من الأسباب ـ أن أصيبت بذلك الانحراف . ولا شيء يعالج النفس أكثر من اطلاق شحنتها فى عمل ايجابى يحقق كيان الإنسان ، ويحقق احساسه بذاته ، ويفرغ كذلك تلك الافرازات المختزنة التى تسبب المرض والاضطراب »(١) .

وهذه العملية هى التى يسميها علم النفس بالافراغ الوجدانى أو التنفيس الوجدانى لتلك المشاعر والأحاسيس التى تمثل ضغوطا داخلية على نفس الانسان وتجعله يعانى من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذى يدفعه إلى الانحراف أو ارتكاب السلوك المنحرف كأسلوب من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية . فاذا كان القلب ممتلئا بالباطل أعتقادا ومحبة ، لم يبق فيه لاعتقاد الحق

---

(١) محمد قطب . مصدر سابق . ص ٢٥١ .

ومحبته موضع ، كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل . وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها . فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وارادته والشوق اليه والأنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وارادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره . ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته إلا اذا فرغها من ذكر غيره وخدمته. فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه . وسر ذلك أن اصغاء القلب كاصغاء الأذن ، فاذا أصغى لغير حديث الله لم يبق فيه اصغاء ولا فهم لحديثه ، كما إذا مال لغير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى محبته ، فاذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكر اللسان(١) .

وهكذا نرى أن تحلية النفس بالايجابيات مشروط بتخليتها من السلبيات والأضداد دائما متنافرة ، فلا يستوى الحسن مع القبيح ، ولا الطيب من الخبيث ، ولا الخوف مع الأمن ، ولا الحب مع الكراهية ، ولا الحسد مع تمنى الخير للاخرين .

ولذلك يحرص الاسلام على افراغ النفس من سلبياتها وتحليتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يدعمها ويطهرها وينقيها ، فيتبدل الخوف أمنا ، والكراهية حبا ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة تتقبل كل تعديل وتسعى

---

(١) ابن قيم الجوزية . الفوائد . دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، ص ٤٣ .

لكل تغيير يعود عليها بالنجاح والفــــلاح ، وعندئذ تبدأ النفس فى الرياضة والمجاهـدة .

والعلاج الإسلامى يفرغ هذه الطاقة ويطلق شحنتها بطريقة ايجابية يحقق فيها الانسان كيانه ، ويحس بذاته . . ومن أمثلة ما يلجأ إليه الإسلام من تفريغ طاقة الكره ـ وهى طاقة فطرية طبيعية ـ فى كـره الشيطان واتباع الشيطان ، والشر الذى ينشئه الشيطان وأتباعه على وجه الأرض . بهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامة مبعثرة لنشاط الانسان ومسممة لكيانه ، وفى نفس الوقت يتحقق بها كيان إيجابى للفرد ، حين يعمـــل فى واقع الأرض لمقاومة الشر ، ويتدرب كيانه وينضج بهذه المقاومة والجهاد . وفوق ذلك يتحقق هدف انسانى أعلى ، بتنظيف المجتمع من الفساد والشر ، وتتحقق الغاية من خلق الأنسان وتكريمه وتفضيله واستخلافه فى الأرض » .

والإخصائى الإجتماعى يحاول اتباع نفس الاسلوب مع الأحداث المنحرفين، فهم غالبا ما يعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم والمجتمع ، فتدفع بهم تلك المشاعر الى الانتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التى يسعى الإخصائى الاجتماعى الى علاجها . ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة وتخلية النفس من مشاعر الـكراهية بتوجيهها للشيطان تارة ، ولاعداء الاسـلام تارة أخرى ، ولكل سلوك منحرف أوصفات مذمومة ، أو أخلاق سيئة ، وبذلك يتحررون من ضغوطها ويستريحـون من توتراتها ويستبدلونها بألوان أخرى من المشاعر الايجابية التى تدعم كيانهم وتبنى نفوسهم فلا تنحرف ولا يصيبها الاضطراب .

وكما أن العـــلاج الاسلامى اهتم بتفريغ الطاقات والمشاعر السلبية مثل

الكراهية فقد اهتم أيضا بتفريغ الطاقات والمشاعر الايجابية مثل الحب في حب الله والكون والناس والأحياء والخير بوجه عام . لأن هذه المشاعر والطاقات اذا لم تفرغ أولا بأول فسيكون لها آثار سلبية وعواقب سيئة لأنها ستتحول الى طاقة هدامة مدمرة لكيان الانسان، وذلك عندما يحولها الى نفسه . الى ذاته . . الى عشق الذات وعبادتها ، أو يحولها الى معشوقات صغيرة في عالم الحس من طعام وشراب وجنس ولذائذ ، أو يحولها الى حب الفاسد من الناس ، أو الى أشياء وأفكار تتنافى مع قيم المجتمع .

ولكن الاسلام عندما يهتم بافراغها أولا بأول فانه يريد أن يضمن افراغها منصرفها الصحيح ، فتتحول الى ثمرة جنية في داخل النفس وفي واقع الحياة . تنصرف في سبيل الخير ، وتعطي الانسان كيانا ايجابيا فاعلا ، وتحقق غاية الله من خلق الناس .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الاسلام الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والانتاج والتعمير . . تفريغا بنائيا انشائيا ، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من انقاض ، ويبني في مكانه الحق والعدل . ويعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها اضطراب(١) .

والإخصائي الأجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي لعلاج الأحداث المنحرفين فانه يسير على نفس النهج ويهتدي بتربية الإسلام ويعمل على افراغ الطاقة والتنفيس عن المشاعر السلبية منها والإيجابية حتى لا تسبب ضغوطا نفسيه وتوترات واضطرابات تدفع الحدث الى افراغها في ألوان السلوك المنحرف

---

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص٢٠٢ .

الذى يتهيأ له ، وكما أفرغ طاقة الكراهية وما شابهها من طاقات سلبية فانه يفرغ الطاقة الإيجابية أيضا ، فمثلا طاقة الحب التى أفرغها الحدث فى حب المال وحب اللــــذات المختلفـة وفى حب الجنس وأصدقاء السوء ، فان الأخصائى الإجتماعى يساعد الحدث على افراغ تلك الطاقات الإيجابية وتحويلها إلى مسارات إيجابية تعود عليه بالخير والنفع ، وتعود على المجتمع بالنماء والبناء وفى سبيل ذلك يهيء لهم العديد من البرامج والأنشطة المختلفة التى يفرغون فيها تلك الطاقات ويكتسبون منها المفيد من الخبرات وهو الذى يساعدهم على تحويل طاقة الحب إلى حب العلم أو حب هواية مفيدة ، أو حب عمل يتكسب منه ، وبدلا من حبه لنوعيات فاسدة من الناس يعلمه كيف يحب النوعيات الطيبة من الناس ، بل يجعله يحب كل الناس، فعن طريق ارتباطه بالمسجد يحب الله ويحب التقرب إليه وعبادته ، ويحب المؤمنين الصالحين الذين يلتقى بهم دائما فى مختلف الصلوات ، كما يكون له جماعات من القرناء داخل المؤسسة من نوعيات مختارة، يجد بينهم الصداقات المخلصة ، فيحبهم ويحبونه ، ويأخذ مكانته المناسبة بينهم ، فيشعر باحترامه لنفسه ، ويحقق كيانه ويحس بذاته ، ويشبع حاجته إلى الانتماء.

إن الطريق الحـق لعلاج النفس من أمراضها إنما يكمن فى تخليـة النفس (افراغ الطاقة) من نزعاتها الشهوانية وأهوائها النفسية وأوصافها المذمومة ، وتحليتها بالأوصاف المحمودة ، وبذلك يمكن شحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادىء سامية قويمة ، حتى تتغير حال النفس وتتطابع بالمثل العليا ، والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا .

ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية السليمة ، والتنشئة على محبة الفضائل، والتمسك بمكارم الأخلاق، والتبصر بطريق الله ، وبالصبر على المكاره ، وتحمل الفاجعات،

والزهد فيما عند الناس ، والصبر على الابتلاءات ، والرضا بالاختبارات وبهذا الطريق ، وحده ، تتفوق النفس على أنانيتها ، وتقوى على شيطانها ، فلا تنزع إلى الأهواء ، ولا تميل إلى الشهوات(١) .

ولكى تتم المرحلة الأولى من رياضة النفس ومجاهدتها وهى تخلية النفس من عاداتها المذمومة ، فلا بد من الاعتراف بالذنوب والعيوب واخراج هذه العيوب إلى النور ، كما قال موسى لربه بعد قتل المصرى خطأ « رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى » (٢) .

وكما نادى يونس ربه فى الظلمات « لا إله إلا أنت سبحانه إنى كنت من الظالمين » (٣) .

وهكذا يكون الاعتراف بالذنوب ، وهكذا تتم التوبة الصادقة كما يعلمنا القرآن .

ولذلك عندما يلجأ الأخصائى الإجتماعى إلى استخدام العلاج الإسلامى فى تقويم انحراف الأحداث ، فانه يبدأ بتخلية النفس من عاداتها المذمومة ومن طاقاتها ومشاعرها الضاغطة مثل الحقد والكراهية والخوف والحسد والعدوان ، كما يطلق طاقاتها ومشاعرها الايجابية مثل الحب والأمن والانتماء ... الخ .
ولكى يتمكن الأخصائى الإجتماعى من عملية افراغ الطاقة وتخلية النفس فلا بد أن يعتمد على علاقة قوية مبنية على المحبة الخالصة التى تعتبر من أهم مبادىء

(١) د حسن الشرقاوى « نحو علم نفس إسلامى » مصدر سابق ، ص ١٠
(٢) سورة القصص : ١٦ .
(٣) سورة الأنبياء : ٨٧ .

الخدمة الإجتماعية الإسلامية ، وعندما يتبادلان الحب ستظهر الثقة الكاملة بينهما، وسيتعاملان معا على أساس الاحترام المتبادل والثقة والمحبة . وعندئذ يسهل على الأخصائى الإجتماعى مساعدة العميل على الاعتراف بكل ذنوبه وعيوبه واظهارها إلى النور ، والتعبير عنها بحرية كاملة ، وبذلك يسهل التغيير ويتم التبديل ويصبح الاخصائى الإجتماعى قادرا على تطبيق أساليب العلاج الإسلامى التالية .

ب شحن الفراغ النفسى

كما يفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس وكلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فانه فى الوقت ذاته يكره الفراغ مفسد للنفس افساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية . لملء الفراغ ثم التعود على العادات الضارة التى يقوم بها الإنسان لملء الفراغ (١). والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف المحمودة كالمحبة والشفقة والرحمة والتسامح والايثار ، والاخلاص والصدق فى مجاهدة النفس .

وكما اهتم العلاج الإسلامى بملء الفراغ الذاتى الانسان فقد اهتم أيضا بملء الفراغ البدنى لان كلا منهما يتمم ويكمل الآخر ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملء الفراغ عن طريق العبادة وذكر الله فى القلب وغفوة الظهيرة فى الهاجرة، والسمر والبرىء مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب والمعارف والأصدقاء ، والدعابة اللطيفة النظيفة .. إلى آخر أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد فى حياة الإنسان فراغ لايشغله شىء . أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها

---

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص٢٥٢ .

وطرائق حياتها ، لم يترك ذلك فراغا يتحير المسلمون فى ملئه ، أو يملأونه دون شعور منهم لا يفيد . بل جعل لهم فى الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة تملأ الفراغ . كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر أو لعبادة الأوثان أو لسماع الشعر الضال الذى لا يعبر عن هدف إنسانى ، فجمعهم على عبادة الله يؤدون الصلاة جماعة ، ويتذاكرون القرآن جماعة ، ويستمعون إلى توجيهات الرسول (ﷺ) ويتزاورون لمثل ذلك . وكانوا يعيشون فى أعيادهم فسادا ، فألغاها وجعل بدلا منها أعيادا كريمة نظيفة زاخرة بالمعانى الطيبة والأهداف الرفيعة . وهكذا لم يعد فى نفوس المؤمنين فراغ .

وتلك من أنجح الوسائل فى تربية النفس ، خاصة حين تمنع النفس ـ لتقويمها ـ من شىء من رغائبها . فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هـذه الرغبة هى ايجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها فالنفس من الداخل كلها وثيقة الإتصال (١) .

وتحلية النفس بالتقوى ومخافة الله ومحاسبتها وضبط جوانبها والزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى تقـويم إنحراف الأحداث ، لأنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الإنحرافى والتى غالبا ما تكون مخجلة ومؤلمة ، وكثيرا ما قابلها المجتمع بالعقاب أو التأنيب والتوبيخ ، ولذلك يظهر الحدث المنحرف كثيرا من ألوان المقاومة لعملية التخلية والتحلية ، وعندئذ يبذل الأخصائى الإجتماعى مزيدا من الجهد إلى أن ينجح فى تكوين علاقة

---

(١) محمد قطب مصدر سابق . ص ٢٥٣ .

المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التي تكسبه ثقـــة العميل كاملة ، فينجح الاخصائي في تحطيم كل ألوان المقاومة ويبدأ في عملية التغيير ، فيشعر الحدث بالأمن والطمأنينة بدلا من الخوف والقلق وهنا ينتهز الأخصائي الاجتماعي الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم ايجابية جديدة ، ومبادىء سامية قوية ، وعندئذ تحل التقوى والخوف من الله مكان الضلال والفساد والانحراف ، ويحل الحب مكان البغض والكراهية ، ويحل التعاون والايجابية مكان العزلة والسلبية ، وتستبدل الذلة والمهانة بالعزة والكرامة ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا وأكثر سعادة .

جـ ـ التـــوبة

التوبة هي الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية افراغ الطاقة وعملية ملء الفراغ حيث يصبح الانسان في حالة نفسية جيدة ، تجعله قابلا للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامي عن طريق التوبة .

« والتوبة هي ندم الإنسان على ما فات واستغفاره لذنوبه ، ثم الاستقامة على الطاعة من غير ميل إلى المعصية ومن غير عودة إلى فعل الذنب نزولا على هواه وطلبا للطاعة مولاه » وهي ندم القلب ، واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح على عدم العودة للذنب ، (١) وعندئذ يصبح اتخاذها دواء واستعمالها علاجا ، ودوامها شفاء للقلوب ، فهي أسلوب علاجي مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهي أسلوب وقائي مضمون يمنع الانسان من العودة إلى الذنوب ،

---

(١) فوزى سالم عفيفى ، « السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين » ، الكويت وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٥

وهي رصيد مفتوح لمن يخطيء فيستغفر الله ، فيغفر له ، لأن الله يغفر الذنوب جميعا ، لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد في الحديث الشريف « التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » والنبي ﷺ كان يستغفر في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة . وجاء في معنى الحديث الشريف « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وهكذا نرى أن العلاج الاسلامي للافراد يبدأ بتخلية النفس وافراغها من عيوبها وذنوبها ثم تحليتها وملأ فراغها ثم لجأ إلى الأسلوب الثالث وهو التوبة حتى تنقطع الصلة بالماضي المظلم ويحل محله النور كخاطر مضيء ، أشرقت فيه شمس الكرامة الانسانية وانتشرت فيه المحبة الربانية واتجه الإنسان إلى التقوى وامتلأ قلبه بنور الايمان .

والإخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الاسلامي في تقويم السلوك المنحرف ينتهز فرصـــة اعتراف الحدث المنحرف بذنوبه أثناء عملية التخلية والافراغ وما يليها من عمليات شحن الفراغ وتحلية النفس ، فيقف بجانب الحدث المنحرف يشجعه تارة ويمتدحه تارة أخرى حتى يصبح في أحسن حالاته النفسية ، وعندئذ يشجعه على التوبة وقطع الصلة بالماضي والندم على ما فات بما فيه من انحرافات ، والبعد عن المخالفات ، فتنشغل نفسه باللوم عند اقتراف السيئات ، حتى يصير اللوم عادة للنفس وملازما لها ، كلما اقترب من المخالفات أو اقترف السيئات ، وهنا تعلو نفسه إلى منزلة رفيعة ، ومقام عظيم ، بفضل الله وتوفيقه ، وعندئذ تسمى بالنفس اللوامة .

والنفس اللوامة تحمي صاحبها وتمنعه من الانحراف ومن ذلك نرى أن

التوبة هى الباب المفتوح للعاصين ، كما أنها الدرع الواقى للمؤمنين الصالحين ، كما أنها الدرع الواقى للمؤمنين الصالحين ، وهى الرصيد المفتوح لكافة الناس أجمعين ، وقد ورد ما معناه لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفر الله لهم .

د - الرياضة النفسية :

الرياضة النفسية هى مجاهدة للنفس المريضة باضدادها وذلك برياضة النفس الشحيحة على الانفاق ، واكراه النفس الشهوانية على التعفف ، ودفع النفس الانانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع ، واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ... وبمعالجة الضد بالضد تصل النفس إلى الوسط العدل .. وهو صراط الحكمة وهو حظ الكاملين من البشر .

ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة ، والمراقبة هى أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره ، وإنه يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة ، والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام طريق الحق ، وحفظها عن الآفات والنقائص»(١).

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى مع الاحداث المنحرفين يساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف وذلك عن طريق العلاج الاسلامى الذى يعالجهم بالاضداد كما سبق ذكره ويعلمهم تقوى الله ، والخوف من عقابه ، ويقوى فى نفوسهم الايمان الذى يجعلهم يوقنون بأن الله مطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ، ويصلون إلى درجة المحاسبة وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف ، عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

---

(١) حسن محمد الشرقاوى ، مصدر سابق . ص ٢٥٢ .

وإذا استمرت هذه النفس فى مجاهدتها وداومت على الرياضة النفسية وأصبحت نفسا لوامة من صفاتها المراقبة والمحاسبة وتمسكت بالقيم العليا وسارت فى طريق الخير حتى تحظى بالدرجات العليا تستحق أن تلقب بالنفس الطائعة ، الطيعة لله ، فيلهمها الصالحات من الأعمال ويثبتها فى مقام النفس الملهمة .

والنفس التى تمضى فى سياحتها الروحية خالصة لله ، متوكلة عليه .. راضية بما ترتزق به من خير وشر .. تتجاهد جهاد الأبطال .. وتعمل عمل الأبرار .. وترضى بما أعطاها الله من نعم ورحمات .. غير معترضة على ما يختبرها به من امتحانات وابتلاءات متوكلة علية تعالى أبدا .. هذه النفس يرضى الله عنها ، وتستقر فى مكان السكينة ، فلا ترى غير الفضيلة مبدأ ، ولا تختار غير الخير بديلا ، فأمنها مع الحق وأملها فيه وتعالى ، وهنا تسمى بفضل الله النفس المطمئنة (١) . ويصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

ولكى ينجح الاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين عن طريق الرياضة النفسية فلا بد أن يعلمهم خصال أربعة (٢) هى :

• معرفة الله تعالى

ومعرفة الله لا تقتصر على القول والاقناع والاعتقاد فحسب ، بل الايمان قولا وفعلا أن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

---

(١) د. حسن محمد الشرقاوى . مصدر سابق . ص٨٠ .

(٢) د. حسن محمد الشرقاوى . مصدر سابق . ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

فإذا كان الاخصائى الاجتماعى يعرف الله حق المعرفة فسيكون قدوة صالحة أمام الأحداث المنحرفين وعندئذ يتقمصون صفاته ويتأثرون بتوجيهاته ، وينفذون تعليماته ، ويصبح قادرا على ضبط سلوكهم وتغيير نفوسهم ، ومن يعرف الله حق المعرفة لن ينحرف سلوكه بعد ذلك ، وأن يمشى فى طريق الاثم والمعصية بعد أن وضع أقدامه على الطريق المستقيم .

• معرفة عدو الله ابليس

وتصدق معرفة الإنسان لعدو الله وعدوه ابليس بمحاربته فى الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطانى يهجم على النفس ، والتعوذ الدائم من وسوسة الشيطان وتهاويله وأباطيله .. « إن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا »(١) وما إنحرف الأحداث إلا بعد أن وسوس الشيطان لهم ، وزين لهم انحرافهم ، وغرر بهم فأطاعوه ، فضلوا طريق الفلاح ، وأصبحو فى مسيس الحاجة إلى من يخلصهم من إنحرافهم ، ويوجههم عن غيهم ، وهنا يتدخل الاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى آخذا بيدهم إلى الطريق المستقيم ، يوضح لهم ألاعيب الشيطان ويعلمهم كيف يحاربونه فى الظاهر والباطن ، وبذلك يتحررون من طاعته ويحاربون وساوسه وخواطره بعد ان عرفوا أنه عدو الله وعدوهم .

معرفة النفس الأمارة بالسوء

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمارة بالسوء من قوله تعالى «وما ابرىء

---

(١) سورة فاطر : ٦ .

(٢) سورة يوسف : ٥٣ .

نفسى ان النفس لأمارة بالسوء »(٢) وكل نفس لها أمانى تود تحقيقها ، وشهوات لا تشبع منها ، وآمال الدنيا لا تنتهى . والأحداث المنحرفون قد أطاعوا نفسهم الامارة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها ، لانهم مازالوا صغارا ينقصهم النضج وفى حاجة إلى التربية والتوجيه ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا .

ولهذا فإن الاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول إعادة تربيتهم واستكمال توجيههم عن طـــريق التربية الاسلامية التى لم يتعلموها ولم يسمعوا عنها من قبل، والتربية الاسلامية قادرة على اصلاح مافسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم وكيف يعرفون أنها أمارة بالسوء ، وعندئذ يخالفونها فى كل ما تهوى ويجاهدونها بالتقوى والخوف من الله ، بعد أن عرفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدو الله وعدوهم ابليس الذى زين لهم انحرافهم ، وعرفوا النفس بدوافعها وشهواتها ، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

• معرفة العمل لله تعالى

إن الدين الاسلامى دين يقوم على علاقة متينـة بين الانسان وربه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالاعمال الصالحة التى يرضاها الله ويطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا توجيها يحقق الآداب والتشريعات الآلهية تحقيقا عمليا . ذلك أن الكائن البشرى مكون من روح وجسد والاسلام أمام توازنا بين الروح والجسد ، بين الواقع البشرى الاجتماعى ، والأهداف والتشريعات الالهية المثالية . فهو يترجم هذه الاهداف دائما إلى سلوك عملى يحقق متطلبات الطبيعة البشرية ومقتضيات الشريعة الالهية فى وقت معا .

لذلك كان لأعمال الانسان المكانة الاولى فى نجاته من عقاب الله يوم

الحساب .. (١) ولذلك اهتم الاسلام بالعمل لانه مجاهدة النفس وجهاد أكبر فى سبيل الله ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، (٢) ، كما قال سبحانه وتعالى ، ولكل درجات مما عملوا ، (٣) ، انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، (٤) ، ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، (٥) . . ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهد تطبيقا لمبادىء الاسلام وتحقيقا لاحكامه .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين يعلمهم كيف يوجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم توجيها يحقق الآداب الالهية تحقيقا عمليا ، ويؤكد لهم قيمة الأعمال الصالحة ، وما لها من مكانة فى نجاة الإنسان من عقاب الله ، حيث أن العمل الانسانى هو عمل لخير الدنيا والآخرة ، ويحثهم على أن يعمل كل منهم لآخرته كأنه يموت غدا ، كما يعمل كل منهم لدنيا كأنه يعيش أبدا ، وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف ، ويتوبون عن الاثم والمعصية ، ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصا لله تعالى .

ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابعة من المعرفة .. معرفة الله تعالى، ومعرفة عدوه ابليس ، ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ومعرفة للعمل لله تعالى وهو الجهاد الاكبر فى سبيله .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى مرجع سابق . ص ٢٢٦ .
(٢) سورة التوبة : ١٠٥ .
(٣) سورة الأحقاف : ١٩ .
(٤) سورة الكهف : (٣٠) .
(٥) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

والأخصائي الاجتماعي يحاول توصيل تلك المعارف للأحداث المنحرفين كمحاولة لوضع أقدامهم على بداية الطريق العملي للرياضة النفسية ، وفي تلك المحاولة يسعى إلى اكسابهم عشرة خصال - حددها بعض الأئمة - يجب أن يتصف بها الإنسان الذي يريد أن يعرف طريقه إلى المجاهدة ورياضة النفس هي :

* لا يحلف الانسان صادقا ، ولا كاذبا حتى يعود لسانه على ذلك « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا » (١) .

* أن يتجنب الكذب هزلا أو جدا حتى لا يتعود على عادات سيئة . « يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) . « يظل الرجل يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

* أن يتجنب أن يخالف وعده إلا لسبب أو عذر فوق طاقته ، وذلك لأنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

* ألا يؤذي أو يلعن أحداً من الخلق ، لأن الذي يؤذي الآخرين يستمرىء ذلك ، فيتولد في نفسه الحقد ، وحب الاعتداء ، والسخرية ، والاستهزاء وهذا باب الجنوح عن الحق والوقوع في الضلال . « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم » (٢) .

* ألا يدعو على أحد من الناس وإن ظلمه ليبقى لبه متطهرا ، تصديقا لقوله تعالى : « أدفع بالتي هي أحسن » (٣) :

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

(٣) سورة فصلت : ٣٥ .

* أن لا يحكم على أحد بالشرك أو الكفر أو النفاق ، وذلك خوفا من الوقوع في الاثم . . والتعجب والنظر إلى نفسه بعين الكمال ، إذ ربما يكون الآخر عند الله أفضل منه .

* أن يتجنب النظر إلى شيء من المعاصي ، ظاهرا أو باطنا ، فإذا أداهمته الغواية ، فعليه التوجه إلى الله وذكره تعالى ليساعده عند الشدة ولن يخذله الله تعالى ما دام صادقا في طلبه ، وعليه أن يمسك جوارحه عن الاقدام في المعصية ، وهذا أفضل الأعمال ثواباً .

* أن يتجنب ما استطاع أن يحمل الناس حاجته ، صغيرة كانت أو كبيرة لأن الارتكان على الغير يعود النفس على الخمول ، والاهمال والتكاسل عند السعي ، وهذا باب التقاعس عن حقوق الله ، وعلى الانسان أن يسد بابه .

* أن ينقطع نهائياً عن الطمع في نفسه وفي الخلق ، وهذا سبيل الصدق مع الله ، إذ الطمع يولد كثرة الطلب للحظوظ ، والنفس لا تشبع من الحظوظ مهما أعطيت فإذا اعتادت الطمع شرهت للحرام ووجدت لذتها فيه .

* أن يتواضع ، والتواضع هو أصل الطاعة كلها ، وهو كمال التقوى ، فلا ينظر لأحد الناس إلا ويراه أفضل منه عند الله ، إذا كان صغيرا يقول : هذا لم يعص الله ، وأنا قد عصيت فلا شك أنه خيرا مني . . . وإذا كان كبيرا يقول هذا صلى وصام وعبد الله قبلي فهو أفضل مني ، وإن كان جاهلا يقول : هذا عصى الله بجهله وأنا أعصى الله بعلمي ، ولا أعرف بما يختم الله له وما يختم لي . . وإن كان كافرا قال : لا أدري عسى أن يسلم فيختم الله له بخير العمل ، وعسى أن أكفر فيختم الله لي بشر العمل (١) .

---

(١) الإمام عبد القادر الجيلاني « الغنية » ص ١٨٩ .

وإذا تمكن الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى من إكساب العملاء وخاصة الأحداث المنحرفين تلك الصفات الطيبة فسينجح فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، ولكى ينجح فى ذلك فلا بد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم لأن ما يشعر به الأحداث ويتقمصونه من القدوة الحسنة أكثر تأثيرا وثباتا مما يسمعونه بالقول ، ولا بد من تدعيم القول بالفعل ، وبذلك يعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

ويقول الإمام عبد القادر الجيلانى (١) « كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة ، أحياها الله ، فإذا بها تنازعت وتطالب منك اللذات والشهوات ، الجناح والمباح ، كى تعود إلى المجاهدة والمسابقة ليكتب الله لك ثوابا دائما ، وهو ما يقصده الرسول (ﷺ) بقوله « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » لأن النفس تداوم أبدا وتستمر إلى ما شاء الله فى طلب الشهوات واللذات التى لا تشبع منها . . . لذلك كانت الرياضة النفسية قمعا دائما ، وطريقا واضحا فى معالجة أمراض القلب ، وبابا إلى الصحة النفسية للخلاص من النقائص والآفات . . (٢) .

ويبين لنا الإمام الغزالى (٣) الأسلوب الواجب إتباعه فى رياضة النفس فيقول : « إن كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ذلك لأنه عن طريق الاعتقاد والتربية والتعليم تكتسب

---

(١) الإمام عبد القادر الجيلانى « فتوح الغيب » ص ١٣٤ .

(٢) د. حسن محمد الشرقاوى . مصدر سابق ص ٢٥٧ .

(٣) الامام أبو حامد الغزالى « أحياء علوم الدين » ، ص ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، الجزء الثانى .

الفضائل والرذائل ، فكما أن الجسم يحتاج فى التربية إلى الغذاء لينمو ويكتمل ويقوى ، فكذلك النفس تخلق ناقصة ولكنها قابلة للتكامل عن طريق التنمية الأخلاقية والعلم » .

العلاج الاسلامى بالتقوية البدنية :

إن العلاج الاسلامى لا ينسى تنمية البدن وتقويته حتى توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الانسان وخير المجتمع ، وذلك استكمال للتنمية العقلية التى أولتها إهتماما كبيرا حتى تربى الانسان المؤمن الناضج العقل السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا اعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحــــدث ذلك لأن العقل السليم فى الجسم السليم .

وقد عنيت الشريعة الإسلامية بكل ما يكفل للانسان قوة الجسم وقوة الروح ففرضت العبادات ، وفرضت التذكر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله فى الكائنات ، وكان فى ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس ، والجبن ، والشح ، وما إلى ذلك من الاخلاق الرديئة التى تؤدى بعزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها ، وكان فيه غرس الأخلاق الفاضلة من الصبر والمصابرة ، ورباط الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، التى تدفع الإنسان إلى عمل الخير ، والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الاسلامية بما يحفظ على الانسان قوة بدنه بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء وأمرت بالعلاج عند المرض وبالوقاية دفعاً للمرض (١) .

---

(١) محمود شلتوت ، من توجيهات الاسلام ، مكتبة الخانجى بمصر الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٩ .

ثم لم تخل الارشادات الواردة فى أقوال الرسول (ﷺ) عن لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبى (ﷺ) باشر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التى لفت الرسول (ﷺ) إليها الأنظار ما يلى :

أولا - الرياضة بالرمى : وبه فسر النبى (ﷺ) القوة المأمور بإعدادها فى قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »(١) . وقال (ﷺ) « الا أن القوة الرمى ، الا أن القوة الرمى ، الا أن القوة الرمى » وكرر النبى عبارته للترغيب فى تعليم الرمى .

ثانيا - الرياضة بالسباحة : وقد روى أيضا أنه (ﷺ) قال : «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى » فالكتابة طريق العلم والمعرفة ، والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرماية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثا - الرياضة بالعدو (الجرى) والمصارعة : كما أوصى الرسول (ﷺ) بالرمى والسباحة فقد ورد أن النبى (ﷺ) كان يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجرى) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « سابقنى رسول الله (ﷺ) فسبقته ، ثم سابقنى فسبقنى ، فقال هذه بتلك » وروى أن النبى (ﷺ) صارع رجلا معروفا بالشدة فصرعه النبى (ﷺ) فقال عاودنى فى أخرى ، فصرعه النبى (ﷺ) فى الثانية ، فقال عاودنى ، فصرعه النبى (ﷺ) فى الثالثة : فقال الرجل : ماذا أقول لأهلى ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة

---

(٢) سورة الأنفال : ٦٠ .

نشزت ، فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى (ﷺ) ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك فنغرمك . خذ غنمك وانصرف » .

وقال العلماء : دلت هذه الأحاديث على مشروعية المسابقة على الأرجل بين النساء والرجال المحارم ، كما دلت على أن المسابقة أو المصارعة لا تنافى الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ، فإن النبى (ﷺ) حينما سابق السيدة عائشة كان فوق سن الخمسين .

رابعا ـ رياضة المبارزة : عن أبى هريرة أنه قال : « بينما الحبشة يلعبون عند النبى (ﷺ) بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول ﷺ دعهم ياعمر وقدقال العلماء . اللعب بالحراب ، فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو) .

خامسا ـ الرياضة بركوب الخيل : وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها فى أعداد القوة للجهاد « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »(١) .

وصح أن النبى (ﷺ) سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته العضباء وكانت لا تسبق .

« وهكذا تضافرت الروايات على اقرار هذه الأنواع للرياضية البدنية : الرمى السباحة ، المسابقة على الأقدام ، والمسابقة على الخيل والابل ، المصارعة ، اللعب بالحراب (الشيش) ، وإذا كانت هذه هى الآثار النبوية والتعاليم الإسلامية فيما يختص بالرياضة البدنية على سبيل الاستقلال والقصد ، فهناك ناحية أخرى قصد

---

(١) سورة الانفال : ٦٠ .

من تشريعها التعبد ، وقيام العبودية بحق الربوبية فى الطاعة والخضوع ، والخشوع ، والمراقبة ، ومـــع ذلك كان فيها من صور الرياضة البدنية ما هو جدير بأن يوجه الناس نحو الرياضة البدنية ويلفت أنظارهم إليها ، تلك الناحية هى الصلاة ، والتى فيها الرياضيون من أوضاع الرياضة البدنية ماله أثر فى تقويم العضلات ومران المفاصل وقوتها ، وفى وضع الصلاة على هذه الهيئات والحث على استكمالها ايحاء قوى بما فى الرياضة البدنية من فوائد تعود على الانسان فى جسمه وروحه خيرها »(١).

وإذا كان وضع الرياضة البدنية فى نظر الاسلام بهذه المكانة وقد نظمت فى عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذى نشاهده ، حتى سهل على الانسان أن ينتفع بها وهو بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولابنائه ، وأن يقوموا بها فى وقتها . فينعموا بقوة الجسم ، وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقا وإلى الخير سبيلا . فالتنمية البدنية مكملة لأساليب التنمية الأخرى .

وعندما يحاول الأخصائى الإجتماعى تطبيق العلاج الإسلامى على الأحداث المنحرفين ، فإنه يمارس معهم أساليب العلاج الإسلامى المتعددة ومنها التنمية البدنية .

وحيث أن العقل السليم فى الجسم السليم ، وأن سعادة الانسان مرتبطة بقوة جسمه وروحه ، لأن الحياة مليئة بالآلام ، والآمال ، وضعيف الروح يقعد به الضعف الروحى عن تحمل الآلام والصبر عليها ، كما يقعد به عن الوصول إلى تحقيق الآمال ، وكذلك ضعيف الجسم تخور قواه الجسمية عن مواصلة الحركة ،

---

(١) من توجيهات الاسلام . مصدر سابق . ص ١٧٤ .

ويعجز عن الكفاح والمثابرة فى معركة الحياة ، التى تتطلب المزيد من القوة والصحة والعافية .

ولذلك يهتم الأخصائى الاجتماعى بالتنمية الجسمية للاحداث المنحـــرفين ويساعدهم على الاستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم فى تقوية الجسم ومناعته ، كما أن للرياضة الروحية أثر عظيم فى قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائى الإجتماعى بالخبراء والمختصين فى تنمية العقيدة الدينية والتنمية الصحية والنفسية فإنه يستعين أيضا بالخبراء والمختصين فى التربية الرياضية حتى يدرب الأحداث على أنواع الرياضة المختلفة بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم ، وبذلك يشغل فراغهم فى أنشطة نافعة ومفيدة يصممها خصيصا لتحقيق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يعلم الأحداث الكثير من العادات الطيبة والاتجاهات الصالحة ، ويبث فيهم القيم الخالدة ، فمثلا يعلمهم التعاون من خلال تعاون الفريق الرياضى وتآزره للوصول إلى النصر ويعلمهم المحبة والمودة من خلال الالعاب الجماعية التى يقضون بها وقت فراغهم ، ويعلمهم الأخلاق الطيبة من خلال الروح الرياضية التى يجب أن يلتزموا بها أثناء تدريبهم ولعبهم ، وبذلك تقوى أجسامهم وتشتد عزيمتهم وتنشط إرادتهم فيحيون بعضهم البعض ويندمجون فى التفاعل مع المجتمع ، ويصبحون شخصيات متوافقة قادرة على أداء أدوارها ووظائفها الاجتماعية بنجاح .

وأخيرا نقول أن الخدمة الاجتماعية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب لم تؤت بالنتائج المطلوبة فى علاج المشكلات الاجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة . ولذلك اتجهت إلى أساليب العلاج الإسلامى وآمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كما أنها تشتمل على الوقاية والعلاج

لما تعانيه الانسانية اليوم من ضياع الطفولة : « إما بسبب المبالغة فى الاباحة والتدليل وانعدام الضوابط الأسرية فى معاملة الأطفال ، وإما بسبب الافراط فى الشهوات وانعـــدام ضوابط الغرائز ، انعداما أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين . . وإما بسبب الافراط فى إبتذال المرأة افراطا جعلها تخالط الرجال فى كل شيء فتفقد أنوثتها ومكانتها الأولى فى تربية الاطفال ، وكانت النتيجة تفكك الأسرة وضياع الطفولة وانحرافها ، كما ضاعت الأنوثة والرجولة معاً . وأصبحت الانسانية تعيش بؤس وشقاء » (١) .

وكانت للتربية الغربية الحديثة نصيب لا يستهان به من المسئولية عن هذا الضياع والبؤس والشقاء ، لذلك لا يجد العاقل بدا من البحث عن بديل عنها .

وكما فشلت التربية الحديثة فى تربية الأجيال ، فشلت الخدمة الاجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة فى علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بدا من البحث عن بديل عنها .

وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامى هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافى لجميع أنواع المشكلات التى يعانى منها المجتمع ، والعلاج الاسلامى يقدم لنا منهجاً تربوياً متكاملا وأسلوباً علاجياً صالحاً لعلاج كل مشكلات الخدمة الاجتماعية ، فآمنت به ، وسارت فى طريقه ، واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره ، وشمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه ، وتلك هى المحاولة الأولى لتطبيقه فى علاج الاحداث المنحرفين .

---

(١) أصول التربية الاسلامية د عبد الرحمن النحلاوى ، مصدر سابق ، ص ١١ .

الفصل التاسع

العلاج الإسلامي البيئي

ثانيا ـ العلاج البيئى الاسلامى :

كما اهتم العلاج الاسلامى بشخصية الانسان وعمل على تنمية جوانبها الاربعة : الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية عن طريق التنمية الاجتماعية لكل هذه الجوانب ، والتى تعتبر منهجا علاجيا متكاملا يحقق للانسان عزته وكرامته ، بل يوفر أمنه وطمأنينته ، ويحرره من التوتر والقلق ، ويخلصه من الضغوط النفسية التى كانت تثقله وتشل تفكيره ، وتضطره إلى التخبط فى الحياة والتمرض للانحراف ـ بل إرتكاب الكثير من ألوان السلوك المنحرف ولكن العلاج الاسلامى الذى كان طريقه إلى الخلاص وسبيله إلى النجاة ، بعد أن عرف الطريق إلى رياضة النفس ومجاهدتها ، فقد استيقظ ضميره ، وتحررت إرادته ، وذاق المحبة الخالصة إلى وفى الله ـ اهتم العلاج الاسلامى أيضا ببيئة الانسان ، سواء كانت بيئة داخلة متمثلة فى الأسرة أو بيئة خارجية متمثلة فى كل الجوانب البيئية المحيطة بالانسان وأسرته ، والتى يمكن التأثير فيها والاستعانة بها بما يساعد على نجاح أساليب العلاج الاسلامى البيئى .

أ ـ البيئة الخارجية :

أن الاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى فى مجال الاحداث المنحرفين ، يهتدى بعلاج ، المنهج القرآنى ، الذى لم يغفل أثر البيئة وما تتركه فى النفس من انطباعات وانفعالات ، أنها المدرسة الحقيقية التى يأخذ عنها الانسان عاداته وتقاليده . وأن البيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد وتجر إلى الهلاك ، وأن الانسان ـ لضعفه ـ يندر أن يقاوم عوامل الفتنة والاغراء ، ومن الصعب تكليفه بالاعتدال (١) .

---

(١) عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن فى تربية المجتمع ، القاهرة مكتبة الخانجى ، ١٩٧٩ ، ص ٢٦٦ .

ولذلك أراد المنهج القرآنى ، وهو يربى خير أمة أخرجت الناس . . أن توجد البيئة المناسبة لاخراج هذه الأمة وأن ييسر لها الطريق ، ويذلل لها عقباته ، ولم يفرض عليها ما فرض من حدود إلا بعد أن أصلح لها ما حولها وسد عليها أبواب الشهوات . وهذه البيئة التى أنشأها القرآن والتى تمثلت فى المجتمع الاسلامى الأول فى الهواء النقى الذى يستنشق المسلم فيه عبير الحياة فيحس بالنشوة والارتياح ، فهو حيثما سار وأينما نظر لا يجد إلا دواعى الطهر ودواعى العفة .

وهذه جريمة الزنا مثلا . . لا توجد إلا حيث يوجد الانحلال ، وتتدهور القيم والمبادىء ، وتنطلق الشهــــوات من عقالها ، لتحطم ما أقرته الرسالات السماوية من حرمة الاعراض ، وسلامة الانسانية وحفظ كيان الإنسان أن ينزل إلى مرتبة الحيوان .

والقرآن حينما أشرق بضيائه على هذا العالم ووجد فيه التبذل ورأى فيه الاختلاط المزرى ، والعورات المكشوفة والأجسام العارية ، والفواحش المباحة لم يرد أن يكلف المؤمنين شططا ويقيم عليهم هذه الجريمة إلا بعد أن خلق لهم الجو المناسب ، ولم يترك بابا للشر إلا أحكم قفله ولم يعد أمام كل فرد فى هذا المجتمع إلا التزام بهذا الطريق ، فإن حاد عنه فقد هلك واستحق ما ينزل به من عقاب (٢) .

فقد أمر المؤمنات أن يسترن أجسادهن حتى لا تكون مثار شهوة وفتنة ، وحتى يحمى المؤمنة من قالة السوء ونظرات المنافقين فقال : « يا أيها النبى قل

---

(١) منهج القرآن فى تربية المجتمع . نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما » (١).

وأمر المؤمنين والمؤمنات جميعا بغض أبصارهم وحفظ فروجهم . حماية لعورات المؤمنات أن تبتذل وتبدو أجسادهن لغير من يحل لهن ، حفظا المؤمنين وحثا لهم على الالتزام بطريق الله فقال : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهم أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) .

فإذا طلب القرآن من المؤمنين أن يلتزموا العفة وجدوا الطريق أمامهم سهلا ميسرا « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » (٣) .

وإذا قال « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٤) فهو قد ساير الفطرة البشرية وقدر حاجتها وعذرها

(١) سورة الاحزاب : ٥٦

(٢) سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة النور ٣٢ .

(٤) سورة النور ٢ .

وحماها قبل أن يقيم عليها هذا الحد فقد قال تعالى : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » (١) .

ولهذا حين نهى عن هـــذه الجريمة فى وصاياه الجامعة قال : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٢) . فلم يجعلها فاحشة واحدة وإنما جعلها (فواحش) وذلك لأنها لا تقع إلا بعد مقدمات ومثيرات كل منها فاحشة : فالنظرات والضحكات والهمسات واللمسات والاختلاط والعرى والتهتك والخلاعة والزينة التى بدلت خلق الله والعبث المشاعر بسياط الشهوات . كلها مغريات بالفتن وداعية إلى مواقعة المحظور . . والاقتراب . . بمجرد الاقتراب نهى عنه ، وذلك لعلم الله الذى خلق الإنسان وهو أعلم بمن خلق ، إن هذا الإنسان ضعيف واقترابه من مقدمات الجريمة شباك يقع فيها وقل أن ينجو ، ولذلك نهى الله عن الاقتراب من الفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن والتزام الطريق الجادة والإبتعاد عن كل أسباب الفتنة ودواعيها .

فهل هـــذا الوسط الطاهر العفيف يدع فرصـة لمسلم لينحرف ؟ وهذا ما أراده منهج القرآن حين غرس القيم العالية والأخلاق الرفيعة فى النفوس فجعل للمسلم قدوة فى رسوله وقدرة فى المجتمع الذى عاش فيه ، ولذلك حين يرى الإنسان أسوة طاهرة ومجتمعا نظيفا طاهرا ومن وراء ذلك كله إيمان بالله يقام عليه بناء عظيم من الترغيب فى متاع الدنيا والآخرة وترهيب من عذاب الله

---

(١) سورة النساء : ٢٦ – ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥١ .

ومقته وغضبه . يستوى الانسان بشرا مستقيما لا انحراف فيه .. ولا نجاة للانسان الا اذا عاد لمنهج القرآن ، وخلق البيئة الصالحة التى تنبت فيها الأخلاق الكريمة (١) .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى يعرف جيدا أن البيئة هى السبب الرئيسى فى انحراف الأحداث وهى المؤثر الرئيسى فى علاجهم ، ولذلك فهو يحاول تعديل البيئة المحيطة بهؤلاء الاحداث حتى تصبح بيئة نظيفة خالية من المؤثرات التى تسبب الانحراف سواء كانت بيئة داخلية مثل الأسرة أو بيئة خارجية مثل المجتمع والعمل والمدرسة والمؤسسة ... الخ من المؤثرات بالبيئة .

والباحث يرى تصنيف ألوان العلاج الاسلامى للبيئة الخارجية الذى يصلح ممارسته فى علاج الأحداث المنحرفين كما يلى :

١ ـ العلاج الاسلامى عن طريق المسجد

كان المسجد أول مؤسسة أنشأها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى تنظيمات المجتمع الجديد بعد الهجرة ، تعمل فى بناء الحياة الاسلامية المطهرة على أسس التوجيه السماوى ، رابطا عن طريقها دنيا الناس بآخرتهم ، فأصبح المسجد مركز الاشعاع الذى يزود الأفراد بالمفاهيم الصحيحة لحقائق الحياة ، فيعرفون الحلال والحرام ، والحق والواجب ، والمباح والمحظورات ، وما يستحسن وما يستهجن ، ثم انه مركز التدريب على تحقيق معانى الاسلام ، فتتلاقى فيه

---

(١) عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٧١ .

الجماعة من الناس فتتعارف قلوبهم ، وأجسامهم ، وتتقارب مستوياتهم ، اذ يجد الضعيف نفسه بجانب القوى ، والحاكم بجانب المحكوم ، والفقير على قدم المساواة مع الغنى ، فلا يلبثون أن تمتلىء نفوسهم بشعور الوحدة التى تفتت الفوارق ، حتى يستيقنوا أنهم كتلة متضامنة كل جزء منها لخدمة الكل وبذلك تتلاشى من نفوسهم أية مكانات أو اختلافات أو فوارق كانت موجودة ومؤثرة خارج المسجد .

والمسلم الذى يرتبط قلبه بالمسجد يعتبره نقطة الانطلاق الأولى فى طريق الحياة الأبدية ، منها يبدأ سعيه الى الآخرة وهو مطمئن لأنه سار فى الطريق الذى لا يضل سالكوه . « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، « ومن هذا المنطلق أخذ المسجد سبيله فى ضبط المسيرة الاسلامية ، ففيه يمرن المسلم نفسه على أنواع الفضائل العملية التى من شأنها أن تطبع كل سلوكه بمعانى الاسلام الحية التى تعمل على نشر الدعوة الاسلامية ما لا تعمله مئات الخطب والكتب . « ففيه يربى الناس على الفضيلة ، وحب العلم ، وعلى الوعى الاجتماعى ، وبمعرفة حقوقهم وواجباتهم فى الدولة الاسلامية التى أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر .. وأصبح المسجد مصدر اشعاع خلقى ، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل » (١) .

وما بالك بانسان يعين وقت الصلاة فيترك عمله أيا كان ليأخذ بالاستعداد لها ، فيغسل أطرافه وينظف ثيابه ، ثم يلج باب المسجد فى خضوع المؤمن أنه قدم على الله ، وهناك يمسك لسانه عن كل سوء بل عن كل كلام الا التسبيح

---

(١) أصول التربية الاسلامية وأساليبها . مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

والتحميد للحكيم الحميد ، ثم تقام الصلاة ، فينتظم مع أخوانه فى صف لا فرجة فيه ، لا تجد فيه عوجا ، يقوده أمام لا يجوز سبقه فى حركة ولا سكنه ، ثم يتلو من كلام الله ما يذكر بمبدئه ومنتهاه ، وصلته بواهب الوجود وباعث الحياة ، قائما فى تأمل ، راكعاً فى تذلل . . ساجدا فى تضرع ، مكبرا لجلال الله فى كل نقله ، داعيا بالسلام لنفسه ولأخوانه المؤمنين من الاولين والآخرين ، مصليا على النبى الذى هداه الله به لكل هذا خير حتى ختم صلاته بالتسليم على نفسه ومن حوله ليث مكانه قليلا فى غمرة من الذكر والتأمل ثم غادر المسجد فى مثل الخشوع الذى دخل به..

ولك أن تتصور هذا الإنسان ، وقد أخذ فى تدريب نفسه على ذلك الطراز من الهدوء والخشوع زمنا لا يقل فى مجموعه عن الستين دقيقة فى خمس صلوات من كل يوم وليلة . ثم لك أن تسأل نفسك عن الكيفية التى سيكون عليها هذا الانسان تحت تأثير هذا اللون العجيب من التربية الربانية .

لهذا كله يستعين الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى للأحداث المنحرفين بالمسجد كوسيلة علاجية هامة من وسائل العلاج البيئى الاسلامى ، حيث أنه من أعظم المؤثرات التربوية فى نفوس الناشئين ، ففيه يرون الراشدين مجتمعين على الله ، فينمو فى نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة الاسلامية وفيه يسمعون الخطب والدروس العملية ، فيبدأون بوعى العقيدة الاسلامية وفهم هدفهم من الحياة ، وما أعده الله لهم فى الدنيا والآخرة ، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه ، فيجمعون بين النمو الفكرى والحضارى والنمو الروحى وهو الارتباط بخالقهم .

وفيه يتعلمون الحديث والفقه ، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية

كما أراد الله ان ينظمها للانسان ، ومن هـــداية الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) (١) .

وعندئذ يتعودون على المسجد ، ويشعرون بنور الإيمان يملأ قلوبهم ، فتصفوا نفوسهم ، وتستيقظ ضمائرهم ، ويتعلمون طاعة الله وتحقيق شريعته وعدالته ورحمته بين البشر .

وهكذا نربى الناشىء فى المسجد فى ظل مجتمع إسلامى رباه القرآن وهذبه الاسلام ، فيعرف طريقه المستقيم ، ويتحرر من وسوسة الشيطان الرجيم ، ويرتبط بطاعة الرحمن الرحيم ، الغفور الكريم وعندئذ يتعدل سلوكهم ويعالج انحرافهم ويصبح كل منهم قادرا على أداء وظائفه الاجتماعية بما يرضى الله ويرضى رسوله (ﷺ) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج الأحداث بالعلاج الاسلامى عن طريق المسجد يحرص دائما على مصاحبتهم فى كل أوقات الصلاة إلى المسجد وخاصة يوم الجمعة وفى المناسبات الدينية المختلفة ويشرح لهم باستمرار ما يصعب عليهم فهمه ، ويعمل على توعيتهم التوعية الدينية السليمة التى تحببهم فى المسجد وتربطهم به ، فيستقيم تفكيرهم ، ويقوى ضميرهم ، وتنشط إرادتهم ، فيسهل تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم .

كما أن الأخصائى الاجتماعى يستطيع أن يخطط لهم البرامج الأنشطة الدينية التى يتجمعون حولها مع بعض المتخصصين من رجال الدين فى ندوة ، أو محاضرة دينية تعلمهم مزايا الارتباط بالمسجد واستمرار الصلاة فيه بصورة سهلة مبسطة تحببهم فى دراسة دينهم ومعرفة المزيد من الشريعة الاسلامية على أن تتم بصورة

(١) أصول التربية الاسلامية وأساليبها . نفس المصدر ص ١٢١ .

دورية مستمرة حتى تصبح عادة من العادات الطيبة الصالحة التي يحاول تكوينها لديهم ، وعندئذ يبتعدون عن الانحـــراف وعن البيئة الخارجية الجاذبة لهم والداعية لإنحرافهم ، واستبدالها ببيئة خارجية من لون جديد صالحة التأثير فيهم وتربيتهم تربية دينية صالحة ، تساعدهم على القيام بوظائفهم الإجتماعية بما فيه صالحهم وصالح المجتمع .

٢ - العلاج الاسلامي البيئي عن طريق المدرســة :

أن الوظيفة الأساسيه للمدرسة في نظر الإسلام هي تحقيق التربية الإسلامية بأسسها العقيدية والتشريعية وبأهدافها ، وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده . والخضوع لأوامره وشريعته أو تنمية كل مواهب النشيء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، اي صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف حذرا مما حذرنا منه رسول الله (ﷺ) عندما قال : « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وأراد بذلك أن يحذر المربون من انحراف الناشيء عن فطرته (١) مما يساعدهم على المحافظة على سلامة فطرتهم وتزكيتها وحفظها من الانحراف ، وذلك طريق منهج تتطلبه التربية الإسلامية يتطبع بطباعها ويتصف بأهم صماتها ومميزاتها ويحقق أهـــدافها ، ويبنى على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان على أن يكون في تركيبه وموضوعاته موافقا للفطرة الانسانية ، يعمل على حفظها وحمايتها من الانحراف ، وأن يكون محققا لهدف التربية الاسلامية الأساسي وهو أخلاص الطاعة لله وعبادته ولجميع أهدافها الفرعية التي ترمي إلى تقويم الحياه وتوجيهها لتحقق هذا الهدف في جميع جوانب الثقافه والتربية ، التي وضع المنهج لتعهدها

---

(١) « أصول التربية الاسلامية وأساليبها » مصدر سابق ص ١٣٤ .

والنهوض بها ، كالجانب العقلى والجانب الجسمى ، والجانب النفسى والجانب الإجتماعى ، على أن يراعى فى تطبيق المنهج وأنشطته وأمثلته ونصوصه حاجات المجتمع الواقعية والمعايشة ومنطلقاته الإســـلامية المثالية كالاعتزاز بالأمة الاسلامية والولاء لها . وذلك بتحقيق الولاء لله ، والطاعة لرسوله الذى أرسله الله ليطاع بإذن الله ، ومراعاة الاختصاصات التى تحتاجها الأمة الإسلامية فى كل بقعة بحسب ظروفها الطبيعية التى يسرها الله على أن يكون منهجا واقعيا ممكن التطبيق وأن يكون مرنا فى أسلوبه يمكن تكييفه مع مختلف الظروف حتى يصبح فعالا ، يعطى نتائجه التربوية ويترك آثاره فى نفوس الأجيال بما يمتاز به من أساليب تربوية سليمة بعيدة الأثر ، ونشاطات إسلامية مثمرة عظيمة الأثر ، سهلة المنال والتطبيق ، وأن يكون جزء منــــه مناسبا للمرحلة التى يوضع لها من مراحل أعمار الناشئين ، كبناء التعليم الدينى والثقافى فى مرحلة الطفولة على أساس يتناسب مع تطور الشعور الدينى والنمو اللغوى لهذه المرحلة ، ومعالجة مشكلات الشباب فى المرحلة الثانوية ، وتربية الانتماء الإجتماعى إلى الأمة الإسلامية فى المرحلة الاعدادية ، وهكذا يتمشى المنهج مع النمو اللغوى ، كما اكتشفته الأبحاث النفسية ، ونمو الاستعداد الدينى والإستعــــداد الاجتماعى ، فنختار لكل مرحلة ما يناسب الاستعداد والنمو الذى بلغه الناشىء فيها ، وأخيرا يجب أن يعنى بالجوانب الإسلامية السلوكية العملية ، كالتربية على الجهاد وعلى نشر الدعوة الإسلامية ، وإقامة المجتمع المسلم فى الجو المدرسى بحيث يحفى جميع أركان الإسلام وشعائره وأساليبه التربوية ، ونماذجه وآدابه فى حياة الطلاب وعلاقاتهم الاجتماعية (٢) .

---

(١) أصول التربية الاسلامية وأساليبها ، مصدر سابق ص ١٧٩ .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين ، فإنه يعرف أن الكثير منهم ، مقيدون فى مدارس مختلفة ولكنهم تعثروا فيها . ولذلك من واجبه تجاههم هو المساعدة على الانتظام بالمدرسة حتى تصبح المدرسة المكان المناسب للاستفادة من الخبرة التعليمية وحتى تصبح بيئة محببه للتلاميذ ، وعندئذ يحضرون اليها وهم فى شوق إليها وحبه لها ، وعندئذ يستغل الفرصة ويخطط لهم من الأنشطة والبرامج المختلفة بما يناسب تحقيق أهداف العلاج الإسلامى . فهو يسارع بالحاق الحدث بجماعة دينية لها برامج وأنشطة تتفق أهدافها مع أساليب العلاج المقترحة لعلاجهم ، وذلك باشتراك الأخصائى الإجتماعى مـــع مدرس التربية الدينية ، وبذلك يتيح لهم الفرص المتعددة للاستفادة بأكبر قدر ممكن من برامج وأنشطة التربية الإسلامية التى يتضمنها العلاج الإسلامى ومن الممكن أيضا أن يخطط الأخصائى الإجتماعى لبعض الندوات والمحاضرات الدينية بالمدرسة يدعو إليها بعض المتخصصين من رجال الدين بحيث تختار موضوعاتها وتوجه لتحقيق أهداف الخطة العلاجية التى يسعى الأخصائى الإجتماعى لتحقيقها .

كما يستطيع الأخصائى الإجتماعى أن يتفق مع مدرسى اللغة العربية على بعض الأنشطة والبرامج الثقافية التى تخدم أهداف العلاج الإسلامى مثل تنظيم زيارات المكتبة المدرسية بمرافقة مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية الذى يساعدهم على اختيار الكتب والموضوعات المناسبة للعلاج الإسلامى ويقوم بتفسير وتوضيح ما يصعب عليهم . ولا مانع من اختيار بعض التمثيليات الدينية والتدريب عليها وممارستها على أن ترسم الأدوار لكل حدث بما يناسب نوعية المشكلة ونوعية خطتها العلاجية . أو يختار لهم مجموعة من القصص التى

تصلح للتربية الدينية يعدها الاخصائى ويختارها بالاشتراك مع مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية حيث أن القصة تعتبر من الأساليب التربوية الهامة المؤثرة فى نجاح العلاج الإسلامى .

كما يستطيع الأخصائى الإجتماعى استغلال مسجد المدرسة ليعود الأحداث على ممارسة العبادات المختلفة مثل الصلاة فى المسجد مع جماعة من الطلاب مع توضيح مميزاتها الدينية ، ويرشدهم إلى كيفية الاستفادة منها فى تكوين بعض العادات والقيم الصالحة . كما يوضح لهم الأخصائى الإجتماعى كيف يستعد الحدث لدخول المسجد عن طريق الوضوء الحسن ، ويعرفهم الحكمة العظيمة من وراء الوضوء ، لأن الكثير منهم يظن الوضوء نظافة صحية فقط ويغفل أنها نظافة روحية أيضا ، فغسيل اليدين تنظيف لهما من الأوساخ وتنظيف لها من الذنوب التى أرتكبها وتذكير لصاحبها بعدم ارتكابها مرة ثانية . وغسيل الوجه والعينين تنظيفا من التراب والأوساخ من ناحية وتنظيف لما ارتكبته العين من آثام من الناحية الاخرى ـ وبتذكير الأحداث بهذه الفوائد العظيمة للوضوء بصفة مستمرة ، يتعدل سلوكهم ويقلعون عن كثير من ألوان السلوك المنحرف الذى تعودوا عليه من قبل .

وهكذا بالنسبة لبقية خطوات الوضوء وبقية ألوان العبادات المختلفة التى يستخدمها الأخصائى الإجتماعى كمؤثرات بيئية فى علاج الأحداث المنحرفين ، عن طريق المدرسة التى تعتبر عاملا هاما من العوامل المؤثرة فى علاجهم والتى عن طريقها يمكن الاستفادة بأكبر قدر ممكن من الخبرات التعليمية التى تقدم بالمدرسة ، بما فيها من خبرات التربية الإسلامية من جميع جوانبها المختلفة .

٣ - العلاج الاسلامي البيئي عن طريق العمل:

أن الأخصائي الاجتماعي الذى يمارس العلاج الاسلامي مع الأحداث المنحرفين عندما يحاول الاستفادة من المدرسة كبيئة خارجية فى تعديل سلوك الأحداث المنحرفين فإنه يقابل بعض الأحداث المنحرفين الذين لا يذهبون إلى المدرسة بعد أن فشلوا فيها ، وبالتالى التحقوا ببعض الأعمال ، سواء كانت هـــذه الأعمال تناسبهم ، أولا تناسبهم ، وعندئذ يصبح من دور الأخصائي الإجتماعي أولا تعديل بيئة العمل بما يناسب قدرات وميول وإتجاهات هؤلاء الأحداث ، بحيث يتم وضع كل واحد منهم فى العمل الذى يناسبه ، ثم يساعدهم على الحصول على الأجر المناسب . ويشجعهم ويحثهم على الأمانة والاخلاص ، والأداء الطيب للعمل ، ويذكرهم باستمرار بقول الرسول (ﷺ) « الدين المعاملة » ويطالبهم بتنفيذ تعاليم التربية الإسلامية التى تقول « من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل » .

أما الفئة التى لا تجيد أى عمل وفشلت أيضا فى المدرسة فالأخصائي يحاول تدريبهم مهنيا فى ورش المؤسسة أو فى الورش الخارجية على الأعمال والمهن التى يميلون إليها والتى تتناسب مع قدراتهم ومهاراتهم ، ويقف بجانبهم فى كل ذلك موجها ومشجعا ومساعدا ومعينا إلى أن يتقن كل منهم الحرفة المناسبة وعندئذ يصبحون قادرون على الاعتماد على أنفسهم فى الانفاق والمعيشة ، وبذلك يجنبهم أهم عامل من عوامل الانحراف ، وهو قلة الموارد الاقتصادية بالإضافة إلى ما يبثه فيهم من قيم طيبة وإتجاهات صالحة ، وخلق حسن ، أثناء عمليات التدريب المهنى بما يعده لهم من أنشطة وبرامج مناسبة لأعمارهم وقدراتهم ومستوياتهم العقلية والجسمية ، مراعيا اشتراكهم معه دائما فى التخطيط والتنفيذ .

كما يحرص الأخصائي الاجتماعي أيضا أن يحصلوا على وقت كاف للراحة بالاضافة إلى الحصول على الأغذية المناسبة، كما يساعدهم على الاستمتاع بوقت الفراغ بالطريقة المفيدة، وبذلك يغلق أمامهم أبواب الانحراف بابا بعد الآخر، إلى أن يصل فى النهاية إلى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ويصبح كل منهم إنساناً صالحاً، يتمتع بشخصية ناضجة، كما تريد له التربية الاسلامية أن يكون.

والتربية الاسلامية عندما تسعى إلى اعداد الإنسان الصالح، لا تترك الناس حيارى يتخبطون، كل منهم يرسم الصورة على هواه وإنما تحدد لهم مواصفات هذا الانسان فى دقة ووضوح. ويتضح أمامهم المنهج الاسلامى الذى يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية. ومواصفات هذا الانسان تتجمع فى كلمة واحدة وهى « التقوى » « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١)، والانسان التقى هو الذى يعبد الله ويهتدى إليه « وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » (٢) ولكن العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة، وإنما هى شاملة وواسعة جدا بحيث تشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها، وتشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور: وهى التوجه بكل نشاط حيوى إلى الله ومراعاة ما يرضى الله فى هذا النشاط، وما يغضبه، وتوقى غضبه والعمل على رضاه، وبذلك يصل العلاج الإسلامى بالانسان إلى إنسان تقى يعبد الله ويهتدى بهداه « فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣)

---

(١) سورة الحجرات ١٢١.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٣٨.

بحيث يستمد هذا الانسان من هذا الهدى منهج حياته ومنهج شعوره ومنهج سلوكه ، ولا يلتقى من مصدر سواه (١) .

وبذلك سار العلاج الاسلامى عن طريق العمل فى طريقين متقابلين : طريق العمل للحياة وطريق العمل للآخرة ، وكل منهما يكمل الآخر ويتممه بحيث يصبح العمل أسلوبا مؤثرا من أساليب العلاج الاسلامى . . « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

٤ — العلاج الاسلامى البيئى باستغلال إمكانيات المؤسسة

المؤسسة هى المكان الذى تم إعداده لعلاج الأحداث المنحرفين والتى يمارس فيها الأخصائى الإجتماعى عمله مستعينا بشتى الامكانيات والوسائل التى تساعد على تحقيق أهداف وفلسفة المؤسسة .

والمؤسسة كأحد عناصر البيئة الخارجية يستغلها الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الاسلامى ، فمن طريقها يستطيع تصميم وتنفيذ الكثير من الانشطة والبرامج المختلفة التى تحقق له أهداف الخطة العلاجية .

وهذه الأنشطة والبرامج تتكون من انشطة ثقافية مثل المكتبة التى يحرص الأخصائى على تدعيمها بالعديد من الكتب الدينية المبسطة التى تتناسب مع أعمار الأحداث المنحرفين ومستوى تفكيرهم مثل قصص الأنبياء والرسل ، حيث أن القصة من أنجح الأساليب التى تستخدم فى التربيه الاسلاميه حيث أنها تتعامل مع النفس البشرية فى واقعيتها وخاصة وأن القصة القرآنية جاءت علاجا لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشرى لا يتم الا بذكر جانب الضعف والخطأ فى طبيعته

---

(١) منهج التربية الاسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

ثم يوصف الجانب الواقعي المتسامي الذي يمثله الرسل المؤمنون ، والذي تنتهي به القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد ، والذي ينتهي عنده علاج النقص البشري ، علاجا ينهض بالهمم ، ويدفع بالنفس للسمو ما استطاعت إلى أعلى القمم ، حيث تنتهي القصة بإنتصار الدعوة الآلهية ، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذين استسلموا إلى الضعف والنقص ، ولم يستجيبوا لنداء ربهم فلم يزكو أنفسهم (١) .

كما أن القصة القرآنية تربي العواطف الربانية عن طريق إثارة الانفعالات كالخوف والترغب ، والرضا والارتياح والحب ، فقصة يوسف مثلا تربي الصبر والثقة بالله ، والأمل في نصره بعد أثارة انفعال الخوف على يوسف ، ثم الارتياح إلى استلامه منصب الوزارة .

كما تمتاز القصة القرآنية بالاقناع الفكري بموضوع القصة عن طريق الايحاء والاستهواء والتقمص ، فيصدق إيمان يوسف صبر في الجب على الوحشة ، وثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الذلل ، وهذه المواقف الرائعة توحي للانسان بأهمية مبادىء بطل القصة وصحتها ، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومثابرة طويلة ، فيتقمص هذه الصفات حتى أنه ليقلدها ولو لم يقصد إلى ذلك ، وحتى أنه ليردد بعض هذه المواقف ويتصورها ويسترجعها من شدة تأثره بها (٢) .

كما أن القصة القرآنية تمتاز بالاقناع الفكري عن طريق التفكير والتأمل مما فيه من محاورات فكرية ينتصر فيها الحق ، ويصبح مرموقا محفوفا بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته وعظمته في النفس وأثره في المجتمع .

---

(١) أصول التربية الاسلامية . مصدر سابق - ص ٢١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

ففي قصة يوسف نجد حوارا يدور بينه وبين زميليه في السجن فدعاهما إلى توحيد الله . . وقصة نوح كلها حوار بين الحق والباطل ، وكذلك قصة شعيب وصالح وسائر الرسل : حوار منطقي مدعوم بالحجة والبرهان يتخلل القصة ، ثم تدور الدوائر على أهل الباطل ويظهر الله الحق منتصرا في نهاية القصة أو يهلك الباطل وأهله .

وهكذا بالنسبة لبقية القصص القرآنية كلها تؤدي إلى تربية التصور الرباني للحياة والعقيدة واليوم الآخر وإلى معرفة كل جوانب الشريعة الآلهية معرفة إجمالية ، وإلى تربية العواطف الربانية من حب في الله وانضواء تحت لوائه . . وتوجه إلى السلوك المستقيم وفق شريعة الله والتعامل حسب أوامره . . وبهذا تحيط القصة القرآنية نفس الناشيء بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية (١) .

وعلى نفس المنوال يستغل الأخصائي الإجتماعي بقية ألوان الأنشطة الثقافية ، سواء كانت ندوات دينية أو محاضرات يتم التركيز فيها على التربية الإسلامية بضرب الأمثال أو عن طريق الموعظة التي تربي عند الأحداث الأخلاق السامية والعواطف الربانية كما يمكن تحقيق نفس الأهداف عن طريق الحفلات والمسابقات الدينية وبرامج الاذاعة الموجودة بالمؤسسة أو التمثيليات التي تصمم بصورة خاصة تتناسب مع أهداف العلاج الإسلامي .

وبذلك يجعل الأخصائي الإجتماعي من المؤسسة بيئة صالحة لتحقيق أهداف خطة العلاج .

---

(١) أصول التربية الإسلامية ـ مصدر سابق ص ٢١٤ .

أما النشاط الاجتماعى داخل المؤسسة فمن الممكن استغلاله أيضا فى العلاج الاسلامى عن طريق الرحلات الى الأماكن الدينية أو الاماكن التى يرى فيها الأحداث عظمة الله وقدرته ، فيمرن عقولهم على تأمل عجائب صنع الله وخاصة ما يحيط بهم ويروه كل يوم أو يعيشون فى كنفه من دلائل حكمة الله ودقة صنعه ، ويناقشهم الاخصائى الاجتماعى فى هذه الامور حتى يتوصلون تلقائيا الى الاعتراف بوحدانية الله أو الوهيته وقدرته وحكمته ، وسائر صفاته العليـــا وأسمائه الحسنى ، كما هو موجود فى القرآن والسنة . ومما نحسه ونراه فى كل ما نأكل او نشرب ونتنفس ونستخدم ونركب .

كما أن النشاط الاجتماعى يشتمل أيضا التزاور فى المناسبات وحضور الاجتماعات الدينية والقيـــام ببعض الحفلات فيها حتى يشعر الأحداث فيها بالبهجة والسرور عن طريق البرامج المخططة خصيصا لذلك وبذلك لايجعل أيام بقائهم بالمؤسسة تمر عبثا ولهوا . وانما جعلها أيام فرح وشكر وعبادة ، وقد حدد الاسلام أيام الأعياد والمناسبات الدينية ومظاهرها . ولم يجعل من حق الناس أن يبتكروا لهم أعيـاد يخلعون عليها صبغة دينية ويحيون لياليها وأيامها بعبارات يلتزمون بها من تلقاء أنفسهم على أنها من وجوه القربى الى الله . وبذلك يكون العيد فى الاسلام وصفا الهيـــا لا يملك الناس فيه حق التغيير والتبديل .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى يحاول الاستفادة من أحياء هذه المناسبات والذكريات بالصورة التى تربى فى نفوس الأحداث عقيدة وعبادة وقدرة واقتداء . وبذلك يقوى ايمانهم . ويشعل حماسته فتلتهب الجوارح ، وتبذل الأنفس . وتصبح التربية الاسلامية ماثلة فى كل شىء . فى

أقوالهم اذا نطقوا ، وفى حركاتهم اذا تحركوا ، وفى سكوتهم اذا سكنوا ، وفى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، والسرية ، والعلنية والدنيوية والأخروية ، أساسها هذا النور المبين الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) عن ربه فكان دستور الحياة ، وينبوع العزة والقوة والسعادة « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (١) أما بقية الأنشطة الاجتماعية الأخرى التى تمارس فى المؤسسة فان الاخصائى الاجتماعى يخطط لها بحيث تتناسب مع المواقف والمناسبات المختلفة كما تناسب شخصية الحدث الذى توضع له الخطة العلاجية .

أما الأنشطة الرياضية التى تصمم وتنفذ لمارستها الأحداث داخل المؤسسة أو خارجها فانه يراعى مناسبتها لخطة العلاج الاسلامى بحيث تربى فيهم روح التعاون والمحبة وتكسبهم الكثير من المهارات والخبرات التى تصنع منهم الرجال الأقوياء الأسوياء . وعن طريق تلك الأنشطة الرياضية يستطيع الاخصائى الاجتماعى امتصاص الطاقات الزائدة لديهم وافراغ مشاعر العدوان التى تضغط عليهم بحيث تتم بطريقة ايجابية تعود عليهم بالفوائد الكثيرة بدلا من أفراغها بطريقة سلبية عن طريق الانحراف والضياع . فمن طريق ألعاب المصارعة والملاكمة يفرغ مشاعر العدوان ، وعن طريق كرة السلة وكرة القدم يعلمهم التعاون والمحبة ، وعن طريق المهرجان الرياضية يعلمهم الانتماء للمؤسسة والدفاع عنها والعمل على ما فيه صالحها ، وهى بداية للشعور بالانتماء الى المجتمع الكبير والشعور بالمحبة له والدفاع عنه .

وهكذا تصبح المؤسسة مكانا صالحا وبيئة مناسبة لتطبيق العلاج الاسلامى

---

(١) سورة الاسراء : ٩

على الأحداث المنحرفين ، وبذلك ينجح الاخصائى الاجتماعى فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم بعد أن غيرت التربية الاسلامية فى كثير من طباعهم وصفاتهم فقد بدلت خوفهم أمنا ، وكراهيتهم حبا ، وانحرافهم استقامة ، بعد ان وضعوا أقدامهم على الطريق المستقيم ، فامتلأت قلوبهم بالايمان وطهرت العبادات نفوسهم وأنار القرآن صدورهم .

٥ - أساليب أخرى للعلاج الاسلامى البيئى

ان الاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى فى مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين يحاول التعامل مع كل المؤثرات البيئية والتأثير فيها بالتعديل والتغيير حتى يجعل تلك البيئة تربة صالحة لبذور صالحة ، تنبت نباتا طيبا ، وتعطى حصادا جيدا ، فبذور اليوم هم ثمار الغد وحصاده ، وأطفال اليوم هم شباب الغد ورجاله ، فاذا أحسنت رعايتهم ، واختيرت الأساليب المناسبة لتربيتهم ، فان العلاج الاسلامى يصبح الوسيلة الناجحة فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم .

ومن المؤثرات البيئية الأخرى التى يهتم الاخصائى الاجتماعى باستغلالها فى العلاج الاسلامى هم الأصدقاء ، حيث أن لهم تأثير مزدوج على الأحداث ، فهم يتأثرون بهم فى القول مرة وفى المحاكاة مرة أخرى ، وشر بلاء ينزل بالانسان أن يكون له صديق سوء ، يسلم له زمامه ، ويكون قدوته وامامه .

والاخصائى الاجتماعى يحاول ابعاد الأحداث عن أصدقاء السوء بشتى الوسائل حتى يحول بينهم وبين تلك المؤثرات البيئية القوية التأثير ، ويقول الله سبحانه وتعالى « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ، فاعرض عنهم حتى

يخوضوا فى حديث غيره ، وأما ينسينك الشيطان فلا تقعـــد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » (١) .

« وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يفكر بها يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذا مثلهم » (٢) .

ولذلك يحاول الاخصائى الاجتماعى تكوين الجماعات داخل المؤسسة بحيث يوفر لكل حدث الفرصة المناسبة لتكوين صداقات طيبة ، تحت اشرافه بعد استبعاد العناصر السيئة الأخلاق الى أن يتم علاجهم بالوسائل الاخرى وعندئذ يضع تلك العناصر بدورها فى الجماعات المناسبة لها التى يتعلمون منها الكثير من القيم الخلقية والاتجاهات الصالحة والخبرات المفيدة .

وهو يحاول أيضا أن يكون لديهم عادة الارتباط بالمسجد ومداومة الصلاة فيه فى أوقاتها مع بقية المصلين وهم من النوعيات الصالحة والأمثلة الطيبة التى يستفاد منها كثيرا .

كما أن الاخصائى الاجتماعى يدرك جيدا أن شغل أوقات الفراغ بصورة ايجابية وبطريقة مخططة يساعد كثيرا فى علاج الاحداث المنحرفين وفى تعديل سلوكهم ، ولذلك يخطط وينفذ معهم الكثير من الانشطة المناسبة لشغل وقت الفراغ ، وكل الانشطة السابق ذكرها تصلح لتحقيق هذا الهدف ، لأن الاحداث المنحرفين لو وجدوا من البداية ما يشغل فراغهم ويستغله بصورة ايجابية ،

---

(١) سورة الانعام : ٦٨ .

(٢) سورة النساء : ١٤٠ .

ما تعرضوا للانحراف، لان السلوك المنحرف للاحداث المنحرفين ما هو الا شغل لوقت الفراغ بطريقة سلبية .

والتربية الاسلامية تهتم كثيرا بشغل وقت الفراغ بما يساعد على تربية الناشىء من جميع جوانبه النفسية والاجتماعية والروحية والسلوكية والعقلية ، وذلك باستغلال بعض أوقاتهم فى المسجد تارة حيث ينمى فى نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم ، والاعتزاز بالجماعة الاسلامية ، بالاضافة الى التربية الدينية بالوعظ والخطب الدينية تارة ، وحلقات الذكر والتفسير تارة أخرى .

كما يستغل وقت فراغهم مرة أخرى واستغلاله فى الانشطة المختلفة التى تصرف طاقاتهم أو تشجيعها أو تبعثها فى أعمال وألعاب يقبلون عليها من تلقاء أنفسهم، اذ أنها تهذبهم وتحقق ميولهم وذاتيتهم ، وتناسب استعدادهم وتبعث فيهم المرح والحيوية والتفاؤل ، وتشبع بعض حاجاتهم النفسية كالحاجة الى التقدير والحاجة الى الحب والحاجة الى الانتماء ، والحاجة الى اللعب والمرح ، وهناك بعض أنشطة شغل وقت الفراغ مثل تنمية المهارات والهوايات المختلفة كالموسيقى أو التمثيل أو التصوير أو الرسم والتى عن طريقها تصقل مواهبهم وتنمو قدراتهم ، ويكتسبون الكثير من الخبرات المفيدة .

وهكذا تصبح البيئة الخارجية بكل مكوناتها المختلفة بيئة صالحة ومناسبة لممارسة العلاج الاسلامى البيئى للاحداث المنحرفين وينجح الاخصائى الاجتماعى عندئذ فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم .

وبعد ذلك يأتى دور العلاج الاسلامى للبيئة الداخلية وهى الاسرة .

ب — البيئة الداخلية (الاسرة)

• الأسرة هى التنظيم الاجتماعى الذى يقام عليه تظلم الامة كلها وهى

المحضن الرئيسى للأجيال الناشئة ، والخلية الأولى فى البناء الاجتماعى . وكذلك نرى أن كتاب الله الخالد يفيض شرحا وتفصيلا .. وهداية فى كل شأن له علاقة بالأسرة ، وتقيمها على الوضوح الكامل حتى لايدع مكانا فيها للتصدع ولايترك ثغرة يمكن أن ينفذ منها أحدا لهدم هذا الاساس . ومثل هذا الاسهاب فى بيان أمور الأسرة دليل على أهمية هذا الكيان الأسرى ووضعه فى المكان اللائق به . وذلك أنه أساس البناء كله ، فاذا ما تطرق اليه الخلل والوهن هوى البنـــاء وضاعت معالمه » . (١)

« ان البيت هو المؤسسة التى تدرب فيها كل سلالة أخلافها وتعدهم لكل تبعات التمدن الانسانى العظيمة بغاية من الحب والمواساة والتودد والنصح .. وهذه المؤسسة لا تهيىء لأفرادها البقاء والتمدن البشرى ونموه فحسب ، بل هى مؤسسة يود أهلها من صميم قلوبهم وأعماق صدورهم أن يخلفهم من هو خير منهم وأصلح شأنا وأقوم سبيلا .. فالحقيقة التى لا تنكر على هذا الوجه .. أن البيت هو جذر التمدن البشرى وأصله ، وأنه يتوقف على صحة هذا الجذر وقوته وصحة التمدن البشرى نفسه وقوته ومن ثم نرى أول مايهتم به الاسلام ويعتنى به من وسائل الاجتماع انما هو أن يقيم مؤسسة البيت ويقرها على أصح الأسس وأقومها (٢) .

أنظر معى الى قوله تعالى مفتتحا سورة النساء « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » (٣) .

---

(١) منهج القرآن فى تربية المجتمع . مصدر سابق . ص ٢٩٥ .
(٢) أبو العلاء المودودى : نظام الحياة فى الاسلام ، ص ٤٠ ، ٤٦ .
(٣) سورة النساء : ١٠

وسورة النساء كما يبدو من عنوانها وما اشتملت عليه من أحكام هامة فى التشريع الاجتماعى لنظام الأسرة ، وحين تبدأ هذه البداية تؤكد لنا سر خلود الأسرة الاسلامية ، وأن العلاقة بين أفرادها « ليست صفقة تجارية بين شريكين فى المعيشة ، ولا ضرورة لاسكات صيحات الجسد ، والاستراحة من غواية الشيطان ولا تفريغ الشهوة بمسوغ الشريعة ، ولا هى علاقة عدمها خير من وجودها اذا تأتى للرجل أو للمرأة أن يستغنى عنها »(١) . ولكنها قبل هذا وبعده علاقة انسانية جديرة بالاحترام والتقديس ، فهى علاقة بين الزوج والزوجة وبين الزوجين والابناء وبين هؤلاء جميعا الأبوين .. الا أنها مع هذه العلاقات المتعددة التى تشكل حجر الأساس فى البناء الاجتماعى .. تبدأ فى حقيقتها باجتماع رجل وامرأة فى حياة واحدة ذات هدف مشترك هو اثراء الحياة بمزيد من الحب والنسل الصالح(٢) .

والاسرة المسلمة هى التى تحافظ على تحقيق شرع الله ومرضاته فى كل شئونها وعلاقاتهما الزوجية ، وهذا معناه اقامة البيت المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله . أى على تحقيق الهدف الاسمى للتربية الاسلامية . وبذلك ينشأ الطفل ويترعرع فى بيت أقيم على تقوى من الله ورغبة فى اقامة حدود الله . وتحكيم شريعته ، فيتعلم ، بل يقتدى و يمتص عادات أبوية بالتقليد ، ويقتنع بعقيدة الاسلام حين يصبح واعيا .

والاسرة المسلمة هى التى توفر لابنائها كل احتياجاتهم وتشبعها لهم وتحقق لهم السكون النفسى والطمأنينة ، وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة

---

(١) عباس محمود العقاد ـ الفلسفة القرآنية ، ص ٦٨ .

(٢) منهج القرآن فى تربية المجتمع : مصدر سابق ص ٢٩٦ .

وجعل منها زوجها ليسكن اليها » (١) وقال سبحانه وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٢) فاذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل فحينئذ يتربى الناشيء في جو سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة بعيد عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته وتجعله سهل الاستهواء ، وعندئذ يتعرض للانحراف والضياع . كما تتحمل الأسرة اشباع الحاجة الى الحب والحنان والرحمة والعطف على الأبنـاء لأن هذا كله من أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي ، نموا قويما ، واذا لم تتحقق المحبة للاطفال بالشكل الكافي المتزن ، نشأ الطفل منحرفا في مجتمعه ، لا يحسن التآلف مع الآخرين ، ولا يستطيع التعاون معهم أو تقديم الخدمات والتضحيات ، وقد يكبر فلا يستطيع أن يكون أبا رحيما أو زوجا متزنا حسن المعشر ، ولا جارا مستقيما لا يؤذي جيرانه ، لذلك ضرب لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثلا أعلى في محبة الأطفال ورحمتهم والصبر على مداعبتهم وقد روى أبا هريرة رضى الله عنه قال : قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحسن بن علي وعنده الأقرع ابن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحـدا . فنظر اليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم . . . » .

وقد جاءت التجارب العلمية مؤيدة هذا المبدأ التربوي النبوي فقد ثبت أن الطفل الرضيع لا ينمو على الغذاء فحسب ، بل على عطف الأم الذي لا يقل أهمية

---

(١) سورة الاعراف : ١٨٩ .

(٢) سورة الروم : ٢١ .

عن الغذاء ، بل هو أهم منه فى تربية شخصية الناشىء ، وان قوام الأسرة هو الحب المتبادل ، حتى اذا شب الطفل ، استطاع نقل هذا الحب معه الى خارج الأسرة ، الى المجتمع الخارجى كما اعتبر الاسلام الاسرة مسئولة عن فطرة الطفل واعتبر كل انحراف يصيبها مصدرة الاول الابوان ، ومن يقوم مقامهما من المربين ، ذلك أن الطفل يولد صافى السريرة سليم الفطرة ، وفى هذا المعنى يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه عنه أبو هريرة « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه ، ثم يقول ابوهريرة رضى الله عنه « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » .

ولذلك تهتم الخدمة الاجتماعية بالاسرة اهتماما كبيرا وتعتبرها المؤثر الاول فى انحراف الأحداث ومن ثم تركز فى علاجها لهم على الاسرة وتحاول تدعيمها بشتى الاساليب العلاجية والوقائية والانشائية ، والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى مع الاحداث المنحرفين فانه يكون على صلة وثيقة بأسرهم ويكتسب ثقتهم ويكون معهم علاقة مهنية قوية قوامها الثقة والحب والمودة ، وينظم معهم زيارات منزلية منظمة ، ليذكرهم بواجبهم ، نحو تعويد الطفل على تذكر عظمة الله ونعمه ، والاستدلال على توحيده من آثار قدرته ، وتفسير مظاهر الكون من بر وبحر وليل ونهار ، وزلازل واعاصير ونحو ذلك تفسيرا يحقق هذا الغرض ، لابقاء فطرة الطفل على صفائها ، واستعدادها لتوحيد الله وتمجيده .. كما يذكرهم بمداومة اظهار الاستياء من انحراف الضالين والمغضوب عليهم والمشركين ومن تبعهم امام ابنائهم ، كما يتفق معهم على الطريقة التى يوحون بها لابنائهم بالنتائج الوخيمة للمنحرفين وذلك عن طريق القصة تارة والحوار او القدوة تارة اخرى او الوعظ والارشاد احيانا او

الترغيب والترهيب فى بعض الاحيان .. حسب ما يتطلب الموقف .

وبذلك يستكمل الاخصائى الاجتماعى علاج انحرافهم وينجح فى تقويم سلوكهم . كما أنه يعد الأسرة لاستقبالهم بعد أن يتم علاجهم بالمؤسسة محاولا استكمال مقومات الأسرة ويكون على صلة دائمة بهم حتى يتابع باستمرار نتيجة الخطة العلاجية وحتى يجعل من الاسرة عنصرا هاما من عناصر تدعيم الخطة العلاجية وقد يتفق الاخصائى الاجتماعى مع والد الحدث المنحرف على خطة علاجية معينة مثل اصطحابه معه دائما الى المسجد للصلاة فى جماعة واصطحابه معه دائما فى المناسبات الدينية المتعددة شارحا له ما يصعب عليه فهمه أو يصطحبه معه الى محاضرة أو ندوة دينية ، وبذلك يستكمل العلاج الاسلامى للحدث بما تقوم به الاسرة من دورها فى الخطة العلاجية وتتحمس الى تربية أبنائها التربية الاسلامية التى فيها الوقاية والعلاج للسلوك المنحرف ، وفيها طريق الخلاص والهداية لهم .

وهكذا نرى ضرورة الاهتمام بدور الاسرة فى علاج الاحداث المنحرفين حيث أن الاسرة تمثل البيئة الداخلية المؤثرة فى تشكيل شخصية الحدث .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الاسلامى يحرص جيدا على تكامل العلاج الاسلامى الذاتى والبيئى حتى ينجح فى اختيار أنسب أساليب العلاج لكل فرد بما يناسب الفردية الخاصة التى يحتاج كل منها الى خطة علاجية مناسبة .

الفصل الحادى عشر

نتائج تطبيق العلاج الإسلامى
على الاحداث المنحرفين

وقد قام المؤلف باجراء دراسة تجريبية على مجموعتين من الأحداث المنحرفين إحداهما تجريبية والاخرى ضابطة لاختبار مدى تأثير العلاج الإسلامى على الاحداث المنحرفين ، وقد خرج بالنتائج التالية العامة : —

بعد أن قام المؤلف بتطبيق اختبار الشخصية للأطفال (١) على المجموعة الضابطة قبل التجربة وبعدها ، كما تم تطبيقة على الجماعة التجريبية وحدها قبل وبعد التجربة ، وذلك للتأكد من صدق الفرض الأول من فروض الدراسة وهو ممارسة العلاج الإسلامى فى علاج الاحداث المنحرفين يؤدى إلى تكيفهم الشخصى والإجتماعى وبالتالى يؤدى إلى تعديل سلوكهم .

وبعد تطبيق مقياس القيم الدينية (٢) على المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة قبل وبعد التجربة ، وكذلك المجموعة التجريبية قبل وبعد التجربة ، ذلك للتأكد من صدق الفرض الثانى وهو ممارسة الخدمة الاجتماعية للعلاج الإسلامى فى علاج الاحداث المنحرفين يؤدى إلى تنمية قيمهم الدينية .

وبالإضافة الى ما استخلصه المؤلف من نتائج تطبيق مقياس القيم الدينية واختيار الشخصية معاً للتأكد من صحة الفرض الثالث وهو ممارسة أساليب الخدمة الإجتماعية التقليدية فى علاج الأحـــداث المنحرفين لا يؤدى إلى تكيفهم الشخصى والاجتماعى .

---

(١) أنظر : محمد سلامة غبارى : « ممارسة التوجيه الدينى فى علاج الاحداث المنحرفين » رسالة دكتوراه . جامعة الاسكندرية كلية الآداب سنة ١٩٨٤ .

(٢) قياس القيم الدينية من تصميم المؤلف نفس المرجع السابق .

وبذلك توصل الباحث من هذه الدراسة إلى النتائج العامة التالية :

أولا : التوجيه الديني « العلاج الإسلامي » وأثره على التكيف الشخصي :

أظهرت هذه الدراسة وجود فروق جوهرية في التكيف الشخصي للجماعة التجريبية عنها في الجماعة الضابطة ، وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ، ت ، = ١١٫٧٧ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠٫٠١ كما أظهرت الدراسة فروق جوهرية بين الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ١٤٫٧٩ بمستوى دلالة إحصائية أقل من ٠٫٠١

كما أظهرت هذه الدراسة فروقا جوهرية بالنسبة لمجالات التكيف الشخصي كل على حدة كما يلي :

(١) ـ اعتماد الحدث على نفسه :ـ

أظهرت هذه الدراسة فروق جوهرية بين الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة من حيث الاعتماد على النفس وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ٣٠٫٧٧ بمستوى دلالة ٠٫٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ٦٫٦٠ بمستوى دلالة إحصائية ٠٫٠١ .

٢ ـ احساس الحدث بقيمته :

ظهر من هذه الدراسة أن أحداث المجموعة التجريبية قد استجابوا للعلاج الديني وأحس كل منهم بقيمته عن احداث المجموعة الضابطة ووجدت فروق جوهرية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ١٤٫٢٤ بمستوى دلالة إحصائية أقل من ٠٫٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلي والبعدي

للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ١٢٫٣١ بمستوى دلالة أقل من ٠٫٠١ .

٣ ــ شعور الحدث بحريته :

أظهرت هذه الدراسة أن احساس الحدث بقيمته ظهر بدرجة كبيرة عند أحداث المجموعة التجريبية عنه فى المجموعة الضابطة وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٢٫٥٥ بمستوى دلالة أقل من ٠٫٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلى والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلاله الاحصائية ت = ٥٫٤٧ بمستوى دلالة إحصائية أقل من ٠٫٠٠١ .

٤ ـ شعور الحدث بالإنتماء :

أظهرت هذه الدراسة وجود فروق جوهرية من حيث الشعور بالانتماء بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت=٥٫١٢ بمستوى دلالة إحصائية أقل من٠٫٠١ , كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلى والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ٦٫٩٠ بمستوى دلالة إحصائية أقل من ٠٫٠٠١ .

٥ ـ شعور الحدث بالتحرر من الانفراد :

أظهرت هذه الدراسة أن أحداث المجموعة التجريبية أقل انطواء من احداث المجموعة الضابطة ، حيث وجدت فروق جوهرية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ١٣٫٠٠٨ بمستوى دلالة أقل من ٠٫٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلى والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٤٫٠٠ ، بمستوى دلالة إحصائيه أقل ٠٫٠٠١ .

٦ ـ خلو الحدث من الأعراض العصابية :

أظهرت هذه الدراسة أن احداث المجموعة التجريبية أقل معاناه من الاعراض العصابية عن المجموعة الضابطة حيث وجدت فروقا جوهرية وفقا لاختبار الدلاله الإحصائية ت = ١١،٤٣ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتائج الاختبار القبلي والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلاله الإحصائية ت ٥،٣٨ بمستوى دلاله أقل من ٠،٠١ .

ثانيا . التوجيه الديني « العلاج الاسلامي » واثره على التكيف الاجتماعي :

أظهرت هذه الدراسة فروقا جوهرية فى التكيف الإجتماعى للمجموعة التجريبية عنها فى المجموعة الضابطة وفقا لاختبار الدلاله الاحصائية ت = ١٦،٧٩ بمستوى دلاله أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتائج الاختبار القبلى والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت = ٦،٢٢ بمستوى دلاله أقل من ٠،٠١ .

كما أظهرت هذه الدراسة فروقا جوهرية بالنسبة لمجالات التكيف الاجتماعى كل على حدة كما يلى :

١ ـ المستويات الاجتماعية :

أظهرت هذه الدراسة أن اعتراف المجموعة التجريبية بالمستويات الاجتماعية كان أكثر وضوحا عن أحداث المجموعة الضابطة حيث كان الفروق وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٣٩،٩٧ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ . كما ظهرت فروق جوهرية بين نتائج الاختبار القبلي والبعدى الجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٩،٧٦ بمستوى دلالة أقل من ٠،٠١

٢ - المهـــارات الاجتماعية :

أظهرت هذه الدراسة أن أحداث المجموعة التجريبية أظهروا قدرة أكبر على اكتساب المهارات الاجتماعية عن احداث المجموعة الضابطة بحيث وجدت فروق جوهرية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية = ١٨،٨٥ بمستوى دلالة احصائية ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتـــائج الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقـــا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٢٢،٨٦ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ .

٣ - التحرر من الميول المضادة للمجتمع :

أظهرت هذه الدراسة أن أحداث المجموعة التجريبية أكثر تحررا من الميول المضادة للمجتمع عن أحداث المجموعة الضابطة ، بحيث وجدت فروق جوهرية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٤٠،٦٧ بمستوى دلالة أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتائج الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ١٠،٧٧ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ .

٤ — علاقات الحدث بأسرته :

أظهرت هذه الدراسة أن أحداث المجموعة التجريبية صاروا على علاقات طيبة مع أسرهم خلافا عن أحداث المجموعة الضابطة ، حيث وجدت فروق جوهرية وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ١٠،٥٢ بمستوى دلاله احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهر فروق جوهرية بين نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة الإحصائية ت - ١٨،٢٧ بمستوى دلالة إحصائية أقل من ٠،٠١ .

٥ ـ العلاقات في المؤسسة :

أظهرت هذه الدراسة فروقا جوهرية من ناحيـــة العلاقات بالمؤسسة بين المجموعة التجريبية والضابطة وفقا لاختبـار الدلالة الأحصائية ت = ١٤،١٧ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتــائج الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقـا لاختبار الدلالة ت = ١٢،٠٠ بمستوى دلالة أقل من ٠،٠١ .

٦ ـــ علاقات الحدث بالبيئة المحلية :

اظهرت هذه الدراسة أن احداث المجموعة التجريبية أكثر تكيفا مع البيئـة المحلية عن أحداث الجماعة الضابطة ، حيث وجدت فروق جوهرية وفقـا لاختبار الدلالة الاحصائية ت ١٠،٦٩ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة ت = ٣،٧٧ بمستوى دلالة أقل من ٠،٠١

ثالثا : العلاج الاسلامي ، التوجيه الديني ، والتكيف العام :

أظهرت هذه الدراسة أيضا أن هناك فروقا جوهرية فى التكيف العـام بين الجماعة التجريبية والضابطة وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ١٢،٥٧ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين نتـائج الاختبار القبلي والبعدي للجماعة التجريبية وفقا لاختبـــار الدلالة الاحصائية ت = ٣،٢٧ ، بمستوى دلالة احصائية اقل من ٠،٠١ .

وهنا يمكن القول أن ممارسة العلاج الإسلامي فى علاج الاحداث المنحرفين قد اثر ايجابيا على تكيفهم الشخصي ، الاجتماعي وبالتـالي ادى الى علاجهم

كذلك يمكن القول أن نتائج الجماعة الضابطة التى كانت تطبق عليها الأساليب التقليدية لم يتم تكيفهم الشخصى والاجتماعى وبالتالى لم يتم علاجهم

رابعاً : التوجيه الدينى والعلاج الاسلامى، وأثره على نمو القيم الدينية للاحداث :

أظهرت هذه الدراسة فروقا جوهرية ذات دلالة احصائية بالنسبة لنمو القيم الدينية عند المجموعة التجريبية عن المجموعة الضابطة وذلك وفقا لاختبار الدلالة الاحصائية ت = ٤،١٤ بمستوى دلالة احصائية أقل من ٠،٠١ ، كما ظهرت فروق جوهرية بين الاختبار القبلى والبعدى للجماعة التجريبية وفقا لاختبار الدلالة احصائية ت = ٣،٢١ بمستوى دلالة احصائية ٠،٠١

وقد كان لهذا التغير أثر واضح فى تعديل السلوك المنحرف بما يساعد على نجاح العلاج الاسلامى فى علاج الاحداث المنحرفين .

وهنا يمكن القول أن ممارسة العلاج الإسلامى والتوجيه الدينى فى علاج الإحداث المنحرفين قد أثر ايجابيا فى نمو القيم الدينية مما أدى الى علاجهم وتعديل سلوكهم .

خامسا : الارتباط بين نتائج مقياس القيم الدينيه ونتائج اختبار الشخصية :

أظهرت هذه الدراسة أنه يوجد ارتباط طردى موجب بين نتائج مقياس القيم الدينية ونتائج اختبار الشخصية للاطفال كما يلى :

١ - معامل الارتباط للجماعة التجريبية فى الإختبار البعدى لكل من المقياسين = ٠،٩٨ وهى درجة ثبات عالية للمقياس .

٢ - معامل الإرتباط للجماعة التجريبية فى الاختبار القبلى لكل من المقياسين = ٠،٩٠ وهى درجة ثبات عالية للمقياس .

٣ - معامل الارتباط للجماعة الضابطة فى الاختبار القبلى لكل من المقياسين = ٠،٨ وهى درجة ثبات عاليه للمقياس .

٤ ـ معامل الارتباط للجماعة الضابطة فى الاختبار البعدى لكل من المقياسين = ٨٨, وهذا يؤكد نفس المعنى .

وهذا الارتباط الطردى الموجب بهذه الدرجة العالية من الثبات يؤكد ثبات مقياس القيم الدينية وهذا يجعلنا نطمئن الى أن مقياس القيم الدينية يمكن الاعتماد عليه فى قياس التغيرات التى حدثت للجماعة التجريبية نتيجة لتعرضها للمتغير المستقل وهو العلاج الاسلامى « التوجيه الدينى » .

تم بعون الله وتوفيقه

دكتور محمد سلامة محمد غبارى

الرياض فى رمضان ١٤٠٤ هـ يونيو ١٩٨٤ م

المراجع العربية والأجنبية

أولا : المراجع العربية .

ثانيا : المراجع الأجنبية .

أولا ـ المراجع العربية :

١ ـ أحمد الخشاب : الاجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ .

٢ ـ أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .

٣ ـ ـ : نظرة البدائيين الى الكون ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الاول ، العدد الثالث ، ١٩٧٠

٤ ـ الأمام الغزالى : الاربعين فى أصول الدين ، القاهرة ، مكتبة الجندى ، ١٩٦٥ .

٥ ـ الامام أحمد : منتخب كنز العمال فى هامش مسند الامام احمد الجزء الأول .

٦ ـ القسطلانى : شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، القاهرة المطبعة الأزهرية الحديثة المصرية ، ١٣٢٥ هـ .

٧ ـ الامام القشيرى : الرسالة القشيرية ، القاهرة ، مطبعة صبيح ، ١٩٦٦ .

٨ ـ الامام الشوكانى : نيـــل الاوطار ، الجزء السابع ، القاهرة مطبعة الحلبى .

٩ - - : فتح القدير ، الجزء الثالث ، القاهرة ، مطبعة الحلبى ، المطبعة الثامنة ، ١٩٦٤ .

١٠ - البخـــارى : فتح البارى شرح البخارى ، كتاب الصوم ، الجزء الخامس .

١١ - اميل دوركايم : علم الاجتماع وفلسفته ، ترجمة حسن أنيس ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ .

١٢ - انور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الاســـلام ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، طبعة أولى ، ١٩٧٥

١٣ - ابراهيم حافظ : تطور نمو الطفل ، مترجم ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٠ .

١٤ - ابن قيم الجوزيه : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، القاهرة ، مطبعة امير عبد الرحمن ، المطبعة الثالثة ١٩٢٨ .

١٥ - - : الفوائد ، بيروت ، دار النفائس ، المطبعة الثانية ، ص ٤٣ .

١٦ - ابو حامد الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثامن .

١٧ - - : مختصر احياء علوم الدين ، تحقيق محمد اسماعيل القاهرة ، مكتبة نصير .

١٨ - ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، وينسب الى ابن زكريا يحيى بن عدى .

١٩ - ابن كثير : تفسير ابن كثير ، للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابي الفــداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٠ - الحافظ ابى بكر البغدادى . اقتضاء العلم والعمل ، نقلا عن كنوز السنة رسائل اربع ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني

٢١ - احمد بن تيمية : الفتــاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٨١ هـ .

٢٢ - ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٩ هـ .

٢٣ - المــاوردى : الاحكام السلطانية ، القاهرة ، مطبعة البابلى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ .

٢٤ - الطــبرى : تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ، المطبعة الحسنية الجزء الثانى لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٢٥ - ابن هشــام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقـا ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٣٦ .

٢٦ - احمد محمد الحوفى : من أخلاق النبى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٢٧ - السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية ، والتربوية والاجتماعية ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٧٠.

٢٨ - توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٤٧ ، ص ٤٦٨ .

٢٩ - برتراند راسل : نحو عالم أفضل ، العدد ٢٣ سلسلة الألف كتاب .

٣٠ - جابر عبد الحميد : الذكاء ومقاييسه ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

٣١ - حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس اسلامى ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٦ .

٣٢ - حامد عبد القادر : العلاج النفسى قديما وحديثا ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ص ١٣٨ .

٣٣ - حامد زهران : التوجيه والارشاد النفسى ، القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ .

٣٤ - حسن الساعاتى : علم الاجتماع القانونى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ .

٣٥ - خالد محمد خالد : كما تحدث الرسول ، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠ .

٢٦ — رمسيس بهنام : علم الاجرام ، الاسكندرية ، دار المعارف ، الطبعة الأولى .

٢٧ — زكى مبارك : الأخــلاق عند الغزالى ، القاهرة ، المكتبة الرحمانية .

٢٨ — سليمان الندى : الرسالة المحمدية ، القاهرة ، دار النهضة ص ص ٩٣ ، ٩٥ .

٣٩ — سامية جابر : الانحراف الاجتماعى بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

٤٠ — سيد قطب : العدالة الاجتماعية والاسلام ، القاهرة ، المكتبة الحديثة ، ١٩٦٧ .

٤١ — سيد عويس : انحراف الاحداث ، فى مصر ، مجلة أكتوبر ١٩٥٨ .

٤٢ — صلاح عبد المتعال : أثر العوامل الاجتماعية فى تشرد الاحداث ، رسالة ماجستير ، ١٩٦٤ .

٣ — صديق ابو الحسن : دراسات فى السنة النبوية الشريفة ، الكويت مكتبة الفلاح ، ١٩٨ .

٤٤ — طه أبو الخير : انحراف الاحداث ، الاسكندرية ، منشأة دار المعارف ، ١٩٦١ .

٤٥ ـ عبد العزيز المسند : غذاء الروح ، الرياض ، شركة مطابع نجد ، ١٩٨٠ .

٤٦ ـ عبد العزيز عزت : أهم نظم الجماعات المتأخرة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ .

٤٧ ـ ـ : الجريمة وعلم الاجتماع ، القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٤٩ .

٤٨ ـ عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع ، بيروت ، النهضة العربية ، ١٩٨١ .

٤٩ ـ عبد الله علوان : تربية الأولاد فى الاسلام ، دراسة قرآنية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

٥٠ ـ عبد الله الشرقاوى : فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى لصحيح البخارى ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبى ، ١٢٣٩ هـ .

٥١ ـ علاء الدين المتقى ابن حسام الدين الهندى : كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال ، مطبعة دائرة المعارف ، النظامية بحيدر آباد ، الجزء الثانى ، ١٣١٢ هـ .

٥٢ ـ علاء الدين الكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، القاهرة مطبعة الجماليه ، الطبعة الأولى .

٥٣ ـ عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد فى المجتمع النامى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

٥٤ - عبد الفتاح عثمان : المدارس المعاصرة فى خدمة الفرد ، القاهرة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ١٩٨١ .

٥٥ - عبد الباسط محمد حسن : علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة غريب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

٥٦ - - : أصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ .

٥٧ - عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الاسلامية ، دمشق ، دار الفكر ١٩٧٩ .

٥٨ - عبد القادر الجيلانى : الغنيه ، ص ١٨٣ بدون سنة نشر أو ناشر .

٥٩ - - : فتوح الغيب ، ص ١٣٤ ، بدون سنة نشر أو ناشر .

٦٠ - عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٩ .

٦١ - عبد المجيد الشرنوبى : شرح الحكم العطائية ، بدون ناشر وسنة نشر .

٦٢ - عادل العوى : الوجدان ، بدون ناشر وسنة نشر .

٦٣ - عبد الكريم عثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ، القاهرة ، مكتبة وهبة .

٦٤ - عبد القادر عودة : التشريع الجنائى الاسلامى ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٨ .

٦٥ - عبد المنعم عبد العزيز المليجى : تطور الشعور الدينى عند الطفل المراهق، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ .

٦٦ - عواطف ابراهيم : وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الاطفال ، طنطا ، دار سماح للنشر ، ١٩٧٩ .

٦٧ - على عيسى : المجتمع ، (مترجم) القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ .

٦٨ - على عبد الواحد وافى : مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، لجنة البيان العربى الطبعة الاولى ، ١٩٥٧ .

٦٩ - عائشة عبد الرحمن : مقال فى الانسان ، دراسة قرآنية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

٧٠ - عطية محمود هنا : اختبار الشخصية للاطفال ، وقيمته فى البحوث النفسية ، المجلة الاجتماعية القومية ، ١٩٦٥ .

٧١ - ـــ : تعليمات اختبار الشخصية للاطفال ، المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٧٢ - غريب سيد احمد : البحث الاجتماعى ، المنهج والقياس ، الاسكندرية دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٤ .

٧٣ - فوزى سالم عفيفى : السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ .

٧٤ - فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

٧٥ - فؤاد البهي السيد : علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، طبعة أولى ١٩٥٨ .

٧٦ - كمال محمد عيسى : العقيدة الاسلامية سفينة النجاة ، بيروت دار الشروق ، ١٩٨٠ .

٧٧ - كامل سلامة الدقس : من روائع الأدب النبوي ، جـدة ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩ .

٧٨ - محمد أحمد غالي : دراسة مقارنة للجانحين والعصابيين من تنظيم الشخصية ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه الى كلية التربية ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٤ .

٧٩ - محمد احمد جاد المولى : محمد المثل الكامل ، دمشق ، المكتبة الاموية ، ١٩٧٢ .

٨٠ - محمد الغزالي : خلق المسلم ، القـاهرة ، المكتبة الحديثة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ .

٨١ - محمد الغزالي : مع الله ، القاهرة ، المكتبة الحديثة ، ١٩٥٩ .

٨٢ - محمد الصادق عرجون : الموسوعة في سماحة الاسلام ، المجلد الأول ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٨ .

٨٣ - محمد البهى : نحو القرآن ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٦ .

٨٤ - محمد ابراهيم اسماعيل : شرح الاحكام العامة فى قانون العقوبات المصرى القاهرة ، ١٩٦٢ .

٨٥ - محمد بن عثمان القاضى : الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، الجزء الاول .

٨٦ - محمد بيصار : العقيدة والاخلاق وأثرها فى الحياة الفرد والمجتمع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .

٨٧ - محمد بخيت حسنى : شرح قانون العقوبات اللبنـــانى ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٢٦٥ هـ .

٨٨ - محمد حسين هيكل : حيـــاة محمـــد ، القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٥ .

٨٩ - محمد عارف : الجريمة والمجتمع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٥ .

٩٠ - محمد عاطف غيث : المشـــاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

٩١ - محمد على محمد : تاريخ علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

٩٢ - محمد عطية الابراشى : روح الاسلام ، دمشق ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٩ .

٩٣ ـ محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلسفتها ، القاهرة ، مكتبة الحلبى ، ١٩٦٩ .

٩٤ ـ محمد قطب : النفس والمجتمع ، بيروت ، دار العلم للملايين .

٩٥ ـ ـــ : منهج التربية الاسلامية ، بيروت ، دار العلم للملايين .

٩٦ ـ ـــ : النظرية التربوية الاسلامية ، بحث مقدم الى ندوة اسس التربية الاسلامية المنعقدة بمكة المكرمة فى جمادى الثانية ، ١٤٠٠ هـ .

٩٧ ـ محمد محيى الدين : الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى ٤٢٩ هـ ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة محمد على صبيح جزء أول ، بدون تاريخ .

٩٨ ـ محمد مصطفى حسنين : المدخل الى علم الاجتماع القانونى ، مكتبة القاهرة ، الحديثة . القاهرة .

٩٩ ـ محمود حلمى : نظام الحكم الاسلامى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ .

١٠٠ ـ محمود على قراعة : الاخلاق فى الاسلام ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٢ .

١٠١ ـ ـــ : المسلم الكامل من احاديث الرسول ومن فتاوى ابن عابدين ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٦

١٠٢ - محمود عوض : صفوة احياء علوم الدين للامام الغزالى (طب القلوب) ، القاهرة ، مكتبة محمد على صبيح ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٤ .

١٠٣ - محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ، مطبوعات ادارة الثقافة الاسلامية بالازهر ، ١٩٥٩ .

١٠٤ - : تفسير القرآن الكريم ، الاجزاء العشرة الاولى القاهرة ، دار الشرق، الطبعة السابعة ، ١٩٧٩ .

١٠٥ - — : من توجيهات الاسلام ، القاهرة ، مكتبة الخانجى بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ .

١٠٦ - مصطفى الخشاب : علم الاجتماعى ومدارسه ، الكتاب الثالث : المدارس الاجتماعية المعاصرة ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

١٠٧ - مصطفى محمد حسين : المدخل الى المدرسة الاسلامية فى علم الاجتماع القاهرة ، مطبعة الكيلانى ، ١٩٧٥ .

١٠٨ - مؤيد الكيلانى : كيف انتشر الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، بدون تاريخ .

١٠٩ - مقداد يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٣ .

١١٠ - نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمد على وآخرون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ .

١١١ - نجيب اسكندر ، لويس ملكية : الدراسة العملية للسلوك الاجتماعى ، القاهرة، مؤسسةالمطبوعاتالحديثة، ١٩٦٠

١١٢ - هنرى لنك : العودة الى الايمان ، ترجمة ثروت عكاشة ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

١١٣ - هارولد فينك : لمن ترهقهم الحياة ، ترجمة محمد الحلوجى ، القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

١١٤ - وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، ترجمة ظفر الاسلام خان ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

١١٥ - وليم جيمس : العقل والدين ، ترجمة محمود حسب الله ، القاهرة ، عيسى البابلى الحلبى ، ١٩٤٩ .

١١٦ - يوسف القرضاوى : الحل الاسلامى فريضة وضرورة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧ .

١١٧ - يحيى بن شرف النووى : رياض الصالحين ، الجزء الثالث .

١١٨ - يحى هريدى : مقدمة فى الفلسفة العامة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٨ .

١١٩ - يوسف مراد : مبادىء علم النفس ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٢ .

ثانيا — المراجع الاجنبيـــة :

1 - Ackoff, R., **«The Design of Social Research,»** Univ. of Chicago Press, 1953.

2 — Abrahamson, David, **«Crime and Human Mind»**, New York, 1945.

3 - Aichorn, August, **«Way Word Youth»**, New York, Meridian Book, 1955.

4 — Alexander, Franz & Hugo Staub, **«The Criminal, The Judge and The Public, A Psychological Analysis»**, London, George Allen & Unwin Ltd., 1931.

5 — Alexander, Franz & William Healy, **«Roots of Crime»**, New York, 1955.

6 — Azeller, Richard, **«Statistical Analysis of Social Data»**, Random: Chicago, Random, Nally, College, Publishing Company, 1978.

7 — Banay, Ralph, **«Physical Difiguration As A Factor in Delinquency And Crime»**, Fedral Probation, Jane - March - 1943.

8 - Barnes & Teeters, **«New Horizons in Criminology»**, Prentic Hall, Inc., New York, 1951.

9 — Beckers, S., **«Outsiders, Studies in The Sociology of Deviance»**, The Free Press of Glenco, 1963.

10 -- Diesanz, Mavis, H. & John Biesanz, **«Sociology»**, Prantic Hall, Inc., Engle Wood Cliff, New York, 1978.

11 - Bennett, Ivy, **«Delenquent And Neurotic Children»**, London, Tavistock Publications, 1960.

12 Blumer, Herbert & Philip M. Hauser, **«Movies, Delinquency And Crime»**, New York, Macmillan, 1933.

13 Bordua, David, **«Delinquent Sub - Cultures : Sociological Interpretations of Gang Delinquency»**, Amnal of the American Academy of Political And Social Sience, 1961.

14 - Bowlby, John **«Forty - Four Juvenile Thieves»**, London, Bailliero, Tindal And Cox, 1949.

15 — Brokway, **«Physical of Crim»**, A Symposium Easton, 1914.

16 - Briar, Scott & Irvinge, **«Delinquency, Situational Inducements And Commitment to Conformity»**, Social Problems, XIII, 1965.

17 - Brown, Roger, **«Social Psychology»** New York, The Press, 1979.

18 — Broom, Leonard & Philips Seliznich, **«Sociology»** A Text with Adapted Readings, Seventh Edit, Herper International Edition, 1981.

19 — Burt, B., **«The Young Delinquent»**, New York, D. Appleton, Co., 1925.

20 — Carlson, C.A. **«dence And Christian Belief»**.

21 — Cavan, Ruth, **«Criminology»**, Thomas Y. Growwelc, Co., New York, 1948.

22 ...., **«Marrige And Family in Modern World»**, Co., New York, 1960.

23 — Cloward, Richard, **«Social Control in The Prison in Theoritical Studies in Social Organization of the Prison,»** New York, Social Sience Recearch Council, 1960.

24 — Cloward, A, Richard & Lloyd E. Dhlin, **«Delinquency And Apportunity»**, New York, Freee Press, 1960.

25 — Coleman, C. Tomes, **«The Adolescent Society»**, New York, The Free Press, 1961.

26 — Cohen A., **«The Study of Social Disorganization And Deviant Behavior»**, in R. Meron etal. eds. Sociology today», New York, 1948.

27 — Coser, Lewis & Betnard Rosen (eds), **«Sociological Theory»**, A Book of New York The Macmillan Co., 1967.

28 — Cressey, R. Donald, **«The Development of a Theory Differential Association; The Sociology of Crime And Delinquency»**, ed., Marvin E. Wolf Gang etal, New York : Wiley, 1962.

29 — Curry, A.. **The Relation of Weather Condition Facial Characteristics And Crime»**, Journal of Criminal Law, Criminology and Police Seince, July - August, 1948.

30 — Denisoff, Serg & Ralph Wahr man, **«An Introduction to Sociology»**, Second Edit., Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1979.

31 — Deverport, **«Hereditary Crime»**, The American Journal of Sociology, Nov., 1907, Vol. 13.

32 — De wey, John, **«Theory of Valuation»**, International Encyclopedia of Unified Science, Vol. II, No. 4, The Univ. of Chicago Press, Illionis, 1939.

33 — E.A., Fink, **«The Field of Social Work»**, Seventh Edit., Brinchart And Winiston, U.S.A., 1978.

34 — Eisslere, K.R., **«Search Hights on Delinquency»**, New York, International Univ. Press. 1949.

35 Eleanor & Sheldon Glueck, **«Physique And Delenquency»**, New York, Harper & Brothers, 1955.

36 — Elssler, R.R., **«Search Hights on Delinquency»**, New York, International Universities Press, 1949.

37 - Friedlander, Kate, **«The Psycho Analatic Approach to Juvenile Delinquency»**. London, Routledge And Kegan Paul, 1947.

38 — Gibbons, Don., C., **«Society Crime And Criminal Carreers», 2nd** edit., An Introduction to Criminology», Prentic - Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1973.

39 — ...., **«Delinquent Behavior»**, Clifts, New Jersey, 1970.

40 — Gillin, John, Lewis, **«Criminology And Penology»**, Appleton - Century And Co., New York, 1926.

41 — Ginsberg, Morris, **«Sociology», London, Oxford, 1949.**

41 — Ginsberg, Morris, **«Sociology»**, London, Oxford, 1949.

42 — Glueck, Sheldon & Eleonor, **«One Thousand Juvenile Delinquents»**, Harvard Univ. Press, 1934.

43 — .... **«Unravelling Juvenile»**, Cambridge, Harvard Univ. Press, 1950.

44 — Herbert Mead, George, **«The Psychology of Pantive Justic»**. In Sociological Theory : A Book of readings, 2'nd ed lewis Acoser Berard . Rosenberg, New York, Macmillan, 1964.

45 Hart, **A«Liberty And Morality»**, London, Oxford Univ. Press, 1964.

46 - Harris, F.J. **«Social Casework»**, Nairobi, Oxford, Univ. Press, 1970.

47 — Hamilton, Gordin, «**Theory and Practice of Social Casework**», New York : Colombia Univ. Press, 1951.

48 — Healy, W., «**The Individual Delinquent**», New York. Lithe Brown.

49 — .... & A. Broom, «New **Light on Delinquency and Its Treatment**», New Havan : Yalle, Univ., Press, 1936.

50 — Hirschi, Travis, «**Causes of Delinquency**» Univ. of California Press, Berkeley, Los Angles And London, 1972.

51 — Holden, A.M., «**Counseling in Secondary Schools**», London. Constable, 1971.

52 — Horton, B., Paul, & Chester L. Tlunt, «**Sociology**», Fourth Edit., McGraw Hill, Inc., United States of America, 1976.

53 — Jenkins, Richard, «**Adaptive And Mal - Adaptive Delinquency**», Nervous Child, 1955.

54 — Jensen, Cary, & Dean G. Rojek, «**Delinquency : A Sociological View**» D.C. Heath and Company, Lexington, Massachusetts, Toronto, 1980.

55 — Johnson, Dur C.A., «**Schools Make Criminals**», Journal of Criminal Low And Criminology, Nov. Dec. 1942.

56 — Jones, Arther, «**Principle of Cuidance**», Revised by Buford Steffle And Norman R. Stewart 6th Edit., New York, McGraw - Hill Book Co., 1970.

57 — Kohen, K., Albert, & James F. Short, «**A Servay of Delinquent Theories**», John B. Read & Fuad Baali, 1972.

58 -- .... «**Delinquent Boys**», New York, The Free Press, 1955.

59 -- Korn, R. Richard & Lloyd W. Mccokle. «**Criminology And Penology**», New York, Half - Rinehart And Winston, 1965.

60 - Kvaraceus, William & Walter B. Miller. «**Delinquent Behavior: Culture And The Individual**», Washington, National Education Association, 1959.

61 Lemert. M., Edwin. «**Human Deviance Social Problems And Social Control**», Ed Prentice Hall. 1972

62 Marchal. Clinard, B. «**Sociology of Deviance Behavior**», Rinehart and Co. Inc New York. 1957

63 - Maccormic. H., Austin. «**Education in The Prison of Tomorrow**», In Tapan Contemporary Correction. New York, McGraw-Hill, 1951.

64 -- Mcandless & J. Mcdavid, «**Psychological Theory Research And Juvenile Delinquency**», The Journal of Criminal Law, Criminal Law, Criminology and Police Sience March, 1962.

65 — Mcdavid, J. & B. Mccandless, «**Psychological Theory Recearch and Juvenile Delinquency**», The Journal of Criminal Law, Criminology and Police Sience. March 1962.

66 -- McKinley, G., David. «**Social Class and Family Life**», New York. The Free Press. 1964.

67 Merton, Robert, K., «**Social Theory And Social Structure**», New York. Free Press. 1957.

68 Merrill, A., Maud, «**Problems of Child Delinquency**», New York, Hought Mifflin. 1947.

69 — M.F.. Lowenberge. «Fundemental of Social Intervention», Collombia Univ.. Press. 1977.

70 — Miller. B.. Walter. «Lower Class Cultures As Generating Milieu of Gang Delinquency», N. 3. 1958.

71 — M.R.. Maciver & Page C., H., «Society An Introduction Analysis», Rinehard & Co., N.Y., 1949.

72 — Michael Faia & Alia Matin, «Stractural Strain And Political. Deviency». Docid Problems, 1967.

73 — Myer, Don Dink & Edson Coldwell, «Developmental Counselling And Guidance, A Comprehensive School Approach», New York, McGraw Hill Book Co., 1970.

74 — Nadle, S.F., «Social Control And Self Regulation on Social Forces», Vol. 31, March, 1953.

75 — Nelson, Henry, B., «Juvenile, Delinquency And The Schools, Fourty Seventh Year Book Univ. of Chicago Press, 1948.

76 — Nelson, Victor, «Prisons Days and Nights», Boston Little Brown, 1935.

77 — Neumeyer M., «Juvenile Delinquency in Modern Society», New York, D.Van. Nostrand Co. Inc., 1961.

78 — Nye, Ivan, F., «Family Relationship And Delinquent Behavior», New York Witey. 1958.

79 — Ogburn, V.F. & E.M. Nimkoff, «A Hand Book of Sociology», Rouhedge & Kegan Paul, London, 1960.

80 — Olds, F., Perry, «The Place of the Press of the Crime», Year Book. N.P.P.A.. 1947.

81 Parsons, Talcot, **«Towards of Social Action»**, Cambrid. Harvard. Univ., Press; 1951

82 . . .. **«Structure and Process in Modern Societies»**, illinois, Free Press of Glencoe, 1960.

83 - Philips, Bernard, **«Sociology»**, From Concepts to Practice, McGraw Hill Book Co., 1979.

84 — Polk, Kenneth, **«A Note in the Relationship Between Broken Homes Disposition and Delinquency»**, Manuscript, 1958.

85 — Recless, Walter, **«The Crime Problem», Appleton Century Crofts,** Inc., New York, 1955.

86 - ...., **«A Non-Cousal Explanation : Containment Theory»**, in International Annals of Criminology, 1963.

87 — ...., «The Crime Problem», 2nd ed.. New York : Appleton Century, Crofts, 1965.

88 — Riesman, David & Reed Denney & Nathan Glazer, **«The Lonely Crowd»**, New Havan, Yale University Press, 1950.

89 — Rothshonle & Theodor Ferdinand, **«Jevenile Delinquency»**, J.B. Lippinott Company, Philadelphia, New York, Toronto, Third Ed., 1975.

90 — Shaw, R., Cliford, **«The Jeck Ruller»**, Univ. of Chicago Press, 1930.

91 - Shaw, C. & James McDonald, **«Brothers in Crime»**, Univ. of Chicago Press, 1942.

92 — Shaw, C. & Hmckay, **«Juvenile Delinquency And Urban Areas»**, Chicago, 1942.

93 — Schussle, Karl, F. & Donald Cressey, **Personality Characteristics of Griminals»** American Jornal of Sociology, 53, March, 1950.

94 — Sellin, T., **«Culture Conflict and Crime»,** New York, The Social Sience Research Council, Bullerin, Vo. 41, 1938.

95 — Sherif, M Uzafer & Carlon W. Sherif, **Reference Groups :Explorations Into Conformity And Deviation of Adolessents»,** New York : Harper And Row, 1964.

96 — Simon, Sidney & S.W. Aids, **«Helping Your Child Learn Right From Wrong»,** McGrew Hilly Co., Paper Book, 1977.

97 — Smith, Edward, H. & G. Max Schlapp, **The New Criminology»,** Boni, New York, 1928.

98 — Smith, H., **«Toward A Clafrification of The Concept of Social Institution»,** Sociology & Social Research, January, 1964.

99 — Stwart, W., Elbert, **«Sociology»,** The Human Science, 1978.

100 — Sutherlan, Edwin, **«Principles of Criminology»,** Lippincott, 5th ed., Co., 1955.

101 — Sutherlan, E., & Donald R. Cressey, **«Criminology»,** J.B. Lippincott Company, New York, Hagerstown Philadelphia, San Francisco, Tenth Edit., 1978.

102 — Sorokin, P., **«Contemporary Sociological Theories»,** New York, Harper & Brothers, 1928.

103 — Tafft, D., **«Criminology»,** New York, The Macmillan, Co., 1956.

104 — Tannenbaum, F., **«Crime And The Community»,** Boston, Gin. 1938.

105 — Tapan, W. Paul, **«Juvenile Delinquency»**, mcGraw - Hill, Book Company, Inc., New York, 1949.

106 — Taylor, H.J.F., **«School Counselling»**, London, Macmillan. ''71.

107 — Thouless, **«An Introductions to the Pshichol of Religion»**.

108 — Timasheff, N., **«Sociological Theory : Its Nature and Growth»**, Random House, 1955.

109 — Toby, Jackson, **«Review of Family Relationships and Delinquent Behavior»** by F. Ivan Nye, American Sociological Review, XXV, 1960.

110 — Tolbert, El., **«Introduction to Counseling»**, 2nd ed., New York. McGraw - Hill Book Co., 1972.

111 — Trasher, Fredric, M., **«The Gang»**, The University Press, Chicago, 1927.

112 — Vaughan, T., **«Education And the Aims of Counselling»**, . n European Perspectiv : Oxford, Basil, Black Wall, 1975.

113 — Vedder, Clyde, Koening, **«Criminology»**, The Drydon Press, New York, 1955.

114 — Vold, George, B., **«Theoryetical Criminology»**, Oxford University Press, 1958.

115 — Waldon, Gordon, P. & Simon Diniz, **«An Analysis of Research Studies in Crime and Delinquency»**, 1967.

116 — Weber, Max, **«The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism**, 1930.

117 Wethan, Fredric, **«Seduction of the Innocent»**, New York, Rinehart And Company, 1954.

118 — William, Healy. **The Individual Delinquent»,** Boston. Little Brown, 1913.

119 — Wirth, L.. **«Culture Conflict And Misconduct», Social Forces,** 1931.

120 — Wolf. Kurt. **«Social Control»,** In J. Gold & W. Kolb, ed., A Dictionary of The Social Sciences, New York, The Free Press of Glenoe, 1964.

121 — Worchel, S. & J.B. Cooper. **«Understanding Social Psychology,** (Revised ed.) The Dorsey Press, Home Wood, Illinoise, 1979.

122 — Young, K., **«Sociology»,** Amprican Book Co., N.Y., 1942.

123 — Young L.L., **«Personality Characteristics Associated with Popularity in School, Children»,** J. Iduc., Psychol, V. 35, 1955.